كتاب الزينة

فى الكلمات الإسلامية العربية

تأليف

الشيخ أبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى

المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية

الجزء الأول

عارضه بأصوله وعلق عليه

حسين بن فيض الله الهمدانى

اليعبرى الحرازى

القاهرة — ١٩٥٧

مطابع

دار الكتاب العربى بمصر

محمد حلمى المنياوى

كتاب الزينة

في الكلمات الإسلامية العربية

تأليف

الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي
المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية

الجزء الأول

عارضه بأصوله وعلق عليه
حسين بن فيض الله الهمداني
اليعبري الحرازي

القاهرة — ١٩٥٧

المعهد الهمدانى للدراسات الإسلامية

(أنشأه سيدى محمد على الهمدانى اليعبرى فى سنة ١٣٠٥ هـ)

الطبعة الأولى — ١٩٥٦

الطبعة الثانية — ١٩٥٧

مطابع

دار الكتاب العربى بمصر

محمد حلمى المنياوى

الإهــداء

إلى صـديقنا البار الـكريم

الرئيس يوسف على على بهائى كريم جى جيونجى

الذى ساعدنا على إظهار

كتاب الزينة

ولم يبتغ من وراء ذلك غير وجه الله

وصل الله إحسانه وأيده بروح منه

حسين الهمدانى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

الأستاذ الدكتور إبرهيم أنيس

عميد كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

ودّ كثير من الدارسين فى العصر الحديث لو أمكن أن نتتبّع الألفاظ العربية فى العصور المختلفة ، لتتبيّن مدى تطوّرها من حيث الدلالة ، ولنقف على ما أصابها كلّها أو بعضها من تغير فى الاستعمال العلمى أو الأدبى جيلا بعد جيل حتى صارت إلى ما نألفه منها الآن .

وتلك الدراسة التى هى أمنية الكثيرين منا ، تعدّ بين اللغويين المحدثين فى الجامعات الأوربية دراسة حديثة نسبيًا حين تقاس بالنواحى الأخرى من الدراسات اللغوية ؛ فهم يطلقون عليها Semantics ، ويعنون فيها بدلالة اللفظ ونشأتها ونموّها ومجال استعمالها فى اللغة ، وما فيها من عنصر مركزىّ يشترك فيه كلّ أفراد البيئة اللغوية ، وعنصر هامشى يختلف عادة باختلاف الناس . ثم يعرضون لتطوّر هذه الدلالة بتطوّر العصور والأجيال وأسباب هذا التطوّر وعوامله فى بحوث مستفيضة توشك أن تصبح علما مستقلاً من علوم اللغة . وأول من وجّه الأنظار إلى هذه الدراسة فى أوربا Michel Bréal فى بحث جليل الشأن سمّاه Essai de Sémantique ، وجه فيه عنايته لبحث الدلالة فى بعض ألفاظ اللغات القديمة التى تنتمى إلى فصيلة واحدة كاليونانية واللاتينية والسنسكريتية ، وانتهى من بحثه هذا إلى قواعد عامّة فى تطوّر الدلالة . غير أنّ دراسة الدلالة فى بادىء الأمر قد اقتصرت على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها فى الصورة والمعنى ممّا ورد فى نصوص قديمة ليمكن إرجاعها إلى أصل معيّن تفرّع إلى عدّة فروع فى أنحاء

مختلفة . ولم يوجّه الدارسون فى بادىء الأمر عنايتهم إلى الجانب الاجتماعى وأثره فى تطوّر الدلالات ، ولا إلى المظاهر الإنسانية الأخرى ذات الأثر فى تغيّرها وتطوّرها ، أى أن دراستهم كانت منصبّة على النواحى الداخلية فى الألفاظ دون كبير اهتمام بالعوامل الخارجة عنها . ثم تطوّرت الدراسة ، وبدأت تعنى بالعوامل الخارجية من إنسانية أو اجتماعية ، وبدأوا يتساءلون عن الأسباب التى جعلت بعض الكلمات تنكمش فى دلالتها ، وبعضها ينحدر بعد أن كان ساميا أو يسمو بعد أن كان منحطا . ويعزون كلّ ذلك إلى أسباب وعوامل مرّت فى تاريخ الأمم وأدّت إلى مثل هذا التطوّر أو التغيّر . على أن بين هؤلاء الدارسين من وجّه كل عنايته إلى النفس الإنسانية وإلى العاطفة التى تظلّل الكلمات حين يستعملها الأفراد ، وتلك ناحية قد تختلف باختلاف الفرد ، فمن الناس من يفهمون الشىء المعيّن فهما خاصّا يخالف فهم غيره ، ويصطبغ فهمه بصبغة عاطفية شخصية . فإذا حدث أن مثل هذا الاستعمال الفردىّ الشخصى يصادف هوى فى نفوس جماعة من المستمعين قلّدوه ، فذاع وشاع ، وترتّب على ذيوعه وشيوعه نوع من التطوّر فى الدلالة .

ولعلّ أحدث الاتجاهات فى دراسة الدلالة أن يعمد الدارس إلى مجموعة من الألفاظ التى تنتمى إلى مجال واحد ، ثمّ يدرسها ليتبيّن منها ما نمت دلالته ، وما انكمشت فيه تلك الدلالة ، بل وما اختفت فيه هذه الدلالة على مرّ الأيام . وهكذا اتجه Jost Trier الألمانى إلى بحث الكلمات التى تتصل بالذكاء ، والتى وردت فى نصوص القرون الوسطى للغة الألمانية ، كما اتجه غيره إلى دراسة الكلمات التى تتصل بالأخلاق والفضيلة فى شعر تشوسر (Chaucer) . ويرى هؤلاء الباحثون أن مثل هذه الدراسة أجدى وأنفع من دراسة الكلمات منفردة منعزلة .

ولما كان العام ١٩٢٣ طالع علينا كتاب The Meaning of Meaning لمؤلفيه C. K. Ogden و I. A. Richards ، فعالجا مشاكل الدلالة من نواحيها المتعدّدة المعقّدة ، وبحثاها فى ضوء النظم الاجتماعية وفى ضوء الشعور والعاطفة والإرادة وغير ذلك من مشاكل علم النفس ، فأخرجا لنا عملا علميّا جليل الشأن .

ولم يكد ينتهى النصف الأول من القرن العشرين حتى شهدنا قوما من غير

اللغويين يقتحمون مجال البحث الدلالىّ ، ويدلون فيه بدلوهم متأثرين فى ذلك بما احترفوه من مهن ، أو تخصّصوا فيه من دراسة . فعالم الطبيعة P. V. Bridgeman فى كتاب له سمّـاه Logic of Modern Physics (نيويورك ١٩٣٨) يحدثنا أنّ عالم الطبيعة أمام كلمات مثل « الزمان ، المـكان ، الصوت » يقف موقفا مباينا لما يشيع بين جمهور الناس ، ويفهمها فهما خاصّا . ويحاول هذا الباحث أن يضع لنا قواعد نستدل بها على الدلالة فى كتاب آخر سماه The Intelligent Individual and Society (نيويورك ١٩٣٨) . ويرى أن الدلالة يجب أن تخضع للتجربة كما تخضع لها الظواهر فى العمل . فإذا لم تخضع إحدى الدلالات للتجربة وجب اعتبار مثل هذه الـكلمات ممّـا لا معنى له . فـكلمات مثل الديكتاتورية ، الديمقراطية ، الحرية ، إذا كان لم يبرهن على وجودها عن طريق التجربة عدّت عبثا وهراء ووجب إهمالها . أى أن هذا الباحث يرى إخضاع كل شىء فى الـكون إلى الأثر الشخصىّ للفرد فى المجتمع ، مهملا بهذا صلة المرء بمجتمعه ، ومتجاهلا أن القدرة على الـكلام لا تتمّ إلا فى مجتمع إنسانى . كذلك اصطبغت دراسة Thurman Arnold فى كتابه The folklore of Capitalism (نيوهافن ١٩٣٧) بعمله كرجل من رجال القانون حيث حدثنا عن سيطرة الألفاظ علينا وخضوعنا لها خضوعا يشبه الرق والعبودية ، ثم أيأسنا من علاج هذه الحال ، ولم يجد لنا مخرجا منها إلا بدواء مؤقت يمـكن أن نستمدّه من تحديد الدلالات .

أما أولئك الصحفيون من هواة البحث اللغوى أمثال Alfred Korzybski فى كتابه Science & Sanity و Stuart Chase فى كتابه Tyranny of Words (نيويورك ١٩٣٨) فقد نزلوا بالبحث الدلالى إلى مستوى جمهور الناس ، وأوحوا إليهم بآمال كبار عن طريق البحث فى الدلالة ، ذلك البحث الذى سيؤدى فى رأيهم إلى تجنب ما يصيب الإنسانية من ويلات ، وإلى علاج متاعب البشر من منازعات أوخصومات أو حروب . وهم فى كتاباتهم متأثرون بجوّهم الصحفىّ وما فيه من إسراف فى عرض المسائل . ولذا كانت كتبهم أشبه بأعمال الهواة منها ببحوث العلماء المتخصّصين .

ومهما يكن من شىء ، فدراسة الدلالة قد تخدم النواحى الاجتماعية فى كثير

من مظاهرها . وهذه الدراسة التى يعدها الأوربيون حديثة ، هى فى الحقيقة من المحاولات القديمة التى وضع علماؤنا من العرب اللبنة الأولى فيها . ولو قد أتيحت لها فرص النموّ والازدهار لوجدنا بين أيدينا الآن فيما يتعلّق بألفاظ اللغة العربية بحوثا علمية كاملة النموّ واضحة المعالم . غير أن المحاولة الأولى لبعض علماء العربية قد أصابها فى العصور المتأخرة ما يشبه النكسة . وظلّت جهود العلماء المتقدمين تتردّد كما هى فى كتب المتأخرين دون فهم صحيح لها فى غالب الأحيان . ومن المعروف لدى الدارسين أن هدف المتقدّمين من الدراسة اللغوية كان مقصورا فى بادىء الأمر على خدمة الدين . وذلك للصلة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامى. ولذلك لا ندهش حين نرى أبا عبيدة فى أواخر القرن الثانى الهجرى يوجه عنايته إلى شرح ألفاظ القرآن وتفسيرها فى كتابه « مجاز القرآن » الذى يعدّ بحق اللبنة الأولى فى تلك الدراسة الدلالية ، رغم ما عرف عن بعض معاصريه من العلماء من التحرج فى الإقدام على تفسير ألفاظ القرآن وبحثها على ضوء ما ورد منها فى نصوص أخرى شعريه أو نثرية . فقد عرف عن الأصمعى ذلك الحرج وإباؤه الخوض فى تفسير ألفاظ القرآن ومقارنتها بنظائرها فى الأشعار والنصوص الأدبية الأخرى . ثم كان أن تخلص بعض العلماء من ذلك التحرج ، وبدأوا يكتبون فى تفسير الألفاظ القرآنية وغيرها من مصطلحات دينية فى أواخر القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع . وهكذا مهد السبيل أمام عالم عاش فى تلك الحقبة من الزمن لوضع كتاب فى البحث الدلالى اعتبر عمدة الباحثين فى العصور التى جاءت بعده — ذلك هو « كتاب الزينة » لأبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى .

وقد تردّد ذكر هذا الكتاب فى ثنايا الكتب التى أُلّفت فى القرن السادس والسابع والثامن والتاسع من الهجرة . وأشار إليه المؤلفون فى تلك القرون كمرجع من مراجعهم يوثقون ما جاء فيه ، ويأخذون بأقوال صاحبه فى شرح الكلمات ، ثم اختفى ذكر الكتاب بعد ذلك عدّة قرون ، حتّى قيّض الله له فى عصرنا الحديث من عثر على عدّة مخطوطات منه ، فقام بتحقيقه ، وأعاد على الناس نشره . ورغم أنّ صفحات هذا المخطوط لا تكاد تجاوز أربع مئة صفحة من القطع الكبير ، ورغم أنّ ما اشتمل

عليه من ألفاظ أعدّت للشرح والتفسير فى حدود أربع مئة لفظ أيضا ، فإن هذا الكتاب لأصالة بحثه وقدم عهده يعدّ خير مرجع لشرح هذه الألفاظ .

وليست العبرة بكثرة الألفاظ أو قلّتها ، بل العبرة بأهمّية هذه الألفاظ من الناحية الدينية والاجتماعية ، فألفاظ الكتاب عبارة عن مصطلحات دينية ، بعضها ورد فى القرآن الكريم ، وبعضها ورد فى الأحاديث الشريفة ، وبعضها يتردّد على ألسنة الفقهاء من رجال الدين ، وكلّها ممّا يحتاج إلى الشرح والبيان ، وممّا تختلف فيه وجهات النظر ؛ فهى كلمات شائكة الدلالة ، وعليها ظلال من القدسيّة أو الروحانيّة ، وتتطلّب ممّن يعرض لها الحيطة والحذر . وذلك لأنّ أقلّ انحراف فى شرحها قد يجلب على الشارح نقمة العامّة أو الخاصّة أو الحكام ، وقد يوصف شارحها بالإلحاد والزندقة ؛ وهى نفس الكلمات التى فرّقت المسلمين الأوّلين شيعا وأحزابا ، وجعلت منهم فرقا متخاصمة متناحرة ، وأشعلت بينهم نار الفتن والخصومات . فلا غرابة إذن أن تناولها المتأخّرون على حذر ، واقتصدوا فى الخوض فيها أو الإسهاب فى شرحها ، مكتفين بترديد كلمات أبى حاتم فى تفسيره ، ومعتمدين عليه ، ليجنّبوا أنفسهم أىّ حرج ، وليجدوا من كلامه وهو العالم المتقدّم مايؤيد آراءهم ، فلا يتعرّضوا لنقمة أو خطر . فكلّما عرضت لهم إحدى تلك الكلمات التمسوا العون من أقوال أبى حاتم ، وحرصوا على نسبة الرأى إليه . ويكفى أن نعرف أن من بين هذه الكلمات : العرش ، واللوح ، والروح ، وجنّات عدن ، والقيامة ، والوحى ، وغير ذلك من ألفاظ قد يجلب الخوض فيها أشدّ النقمة وأقسى العذاب فى الدنيا والآخرة !

وكان أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى نفسه يتناول هذه الكلمات على حذر ، ويمرّ ببعضها مرورا عابرا ، لأنّه عاش فى أواخر القرن الثالث الهجرى حين ساد القلق والاضطراب بين المسلمين من الناحيتين الدينية والسياسية . ففى عهده كانت المؤامرات على الخلافة العبّاسية من الأمراء والحكّام وقوّاد الأتراك والمغاربة ، كما شهد أبو حاتم صراعا دينيّا بين السنّية والشيعة وبقايا المعتزلة ؛ ففى عصره كان المعتزلة قد تقلص

ظلّهم بعد محنة المتوكّل ، فانتصر مذهب أهل السنّة فى الشرق ، وظهر المذهب الفاطمىّ فى المغرب .

ولهذا فإنّ أبا حاتم فى كتابه يبدو لغويا أكثر منه فقيها ، فهو يطنب فيما يتطلّبه اللفظ من بحث لغوىّ ، ويقتصد فيما يتطلّبه من شرح دينىّ ، أخذا بالحيطة ، وابتعادا عن مجال الظنّة والمسائل الشائكة . وهكذا يعتبر كتابه كتابا لغويّا يمكن أن تتبيّن منه تطوّر هذه الألفاظ فى دلالاتها ، وما عرض لها من تغيّر أو تحوّل . وهكذا نراه يجاهر بانتمائه للمذهب السنّى ويأخذ بقول القائلين إن اللغة توقيفيّة ووحى من عند الله . ولعلّه بهذه المجاهرة يهدف إلى أن يجنّب نفسه تهمة التشيّع ، وأنّه داعية الفاطميّين فى المشرق ، كما يرى بعض الباحثين من المتأخرين . وسواء كان أبو حاتم سنيّا أو فاطميّا ، فهو فى رأيى ينتمى إلى مدرسة لغويّة سادت فى عصره — وهى « مدرسة الاشتقاقيين » ، الذين ربطوا بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا ، وحاولوا إرجاع كثير من الألفاظ المشتركة فى حروفها إلى معنى أصلىّ عام منه اشتقّت تلك الكلمات . فمعاصره ابن دريد المتوفى ٣٢١ صاحب معجم الجمهرة ، له كتاب صغير سمّاه «الاشتقاق» ، حاول فيه أن يرجع كلّ الأعلام المشهورة فى شبه الجزيرة إلى موادّ لغويّة اشتقت منها ، وتكلّف فى هذا وتعسّف ، إلى حدّ جعل اسم قبيلة «قضاعة» مشتقّا من انقضع الرجل أى ابتعد عن أهله ، وذلك لأنّ قبيلة قضاعة رحلت من جنوب الجزيرة إلى شمالها !

ويسلك أبو حاتم نفس المسلك فى علاجه للألفاظ ، فجنّة عدن فى رأيه مأخوذة من عدَنَ بالمكان أى أقام ، ومنه المعدن الذى يثبت فى الأرض ولا يبرحها !! غير مدرك أنّ كلمة « عدن » وردت فى النصوص العبرية القديمة فى سفر التكوين (الإصحاح الثانى والثالث) فى صورة لاتدع الباحث يتردّد فى أنها علم على مكان ، فى الأرض أو فى السماء لاندرى ، أى أنها اسم من أسماء الجنة . ومن الخير ألاّ نسرف الربط بينها وبين المادّة العربية المألوفة .

وقد بلغت هذه المدرسة الاشتقاقية الذروة على يدى ابن فارس فى أواخر القرن

الرابع الهجرى فى معجمه « مقاييس اللغة » ؛ وهو ممن قالوا أيضا بأن اللغة توقيفية ووحى من عند الله . فأصحاب هذه المدرسة يرون أن الاشتراك فى الحروف بين مجموعة من الألفاظ لم يكن عبثا أو وليد المصادفة ، بل لتشترك هذه الألفاظ فى دلالة عامة . ولذا كانوا يلتمسون أدنى ملابسة للربط بين الألفاظ المشتركة فى كل الحروف أو بعضها ، فاسم « إبليس » فى رأيهم مشتق من أبلس ، و « جهنم » لديهم مشتقة من التجهم ، وغير ذلك مما يوصف بالتكلف والتعسف . وقد أحب هؤلاء الاشتقاقيون اللغة العربية حباً جماً ، وفتنوا بألفاظها فتنة أوشكت أن تصبح عبادة . لذلك تصوروا فى تلك الألفاظ ما ليس فيها ، وحملوها ما لا تحتمل . ولا أدل على ذلك من ذلك الفصل الذى عقده أبو حاتم فى كتابه للاستدلال على فضل اللغة العربية وسموها على كل لغات البشر ، ففى رأيه أن العربية فى الذروة من اللغات ، وأن العبرية والسريانية والفارسية تحل مراتب أدنى منها ! أما اليونانية والهندية فلا ينسب لهما أى فضل ، بل يقول عنهما : « وإن القول بأن لهما أى فضل يعتبر قولا منبوذا عند أهل الملل »!! وحجته الكبرى فى فضل العربية أنها استكملت الحروف والأصوات ، فلما تذكر أن بالفارسية حروفا ليست بالعربية ، سماها حروفا مولدة ، لا أصالة لها ولا خير فيها !!!

ورغم شهرة أبى حاتم عن طريق كتبه فقد ضنت عليه كتب التراجم على كثرتها بترجمة واضحة لحياته ، فلا ندرى أين نشأ ولا أين تعلم . وقد تخبط الرواة فى أمره ، فهو فى رأى بعضهم أحد دعاة الفاطميين الوافدين إلى المشرق لنشر الدعوة ، غير أننا لا نكاد نعرف له ذكرا بالمغرب . وإنما نسمع عنه دائما بالشرق ، فهو ممن اتصلوا بثعلب ، وهو يجادل الرازى الفيلسوف فى بعض المجالس ، ويناقش النسفى فى بعضها الآخر . ولعل فكرة التشيع عنه قد أصابته من تلك الإشارات الكثيرة التى وردت فى كتابه عن على وآل على ، فهو إذا ذكرت نشأة النحو نسبها لعلى كرم الله وجهه ، وإذا ذكر عروض الخليل جعله من وحى رجل من أصحاب على بن الحسين رضى الله عنه .

ولعل فى نشر كتاب الزينة ما يحفز الهمم بين الدارسين فى عصرنا الحاضر على أن يتوفروا على تلك الدراسة الدلالية للألفاظ العربية متخذين من ذلك الكتاب الأسوة الحسنة . ويقوم الآن على نشر الكتاب وتحقيقه صديقنا الفاضل الدكتور حسين الهمدانى وهو من أهل العلم النابهين المتواضعين ، وقد قضى فى إخراج الكتاب زمنا طويلا ، فرجع إلى كل ما وجد من النسخ المخطوطة ، وقارن بينها فى أمانة العلماء ودقتهم وتحريهم الصواب ، وهو مع هذا يتواضع فيقول إنه لم يحقق كل ما كان ينشده فى نشر هذا الكتاب وإخراجه . والدكتور الهمدانى من ذوى الثقافة الواسعة والاطلاع الوافر ، ولا غرابة أن يخرج لنا هذا العمل المتقن الذى يعد مثلا يحتذى لكل من يرغب فى تحقيق أثر من تراثنا العربى القديم . وقد ظفرت كلية دار العلوم بالدكتور الهمدانى مرجعا علميا زاخرا لكل الدارسين فيها . ويسرنى كعميد لهذه الكلية وكأستاذ لمادة فقه اللغة أن أكتب هذا التصدير ، سائلا المولى أن ينفع بجهود الدكتور الهمدانى طلابه والمعجبين به ، وأن يجزيه عن العلم وأهله خير الجزاء .

إبراهيم أنيس

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة
القاهرة فى ١٩٥٦/١٢/٨

ومع كل ما ذكرناه ، فلسنا ننتقص من قيمة كتاب الزينة أو ننكر فضله بين كتب اللغة ، فيكفى أنه أول كتاب فى العربية يعالج دلالة اللفظ وتطورها ، ويسوق النصوص والشواهد الصحيحة التى تؤيد ما يقول ، ويرتبها بعض الأحيان ترتيبا تاريخيا ، يتبين القارىء منه أصل الدلالة وكيف تطورت ، ويستطيع أن يستنبط سبب هذا التطور . وتلك هى الظاهرة التى افتقدناها فى كل معاجمنا العربية من الجمهرة إلى القاموس المحيط رغم ضخامتها وشمولها لمعظم ألفاظ اللغة .

ولعل السر فى انصراف أصحاب المعاجم عن هذا الترتيب التاريخى لدلالة الألفاظ العربية أنهم نظروا إلى كل عصور الاحتجاج فى اللغة على أنها عصر واحد ، وأنه يكفى فى اللفظ أن يكون عربيا صحيحا ، فصيحا كان أو غير فصيح ، ليستحق التدوين والتسجيل فى تلك المعاجم . وهكذا خلقوا لنا مشكلة الترادف والاشتراك اللفظى التى اضطربوا فى شأنها ، واختلفوا فى تفسيرها ، وورثونا من جرائها آلافا من الكلمات الحائرة التى أطلقوا عليها المترادفات والمشترك اللفظى ؛ ولعل كثيرا منها بل لعل معظمها لم يكن إلا وليد التطور التاريخى فى صورته أو فى دلالته . ولو قد نهج أصحاب المعاجم نهج أبى حاتم لكان بين أيدينا الآن معجم تاريخى لألفاظ اللغة فى العصور المختلفة . وتلك هى الأمنية العزيزة التى يتطلع إليها كل محب للغتنا العربية ، والتى دعت المستشرق فيشر Fischer إلى أن يقضى من عمره حوالى نصف قرن محاولا تحقيقها ، من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٥٠ ، ثم توفى غير مخلف لنا سوى جذاذات لمشروعه الضخم الذى نرجو أن يضطلع المجمع اللغوى بإخراجه فى يوم من الأيام . فاستمع إلى بروفيسر فيشر إذ يقول فى تقريره المقدم للمجمع اللغوى : « ويرجع تفكيرى فى تأليف معجم كبير للغة العربية الفصحى يفى بالحاجات العلمية للعصر الحاضر إلى العشر الأول من القرن الحالى . وقد عرضت أمرى هذا لأول مرة على الرأى العام فى سنة ١٩٠٧ فى بازل (Basle) للمستشرقين الألمان » ، وحين يقول : « وهذا المعجم كما يستدل من عنوانه معجم تاريخى للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، أى حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة الفصحى من الكمال » .

مقدّمة

الحمد لله الذى هدانا إلى العلم والحكمة ، « وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » ، والصلاة والسلام على نبيّه ورسوله .

اسمك يا ألله كان أوّل اسم عرفته الدنيا ، وخشعت له الخليقة . وباسمك يا باسط السكون ويارافع السماء ، سبّح آدم ومن بعده الأنبياء والرسل . وبأسمائك كلّها التى علّمتها آدم ، قدرنا أن نلمّ بما اتّسعت له عقولنا وما امتدّت إليه بصائرنا . فلك الحمد ، ولك الشكر ، يامن نوّرت بصائرنا ، ويامن جعلتنا نسمو على بقيّة الكائنات بالعقل الراجح والفكر السابح !

وبعد فقد وضع الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمْدان الرازىّ كتابا جامعا فى أوائل القرن الرابع ، كان أوّل مرجع يتضمّن الأسماء العربيّة التى نطق بها القرآن ، والأسماء التى اصطلح عليها المسلمون ، وسمّاه كتاب الزينة . وقد حاول المؤلف فى هذا الكتاب أن يجمع من شتى الألفاظ العربيّة ، ألفاظا تغيّرت مدلولاتها ومعانيها فى العصر الإسلامىّ ، عمّا كانت عليه فى العصر الجاهلىّ . وبعمله هذا وضع اللبنة الأولى فى علم معانى الأسماء العربيّة والمصلحات الإسلاميّة (Arabic Islamic Semantics) . وقد تتبّعنا ما وُضع من الكتب فى هذا الموضوع حتى القرن الرابع ، فلم نعثر على كتاب يعالج هذا اللون من الدراسات ، (١) غير أننا نعتقد أنّ صاحب الزينة وضع كتابه على هدى ماجاء فى كتاب غريب القرآن لابن قتيبة . (٢)

---

(١) وجه الأستاذ عبد العزيز الميمنى نظرنا الى كتاب الزاهر لأبى بكر بن الأنبارى (تو ٣٢٨) والى كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة (تو أواخر القرن الثالث) وهما وضعا فى نفس العصر الذى وضع فيه كتاب الزينة . نقول ان صاحب الزاهر أوضح فى مقدمة الكتاب أنه يفسر فى مؤلفه « ما يستعمله الناس فى صلاتهم ودعائهم ... وما يستعمله العوام فى أمثالها ومحاورتها من كلام العرب ... » . وأما الفاخر فهو فى الأمثال ، لا فى موضوع الزينة . وأشار الأستاذ الفاضل الى أسماء هذه الكتب الثلاثة قائلا انها تدل على ازدهار علوم العربية وتنمية معارف الاسلام فى ذلك العصر .

(٢) اطلب ص ٢٠ هامش رقم ٢ من هذه المقدمة .

ومن العلوم الحديثة التى يتميّز به عصرنا هذا ، علم معانى الأسماء .

ومن موضوعات علم الأسماء ومعانيها معرفة الأسماء (Nomenclature) ومعانيها (Significance) وأصولها واشتقاقاتها وبنيتها ، وعلاقاتها بالعلوم اللغوية أوالفلسفية أو الطبيعية ، وتطوّرها التاريخى ، وتنقلها من مكان إلى مكان ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن جماعة إلى جماعة ، وتطبيقها فى لغة التخاطب والكتابة . ويشمل هذا العلم علوما شتى كما أنه يستمدّ أصول مادّته من معارف متنوّعة . وليس البحث بحثا لغويا صرفا ، بل يتناول جميع المعارف التى أدركها العقل الإنسانى والمجهود البشرىّ من علوم ولغات وكشوف ومخترعات ونظريات . وقد سُمِّى هذا النوع من البحث فى فقه اللغة فى لغات الغرب باسم « سيماسيولوجيا » (Semasiology) أو « سيمانتكس » (Semantics)؛(1) وقد تطوّر هذا العلم وازدهر فى اللغة الألمانية ، وهو يُعرف بها باسم « الأسماء والأشياء » (Namen u . Sachen) .(2)

وفى سنة ١٨٩٧ م ظهرت رسالة للعالم اللغوىّ الفرنسى مايكل بريال (Michel Bréal) تحت عنوان Essai de Sémantique وضع فيه أصول علم الأسماء ومعانيها (Science de Sémantique) ، ثم قامت السيدة الإنجليزية ويلبى (Lady Welby) فى الموسوعة البريطانيـة (الطبعة الحادية عشرة) بتوسيع موضوع بحثها وسمّته « سيغنيفكس » (Significs) أى علم معانى الألفاظ ، وذلك أنها أدخلت فى أبحاثها هذه عناصر تطبيق نظريات العلم فى جميع أطوار النشاط الفكرى ، وفى لغة التخاطب والكتابة . وازداد اهتمام علماء الغرب فى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين بدراسة تطور اللغات وعلاقاتها بالمدنية والحضارة . وذلك لأنهم وجدوا فى اللغه وسيلة هامة إلى فهم الحضارات . فمنهم من حاول إثبات القرابة والنسب بين الحضارات القـديمة من السمات الهامة فى اللغات الرئيسية ، ومن أراد تفسير طبيعة التغيرات اللغوية من طبيعة التغيرات فى العالم الطبيعى ، ومن أشار

---

(١) هى مأخوذة من كلمة يونانية « سيما » (Σῆμα) وهى الاشـارة والرمز ، ومنهـا « سيما نتيكوس » (Σημαντικός) اى المعنى .

(٢) وقد سبق صاحب الزينة عصرنا هذا اذ تحدث عن الاسماء والاشياء والاسم والمسمى فى باب ما جاء فى بسم الله الرحمن الرحيم من كتاب الزينة .

إلى الدوافع النفسية الفسيولوجية (Psychophysiological) فى التغيرات اللغوية وإلى الظاهرة الاجتماعية فى النظام اللغوى . وقد نتج عن ذلك أن اتسعت أمام علماء الغرب رقعة البحوث فى هذا الموضوع مما جعله من بعد آدابا ضخمة فى لغاتهم .

وتاريخ تطور هذا النوع من علم فقه اللغة حديث وقديم ، فهو حديث للمعنى الذى ذكرناه فيما سبق ؛ وهو قديم لأنه يرجع إلى أول ساعة نطق لسان الإنسان فيها بالصوت واللفظ والاسم ، وإلى ساعة أن نشأت اللغة من بدء الخليقة . ومهما كان اختلاف علماء اللغة فى كيفية نشوء اللغات ، إما بالتوقيف والوحى ، كما ذكره صاحب الزينة وغيره من العلماء ، وإما بالتواضع والاصطلاح ، كما قاله ابن جنى والمعتزلة ، وإما بأنها نشأت من الأصوات المسموعة ، أو انتزعت من الرموز ، فقد أجمع الجميع على أن « الفضل فى معرفة أسماء الأشياء » ، كما ذكره صاحب الزينة فى مقدمة الكتاب وكان الفلاسفة فى جميع العصور أكثر اهتماما بكيفية نشوء اللغات من علماء اللغات ومؤرخيها . وبالرغم من أن الفلاسفة وعلماء اللغة أتوا بنظريات عديدة وآراء مختلفة فإنها لم تحل هذه المشكلة بعد ، حتى التجأ بعض المعاصرين منهم إلى القول إن اللغات علمها الله الآدميين الأولين (راجع Enc. Br. مقال Language) .

وكان لفلاسفة اليونان نظريات وآراء فى هذا الشأن ، كما كان لهم سبق فى غير ذلك من ميادين المعارف والعلوم ويكفى هنا أن نشير إلى ما قال هرقليطس الأفسوسى وأنا كساغوراس والرواقيون عن وظيفة العقل (Noũs) ، وأفلاطون عن تأثير خالق محرك ذى عقل (Δημιουργός) ، وأن نشير إلى ما أتى فيلون الإسرائيلى الإسكندرانى بنظرياته الخطيرة عن « لوغوس » (Λόγος) وهى الكلمة . وظلت « لوغوس » محتفظة بصفتها التجريدية عند فيلون ، حتى تجسمت فى إنجيل يوحنا ، لأن القديس جعل المسيح كلمة مجسمة — كلمة خالدة أزلية « ألقاها إلى مريم » . وكانت « الكلمة » التى تحولت إلى « اللحم » قد عاشت منذ الأزل ، وتبلورت فى المسيح بوصفه « كلمة الله » .

وتبعهم المفكرون من المدرسة الأفلاطونية الحديثة ، ووضعوا كلامهم عن العقل الفعّال وهو الكلمة والنفس المنبعثة منه ، ثم أتوا بنظمهم من الإبداع والانبعاث والعوالم . فكان الأصل ، كما قررته مدرسة الإسكندرية ، هو العقل (Nοῦς) أو الكلمة (Λόγος) التى نشأت عنها الكائنات واللغات والعلوم والمعارف.(١)

***

وأمّا فى العهد الإسلامىّ فقد أدرك العلماء من الصحابة والتابعين من الصدر الأوّل ، علاقة الألفاظ باللغة والقرآن والحديث ، وبدءوا بتفسير غريب القرآن ، واحتجّوا بالشعر واللغة . وقد خاض علماء العربيّة وأئمّة اللغة فى هذا الميدان ، وذلك لتعلّقهم بالقرآن وسنة النبى ، ولاعتقادهم أن اللغة ليست إلا أداة للتعبير عن ظاهر اللفظ من كلام الله وتفسير معانى الألفاظ التى نطق بها القرآن والكلمات التى سنها النبى . وكان أن أوجد هذا الاعتقاد فى وظيفة الكلمة أثرا بليغا فى تطور الآراء والأفكار الإسلامية ، إلى أن أصبح متعذرا على المسلمين أن يفكروا — ولو لحظة — فى فصل اللغة العربية عن علوم الإسلام ، أو أن يفكروا فى علوم الإسلام وعلوم الشريعة ، بدون استخدام اللغة العربية وكان أصحاب العربية يرون أن دراسه العربية يجب ألاّ تكون لشىء إلا خدمة القرآن وسنّة رسول الله . وكان أبو عمرو بن العلاء إمام العربية وأحد القرّاء السبعة المشهورين قد خرج من هذا إلى أن لغة القرآن ودراسة معانى ألفاظ القرآن يجب أن يكون هدفه وهدف كل مسلم ، إلى أن الشعر واللغة لا يقصد بدراستهما إلا خدمة الإسلام . وكان أبو سعيد الأصمعى أكثر صرامة فى تدينه ممن سبقه من أصحاب العربية ، وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيئا من القرآن . ولذلك خالف أبا عبيدة معمر بن المثنى فيما أتى به فى كتابه « مجاز القرآن » من تفسيرات لغوية . وكان أبو عبيدة قد أسس مدرسة فى تفسير القرآن « عمدتها الأولى

---

(١) اننا لانستبعد العلاقة بين « اللغة » و« لوغوس » ، ونميل الى الاعتقاد أن لفظ اللغة قد تكون العرب أخذته من « لوغوس » ، ثم عربته . ولم نعثر عليه فى الشعر القديم الا فى بيت نسب الى عنترة (وليس البيت من ديوانه) ، ولم يرد فى التنزيل العزيز .

الفقه بالعربية وأساليبها » (راجع مقدمة محمد فؤاد سزگين المجاز ١ / ١١) . ولم يسلك أبو عبيدة مسلكه اللغوى فى تفسير القرآن وحده ولأول مرّة ، بل سبقه العلماء من الصحابة مثل عبد الله بن عباس ومن بعدهم التابعون والفقهاء الذين كانوا يحتجون باللغة والشعر فى غريب القرآن والحديث . وكان الفقهاء والمحدثون المحافظون قد بدءوا منذ فجر الإسلام فى معارضة المحاولة التى قام بها اللغويون لتفسير معانى القرآن والحديث . وقد اضطر أصحاب العربية إلى أخذ نهج المحدثين فى التثبّت والإسناد . وأملى حفاظ اللغة من اللغويين المتقدمين بإسنادهم كلاما عن العرب فيه غريب يحتاج إلى تفسير . وكانت طريقتهم فى الإملاء والجرح والتعديل هى طريقة المحدثين سواء بسواء ، كما قال السيوطى (المزهر ٣١٢/٢) : « وعلم الحديث واللغة أخوان يجريان من واد واحد » .

وهذا الاتجاه الدينى فى منهج اللغويين واضح كل الوضوح فى معالجة مسألة الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . وقديما دخلت كلمات أعجمية كثيرة إلى لغة العرب ، كما نرى فى شعر عدى بن زيد والأعشى الأكبر وأمية بن أبى الصلت ؛ ولم ينكر أحد وجودها فى اللغة . وأما القرآن فكان هذا فيه أمرا غير هيّن فى نظر المفسرين وعلماء العربية ، لأنهم وجدوا فيه « كلمات لم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم » ، ووجدوا فيه « شيئا من ألفاظ العجم ولغاتهم » . فأثار وجود هذه الكلمات فى اللغة البحث : هل ينافى ذلك ماجاء فى التنزيل من أنه « بلسان عربى مبين » . وبعد أن رأينا ما كان من أثر التفكير الإسلامى السائد فى معالجة المسائل اللغوية فإننا لا نرى غرابة فيما زعمه أبو عبيدة وغيره من أصحاب العربية من أن القرآن ليس فيه شىء من كلام العجم . وقد وافقه على هذا الرأى معظم اللغويين ، كما ذكر بعض المصادر ، مع أن الفقهاء والمحدثين فى الصدر الأول تمسكوا بما روى عن العلماء من الصحابة والتابعين من وجود كلمات أعجمية فى القرآن ، إلا أن الإمام الشافعى فى الرسالة / شاكر ٤٠ أعلن أن الأحرف التى يقال إنها أعجمية ما هى إلا كلمات عربية فى أصولها وبنيتها .

وأراد أبو عبيد القاسم بن سلاّم الأزدى (تو ٢٠٤) إمام أهل عصره

فى علوم الحديث واللغة أن يوفق بين المدرستين ، وأن يحل هذه المشكلة حلا علميا سليما ، إذا أثبت وجود كلمات « أعجمية الأصول عربية الألفاظ » . وعلى حين كان أبو عبيد يوفق بين وجهتى النظر ، كان يؤيد ما قاله المفسرون من الصحابة والتابعين من وجود ألفاظ أعجمية فى القرآن . وبالرغم من أن النصر قد كتب لرأى أبى عبيد فإن المفسرين واللغويين لم يقبلوا رأيه فى كل تفاصيله وفى كل زمان ؛ ومال بعضهم إلى ماقال أبو عبيدة (المجاز / سزكين ١ / ١٧) من أن « اللفظ يوافق اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد » . وقد أيد الطبرى فى تفسيره ٦/٦ والثعالبى فى فقه اللغة ٣١٥ نظرية أبى عبيدة من أن هذه الألفاظ قد تكون من توافق اللغات ، أى توجد فى اللغات وتوجد فى العربية . ويبدو أن أبا حاتم يؤيد رأى أبى عبيد ، غير أنه لا يقول هذا فى صراحة .

ومما سبق نرى أن بين اللغة العربية وعلوم الإسلام رابطة لا تنفصم بأى حال من الأحوال ، رابطة قلما توجد فى حضارات العالم بين لغاتها ودياناتها . وقد بدأت الدراسات اللغوية فى جميع المناحى على أساس التفكير الإسلامى . ولذلك نرى أن أبا حاتم الرازى قد بين فى مقدمة كتابه الزينة أن « الذى يريد تفسيره من معانى الأسماء :

١ — ما هى قديمة فى كلام العرب ، واشتقاقاتها معروفة ؛ ومنها أسام دل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الشريعة ونزل بها القرآن ، فصارت أصولا فى الدين وفروعا فى الشريعة ، لم تكن تعرف قبل ذلك ، وهى مشتقة من ألفاظ العرب ؛

٢ — وما جاءت فى القرآن ولم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم . . . ؛

٣ — وما جاءت فى القرآن من ألفاظ العجم » .

جمع المؤلف فى كتابه هذا بعض الأسماء التى وردت فى القرآن ، والألفاظ التى اصطلح عليها المسلمون ، وذكر معانيها ومدلولاتها الجاهلية والإسلامية ، واستشهد على ذلك بالشعر المعروف ، وأورد فيها ما روى عن علماء العربية وأهل التفسير فى تفسير كل كلمة ، « إذ كانت متفرقة فى مصنفاتهم ورواياتهم ، ولا يوقف منها إلا على الحرف بعد الحرف إذا مرّ فى كتاب أو ذُكر فى رواية . وكثير منه مما لم يدّون عنهم ، ولم يفسر تفسيرا شافيا » .

وبالرغم من أن الذى أراد المؤلف تبيانه هو تفسير كلمات جاءت فى القرآن والشريعة ، كما ذكره فى مقدمة الكتاب ، فإنه يدخل فى ميدان أوسع من المقصود الأصلى ، لأنه يفسر كلمات توجد فى العالم (١) مثل السماء والأرض والإقليم والجزيرة وغيرها من أسماء المدن العربية المشهورة ، وكلمات دار حولها كلام المسلمين مثل القدر والقضاء والعرش والقلم وأسماء المذاهب الإسلامية ، وكلمات لها خطر فى حياة المسلمين الدينية والعلمية والاجتماعية .

وقد ذكرنا آنفا أن موضوعات كتاب الزينة كانت منتشرة متفرقة فى مؤلفات علماء العربية والمفسرين . ويدل على ذلك ما يكثر فى الكتاب من ذكر مجازات أبى عبيدة ومعانى الفراء وتفسيرات ابن قتيبة الدينورى. (٢) فأخذ أبو حاتم على عاتقه أن يجمع فى الزينة بعض تلك الكلمات التى شاعت فى كتب العلماء ، والتى صارت بفضل اهتمامهم واستعمال الأمة (usus) مصطلحات فى المجتمع الإسلامى .

وحاول صاحب الزينة أن يفسر معانى الكلمات التى تغيرت مدلولاتها فى العصر الإسلامى عما كانت فى العصر الجاهلى ، وإن لم تكن هذه المحاولة مطردة متواصلة .

---

(١) ومن الطريف أن كلمة كوسموس (Cosmos) اليونانية وهو النظام الحسن (bon ordre) فى العالم نقلها المترجمون القدامى بلفظ « الزينة » ، كما أشار اليه صديقنا الدكتور محمود الخضيرى .

(٢) ونخص هنا بالذكر ابن قتيبة الدينورى ، لأن أبا حاتم – كما يظهر – وضع كتابه الزينة على هدى ما جاء فى الجزء الأول من كتاب غريب القرآن (خط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠٠) لابن قتيبة ، ولا نستبعد أن يكون غريب القرآن لدى صاحب الزينة نواة لمشروع كتابه . يفتح ابن قتيبة كتاب غريب القرآن بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته التى جاء ذكرها فى التنزيل ، ويتبع ذلك «ألفاظا كثر ترددها فى الكتاب» مثل الجن والانس وابليس والشيطان والنفس والصور واللعن والشرك والكفر والظلم والفسق والفجور والنفاق والصلاة والزكاة والشعائر والحج والقرآن والسورة والآية والمثانى والمفصل والتوراة والانجيل والزبور والكتاب وأساطير الأولين ، ويتلو هذا الجزء تفسير سورة الفاتحة . وهذه الألفاظ هى نفس الألفاظ التى أوردها أبو حاتم فى كتاب الزينة ، وضم اليها جميع تفسيرات ابن قتيبة . وكان ابن قتيبة يهدف الى تفسير غريب القرآن ، فمر بهذه الكلمات مر الكرام ، وانصرف الى تفسير الغريب . ثم أخذ أبو حاتم بوسع رقعة البحث عن أسماء الله الحسنى وعن الكلمات التى كثر ترددها لا فى الكتاب فحسب ، بل فيما جاء فى سنة رسول الله ، وفيما جاء فى الشريعة ، وفيما وضعه المسلمون ، فجعل كتابه كتابا مستقلا فى تفسير معانى الكلمات العربية الاسلامية .

فهو يبدأ أحيانا بشرح الكلمة كما كانت مفهومة عند العرب قبل الإسلام ، ثم يسير إلى أن يشرحها كما وردت فى القرآن والحديث ، ويورد فيها آراء اللغويين والنحويين المتقدمين . وأحيانا نراه لا يراعى هذا التسلسل الزمنى ، بل يبدأ بمدلولها الإسلامى ويستشهد بالقرآن والحديث قبل أن يحتج بالشعر واللغة . وكثيرا ما يفسر الكلمات تفسيرا لغويا صرفا ، يأتى باشتقاقاتها ومعانيها ، ولا يهدف فيه معنييها الجاهلى والإسلامى .

وإذ كان صاحب الزينة يجمع الأسماء والكلمات التى شاعت فى بحوث علماء العربية وأهل التفسير ، وإذ كان يجمع الألفاظ التى استعملها المسلمون واصطلحوا عليها بمدلولات حديثة ومعان لم تكن العرب تعرفها قبل مبعث النبى ، فإنه كان يضع كتابا فى « سيمانتكس » أى علم الأسماء ومعانيها ، فى نطاق إسلامىّ محدود : ولم يكن هدفه جمع الأسماء العربية ومعانيها ومصطلحات المسلمين إلا إيثار « النفع لأهل الرغبة فى العلم والأدب ، ولأهل الدين والحسب ، لسقوط مؤنة البحث عنه والمشقة فى تتبع حرف بعد حرف منه فى الكتب والشعر » ، وسمّاه « كتاب الزينة ، إذ كان من يعرف ذلك يتزين به فى المحافل ، ويكون منقبة له عند أهل المعرفة .

وكان صاحب الزينة يهدف فى جمعه الأسماء العربية والمصطلحات الإسلامية وتأليفه وتفسيراته ، إلى تحقيق هدف لغوىّ صرف ، وإلى تحقيق هدف إسلامى بأعم معنى الكلمة ؛ ويحاول أن يكون بعيدا عن اختلافات أصحاب الملل والنحل ، وبعيدا عن اختلاف الفقهاء فى فروع المسائل الفقهية ، وبعيدا عن اختلاف النحويين فى دقائق النحو — يحاول كل هذا إن وجد إلى ذلك سبيلا . وهو يسلك المنهج المألوف — منهج الاشتقاقيين ، ويأتى بتفسيرات لغوية واشتقاق كلمات فى أسلوب علمىّ سلس لا تومىء إلى أنه ينتمى إلى مدرسة خاصة ، غير أنه كان — كما يظهر مما أشار إليه فى كتاب الزينة — على اتصال وثيق بمعاصره أبى العباس ثعلب ، ببغداد .

* * *

وكان المؤلف محافظا فى ميوله الدينية ، وكان محدثا مبرزا ، فيستشهد بأحاديث

معروفة ، ويجانب منها الضعيف والموضوع ، ويحاول ألاّ يظهر بمظهر الرجل الذى يتبع نِحلة دينية خاصة . وكان حين يفسر أسماء الملل والنحل تفسيرا لغويا ، يحاول جهده أن يأتى بحقائق معروفة ، ثم يتركها بدون تعليق ، إلا أنه ينسب نفسه إلى أهل السنة والجماعة . وحبه للامام على بن أبى طالب وأهل بيته واضح وضوحا كبيرا .

وعلى الرغم من أنه حاول جاهدا إخفاء آرائه وميوله فقد كان من المتعذر عليه التزام المنهج اللغوى البحت . والواقع أن الخلاف الدينى كان قد تغلغل بين المسلمين منذ الصدر الأول لدرجة تعذّر معها عدم تحيزه والكشف عن ميوله ومحاباته . وليس أدل على ذلك من وصفه لفرق أصحاب الإرجاء التى أقحم فيها مذاهب أهل السنة ومذاهب أهل الحديث وأصحاب الرأى والاعتزال ، وكذلك من وصفه لفرق الخوارج وبعض فرق الشيعة . ومع ذلك استطاع أن يبدو محايدا وغير متحيز فى نظر بعض الناس على الأقل ، كما يتضح مما تصوره مرتضى بن الداعى الحسنى الرازى صاحب كتاب تبصرة العوام / عباس إقبال ١٤٦ و ١٥٧ من أنه (أى أبا حاتم) كان من الشافعية ، كما ظن صاحب الروضات ١/٨٨ أنه إمامىّ جعفرى . وهكذا لم ينسب إليه العلماء أمثال البطليوسى وياقوت الحموى والعينى والبقاعى والسيوطى شيئا من الميل الدينى والتحيز السياسى .

وقِسم المِلل والنحل والمذاهب الإسلامية من أهم أقسام الكتاب . وهذا الجزء يعتبر من أقدم المصادر لتاريخ تطور الآراء الدينية . وبعد أن يصف أبو حاتم الأديان الأخرى يتحدث عن معانى « أهل السنة » و « وأهل الشيعة » و « المرجئة » . وهو يصف أهل السنة بأنهم جميع أولئك الذين انضموا واتحدوا تحت زعامة إمام واحد ، وأهل الشيعة بأنهم أولئك الذين اتبعوا الإمام على بن أبى طالب . ويصف الإمام بأنه المثل الأعلى لأهل السنة والجماعة ، بخلاف أهل البدعة والفرقة ، والمؤلف فى هذا المقام لا يذكر شيئا عن الطائفة التى ينتمى إليها . وهو لا يذكر مذهب الدعوة الفاطمية وأصلها وفروعها ، ولا يقول إنه من أولى الدعوة .

وكان أبو حاتم حَذِرا كل الحذر فى معالجة موضوع الملل والنحل الإسلامية فقد

سلك فيها مسلك اللغوى ، حتى وصفه السيوطى فعلا بأبى حاتم اللغوى ، وقد أصبح كتاب الزينة عند السيوطى مرجعا للألفاظ الدخيلة فى القرآن . ومع ذلك فإن فاطمية أبى حاتم كانت من الشهرة والذيوع بحيث لا تترك مجالا لمناقشتها ، كما أن ميوله للمذهب الفاطمى لا تخفى على من له إلمام بمبادىء هذه الدعوة ، وقد أشرنا إليها فى مظانها . ولم يكن أسلوبه الذى سجل به كتابه إلا وسيلة دقيقة للتأثير فى الدارسين ، حتى لا يتأثروا أو يصدموا بحقيقة معتقداته الدينية وميوله السياسية .

ثم إن القول بأن بعض الكتاب كالأشعرى وابن حزم والبغدادى والشهرستانى وغيرهم قد عالجوا موضوع الملل والنحل بتفصيل لم يقم به أبو حاتم ما هو فى الواقع إلا قول لا يقلل من قيمة إنتاج أبى حاتم وأهميته . والواقع كذلك أن كل من يقرأ ما أورد أبو حاتم فى الزينة ، لا يسعه إلا أن يبدى إعجابه بسعة أفقه ، وبتقديمه أصول مادته تقديما واقعيا . ويكفى أن نشير أن هذا القسم من الكتاب من أقدم المصادر لموضوع المذاهب الإسلامية .

* * *

ونحن لا نعرف على وجه التحديد متى وأين ألف أبو حاتم كتاب الزينة . والغالب على الظن أنه ألفه قبل تأليف النوبختى (المتوفى قبل سنة ٣١٠) كتاب فرق الشيعة ، أى فى أوائل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى . وذلك لأننا بمضاهاة ما جاء فى الكتابين عن الملل والنحل نخرج بالرأى أن أحدهما لابد أن يكون مرجعا للآخر . ونحن نميل فى هذا الصدد إلى ما قاله عباس الهمدانى فى مقاله التالى :

« وذكر أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَينى الرازى (٢٦٠ — ٣٢٩) أن المحدث أبا القاسم سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القُمّى (وكان من رواته مقدما) كان قد أخذ عن « أبى حاتم الرازى » . وقد ظن الطوسى (رقم ٥٩٩) أنه يعنى أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلى الرازى (تو سنة ٢٧٥) . وينقل الكشّى والطوسى فى كتبهما عبارات للقمى . وهذه العبارات لا تختلف عما جاء فى كتاب فرق الشيعة للنوبختى . وقد أشار بروكلمان فى GAL, suppl. 1 ص ٣١٩ أن هذه العبارات التى نقلها الكشى والطوسى من روايات القمى ، تدل على أن القمى

والنوبختى كلاهما يستند إلى « الأصل المشترك » . ونحن نرى أن هذا الأصل المشترك ماهو إلا كتاب الزينة ، وأن أبا القاسم القمى كان قد أخذ عن أبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى . وإذا ضاهينا ما أورده أبو حاتم عن فرق الإسلام ومذاهبه بكتاب فرق الشيعة للنوبختى ، وجدنا بينهما أوجه شبه كثيرة ، منها مثلا وصفهما للفرق التى قالت بإمامة حسن بن على ، فهما لا يختلفان لا فى لفظهما ولا فى معنيهما ، بل يكاد يكون وصف كل منهما مطابقا للآخر كل المطابقة ، حتى فى ترتيب هذه الفرق وتحديدها . ولا يجد القارئ فى كثير من موضوعاتهما أى تناقض فى الرأى أو أى اختلاف فى وجهات النظر ؛ وذلك يثبت أن أحدهما لابد أن يكون قد اطلع على إنتاج الآخر . وإنى أرى أن النوبختى قد توسع فى كتابه فرق الشيعة عما أورده أبو حاتم فى الزينة من وصف بعض الفرق ، وغيّر بعض الشىء بحسب ميوله ، وأضاف إلى الفرق التى ذكرها أبو حاتم طائفتى البشرية والنميرية ، كما أضاف ثلاث فرق أخرى إلى الفرق التى ذكر أبو حاتم أنها قالت بإمامة حسن بن على .

« وجاء فى السبع الخامس من كتاب عيون الأخبار للداعى إدريس عماد الدين القرشى اليمنى أن « كتاب الزينة ، لما ألفه صاحبه أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى ، حمل هذا الكتاب إلى القائم بأمر الله [ابن المهدى عبيد الله] فى أجزاء كثيرة وكراريس غير مجلدة . فدفع منه إلى المنصور بالله [ابن القائم] أجزاء ، وأمره أن ينظر فيه ويتدبره . . . » إلخ . وإذا قال قائل : إن الكتاب قدم للخليفة الفاطمى الثانى القائم (٣٢٢ — ٣٣٤) عقب توليه الخلافة مباشرة ، فإننا نقول : إن عبارة العيون لا تدل دلالة واضحة على أنه قدم بعد توليه الخلافة (أى سنة ٣٢٢) ، وهى السنة التى توفى فيها أبو حاتم . وهذا القول ما هو إلا فرض وتخمين » .

* * *

ومهما يكن الأمر ، فإن أبا حاتم قد نجح إلى حد كبير فى تقديم موضوعات الكتاب تقديما لغويا واقعيا . وقد نجح كذلك فى أن يجعل كتابه نافعا للأديب والفقيه والعامة والخاصة . وبقى كتاب الزينة مرجعا ثابتا للدارسين طوال هذه القرون . وقد ذكر ابن النديم كتاب الزينة ومؤلفه مرتين فى الفهرست / فلوغل

١٨٨ و ١٨٩ . ورجع إليه أبو محمد عبد الله بن محمد عبد الله بن السيد البطليوسى (٤٤٤ — ٥٢١) فى كتابه الانتصار ممن عدل عن الاستبصار فى ذكر مذهب القطعية من الشيعة فقال : قال أبو حاتم الرازى : إن هذه الفرقة سميت القطعية ، لقطعهم على موته ، والقول بإمامة على بن موسى بعده ... إلخ . وأورد ياقوت الحموى (تو ٦٢٦) فى معجم البلدان / وستنفلدج ١ المقدمة ب ٢ ص ٢٦ آراء العلماء فى اشتقاق « الإقليم » فقال : وعلى ما ذكر أبو حاتم الرازى فى كتاب الزينة هو النصيب مشتق من القلم إفعيل . . . » إلخ . وحكى أبو محمد بدر الدين محمود العينى (تو ٨٥٥) فى الجزء الأول من عقد الجمان فى تأريخ أهل الزمان (خط دار الكتب المصرية ١٥٨٤ تاريخ) عما أتى به أبو حاتم فى كتاب الزينة من معانى العرش (ص ١٣ و ١٩) واللوح (ص ٢٥) . وذكره الداعى إدريس عماد الدين القرشى اليمنى (تو ٨٧٢) فى السبع الخامس من كتاب عيون الأخبار (خط المكتبة المحمدية الهمدانية) فقال : إن مؤلف كتاب الزينة هو الداعى أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى . واعتمد البقاعى (تو ٨٨٥) فى تفسيره المسمى « المناسبات » على كتاب الزينة عند تفسيره الآية « وإثمهما أكبر من نفعهما » ، فقال (ص ٣٧٩) : قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى فى كتاب الزينة : وقال بعض أهل المعرفة : والنفع الذى ذكر الله فى الميسر أن العرب فى الشتاء والجدب يتقامرون بالقداح على الإبل ، ثم يجعلون لذوى الفقر والحاجة . . . إلخ . وينقل عبارات كثيرة (ص ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٣) فى بيان الميسر والقداح عن كتاب الزينة . وقال جلال الدين السيوطى (تو ٩١١) فى الإتقان (ج ١ ن ٣٨) فى تفسير « الرِّبِّيُّون » : ذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللغوى فى كتاب الزينة أنها بالسُّرْيانية .[1] وقال فى نفس المرجع (ج ١ / ن ٣٨) فى تفسير « الصراط » : حكى النقاش وابن الجوزى أنه الطريق بلغة الروم . ثم رأيته فى كتاب الزينة . وقال فى نفس المرجع (ج ١ / ن ٣٨) فى « سجين » : ذكر أبو حاتم فى كتاب الزينة أنه غير عربى . وكذلك أشار إليه

---

(١) وذكر السيوطى كتاب الزينة وصاحبه أيضا فى رسالته المسماة « المتوكلى » عند كلامه عن الألفاظ الأعجمية فى القرآن .

الشيخ إسماعيل بن هبة الله الهندى (القرن الحادى عشر) بصورة عابرة فى فهرست كتب الدعوة الفاطمية المستعلية اليمنية (ص ٩٩ — ١٠٠) . وحكى السيد محمد باقر الموسوى الخوانسارى (من علماء القرن الثالث عشر) صاحب الروضات ١ / ٨٨ فى ترجمة أحمد بن خلكان ما معناه أن اسم الشيعة كان على عهد النبى كما يشعر بذلك أبو حاتم الرازى .

ومما سبق يمكن إثبات أن حاجى خليفة (تو ١٠٦٧) كان بعيدا عن الصواب حين نسب فى كتابه كشف الظنون ١٤٣٣ كتاب الزينة إلى أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى (تو ٢٥٠) .

* * *

وأما ترجمة حياة أبى حاتم فإننا لا نعلم عنها إلا لمحات عابرة ، فقد وردت فقرات مبعثرة فى بعض المراجع ، أمكننا أن نجمعها فيما يلى :

هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامى اللّيثى (١) كما ذكره الحافظ فى لسان الميزان ١ / رقم ٥٢٣ . ولم تتحدث المراجع عن مولد أبى حاتم أو عن مسقط رأسه غير أن الإسفراينى أبا المظفر (تو ٤٧١) أشار فى كتابه التبصير فى الدين ص ٨٤ إلى أن جماعة من أهل المغرب أجابوا دعوة المهدى عُبيد الله بن الحسين حينما قدم إلى المغرب ، وأن رجلا منهم يدعى أبا حاتم خرج إلى أرض الديلم ، فأجابته منهم جماعة ، ودخل فى دعوتهم من أهل خراسان الحسين بن على المروزى فى الوقت الذى كان يتولّى فيه هراة ومروروذ . وحكى البغدادى (تو ٤٢٩) فى الفَرق بين الفِرق ص٢٦٧ أن أبا حاتم « دخل أرض الديلم ، فاستجاب له جماعة من الديلم ، منهم أسفار ابن شيرويه » . وبناء على ما قاله البغدادى والإسفراينى هل يكون أبو حاتم عربيا من المغرب ؟ ويؤيد هذا اسمه ولقبه العربيّان وتحمُّسه البالغ لفضل العرب ولغتهم . وقد يكون أبو حاتم استقر فى الرىّ ونسب إليها . وأما ما قال أبو حاتم عن تمكنه فى اللغة الفارسية ونشأته فيها فى كتاب الزينة (فصل لغة العرب تامة الحروف) فهذا لا يدل على أنه فارسىّ . أو قد يكون أبو حاتم من أهل الرى ، وزار المغرب قبيل قيام المهدى عبيد الله بقيروان سنة ٢٩٧ . وكان أبو حاتم قد أقام ببغداد ، كما يظهر من

---

(١) لاتدرى ماهاتان النسبتان اللتان ذكرهما الحافظ ولا التى ذكرها عبد الجبار (اطلب ص ٢٨) .

اتصاله الشخصى بأبى العباس ثعلب (تو ٢٩١).[١] ويرى عباس الهمدانى أن أبا حاتم «لم يزر شمال أفريقية أبدا ، وذلك لأن القاضى النعمان (تو ٣٦٣) لم يشر إلى أبى حاتم فى كتابه افتتاح الدولة الزاهرة ، الذى يعتبر وثيقة معاصرة لتاريخ الدولة الفاطمية ، من أيام تأسيسها إلى إبان حكم المعز لدين الله (تو ٣٦٥) . ولم يتخلف صاحب الافتتاح عن ذكر مثل هذا العالم الجليل ورئيس الدعوة فى الشرق لو حضر أو وجد يوما من الأيام بمقام الإمامة ومقر الخلافة » . نقول إن مؤلف الافتتاح لم يشر إلى أمور كثيرة وأشخاص كثيرين فى سجله هذا . وما حكاه الإسفراينى من خروج أبى حاتم من المغرب يدل على الأقل على وجود أبى حاتم فى شمال أفريقية فى وقت من الأوقات. والله أعلم .

وأضاف الإسفراينى قائلا إن أباحاتم « قُتل ، وقام بدعوته فيماوراء النهر محمدبن أحمد النسفى المعروف بالبرذعى . وأبو يعقوب السجزى أقام دعوته بناحية سجستان » . ولم يذكر الإسفراينى أين ومتى ولماذا قتل أبو حاتم ، كما لم تشر المراجع التى تحت أيدينا إلى مقتله ، بل قال الحافظ (لسان الميزان ١ / رقم ٥٢٣) إنه مات فى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة ، وأشار البغدادى (نفس المرجع ٢٦٧) إلى مقتل زميليه النسفى والسجزى « على ضلالتهما » ، ولم يقل شيئا عن موت أبى حاتم أو قتله .

والواقع أننا لا نستطيع أن نجزم برأى عن موطنه الأصلى أو عن أحوال حياته وموته إلا إذا عثرنا على مصادر تفيدنا بمعلومات عن ترجمة حياته . وقد قال الحافظ (نفس المرجع) إن أبا الحسن بن بابويه ذكر أباحاتم فى كتابه تاريخ الرى ، ولكن هذا الكتاب لم يعثر له على أثر .

***

وقد عاش أبو حاتم ، كما ذكر عباس الهمدانى ،[٢] « فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى ، فى الوقت الذى كان العالم الإسلامى يجتاز فيه مرحلة

---

(١) أشرنا الى هذا الاتصال فى مظانه . وقد يكون أبو حاتم قد أخذ عن أبى العباس ثعلب .

(٢) لخصنا ما يلى من حالة الزمن الذى عاش فيه أبو حاتم من مقال عباس الهمدانى الذى قدمه فى مؤتمر المستشرقين الدولى الحادى والعشرين المنعقد بباريس سنة ١٩٤٨ .

دقيقة ، من حيث انهيار الحكم العباسي وسيادة روح التنافس بين الحكام والرؤساء وسريان روح اليأس فى نفوس الناس مما أدى إلى ظهور أفكار جديدة ، عَرَفت كيف تستغل سوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية ، وحاولت أن تعيد الوحدة الضائعة بطريقتها الثورية الخاصة . وقد نجحت هذه إلى حد بعيد ، حتى أصبحت التقليد السائد آنذاك . وظهرت هذه الأفكار فى الشرق فى فترة الانتهازية السياسية والمناورات والدسائس التى انتهت بتنصيب الخليفة المقتدر ، ثم بخلعه ثم بتنصيبه على العرش من جديد . وكذلك كانت الحال بالنسبة للوزراء ، فقد عُيِّن أبو فرات مثلا ثم عُزل .

« أما الرؤساء العسكريون فى الديلم ، فقد كان بعضهم يقاتل بعضا ، إما بجانب الخليفة أو بجانب عدوه . وقد أدى هذا إلى تخريب بلاد ما وراء النهر وطبرستان وأذربيجان . وكان القرامطة يقومون فى ذاك الوقت بنشاط ملموس فى العراق والبحرين . وذكر القاضى عبد الجبار المعتزلى (تو ٤١٥) فى كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد (خط مكتبة شهيد على باشا باستنبول رقم ١٥٧٥) ورقة ١٥٠ أن أبا حاتم أحمد بن حمدان الرازى الكلابى (١) وغيره من الدعاة كانوا فى حالة قلق واضطراب من جراء تصرفات أبى طاهر الجنابى القرمطى وتسليمه أمر الدعوة إلى زكريا الأصفهانى ، حتى ظن الناس أنه (أبا طاهر) هو المهدى أو فوق المهدى .

« وقتل العالم الربانى المتصوف الشهير حسين بن منصور الحلّاج . وقامت فى التركستان فيما بعد حركة لاستئصال شأفة أنصار الخلافة الفاطمية ، وكان من بين ضحاياها العلمان الحبران محمد بن أحمد النسفى (النخشَبى) (٢) وأبو يعقوب السجزى (السجستانى) زميلا أبى حاتم الرازى. (٣)

« وقد مرت ببلدة أبى حاتم الرى أوقات عصيبة ، فقد تعرضت لاحتلال عدة من العسكريين حتى استولى عليها السامانيون بإشارة من الخليفة . وكانت هذه المدة قصيرة ، إذ تمكن قائدهم أسفار بن شيرويه الديلمى ، من إعادة استقلال بلاده الرى .

---

(١) كذا ورد لقبه فى الأصل ، فقد يكون الكلائى . والله أعلم .

(٢) نخشب اسم قرية فى ما وراء النهر ، والنسف معرب منه . وتسمى القرية الآن قرشى .

(٣) قتلا بعد وفاة أبى حاتم بتسع سنوت ، أى فى سنة ٣٣١ .

وفى سنة ٣١٨ قتل القائد أسفار بيد أحد ضباطه مَردويج بن زيار، الذى تحكم فى أراضى سيده، وظل فى الحكم حتى سنة ٣٢٣ حين اغتيل.

« وأما المغرب حيث كان أبو حاتم يتوجه إليه بميوله الدينية والسياسية فكانت تسيطر عليه دولة أهل البيت برياسة المهدى عبد الله بن الحسين الفاطمى. وقد ظلت الدعوة الفاطمية التى كانت تسعى إلى تدمير الخلافة العباسية، تدافع عن الدولة الفاطمية.(١) وفى هذه الأحوال السياسية برز أبو حاتم ».

* * *

وكانت الرى بلدة أبى حاتم معقل علماء الحديث، وأساطين الكلام والفلسفة. ونحن لا نرى أنه كان من المحال اتصال أبى حاتم أحمد بن حمدان صاحب الزينة، بمواطنه الأكبر وسميِّه الأشهر أحد أئمة الحديث أبى حاتم محمد بن إدريس الحنظلى الرازى (تو سنة ٢٧٥) وكان هذا الأخير مع رفعة شأنه، وعظم قدره، وسعة حفظه، « ثقة وشيعيا مفرطا »، كما حكاه الحافظ ابن حجر العسقلانى فى تهذيب التهذيب ٩/٣١ — ٣٤ عن مسلمة. وكذلك كان عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس من الشيعة الذين كانوا يقدمون عليا على عثمان كالأعمش وعبد الرازق. ويرى السليمانى وابن خزيمة أن ابن أبى حاتم تلقَّف ذلك من أبيه وقد نشأ أبو حاتم فى بيئة علمية بين علماء العربية وأهل الحديث؛ فقال الحافظ فى لسان الميزان ج ١ رقم ٥٢٣ إن أبا حاتم أحمد بن حمدان « كان من أهل الفضل والأدب والمعرفة باللغة وسمع الحديث كثيرا، وله تصانيف ».

وأخذ الحافظ على أبى حاتم ميله للفاطميين، وقيامه بدعوتهم، قائلا إنه « أضل جماعة من الأكابر » ولعله يشير إلى نشاط أبى حاتم السياسى والدينى فى الديلم. وكان أبو حاتم قد أظهر فى أوائل القرن الرابع نشاطا كبيرا فى طبرستان وأذربيجان والديلم وفى أصفهان والرى، حتى أجاب القائد الأمير الديلمى أسفار بن شيرويه ومنافسه القائد مرداويج بن زيار، دعوة الخلفاء الأئمة الفاطميين. وإلى دوره هذا بوصفه داعية الفاطميين فى الديلم، أشار نظام

---

(١) اطلب JRAS (١٩٣٣) ٣٦٦.

الملك (تو ٤٨٥) فى سياست نامه / شيفر ١٨٦ والبغدادى (تو ٤٢٩) فى الفَرق بين الفِرق ٢٦٧ .

***

وقد جرت بين أبى حاتم الرازى ومعاصره ومواطنه الفيلسوف محمد بن زكريا الرازى (تو ٣١١) مناظرة وكلام حول النبوة « والسبب الموجب فى حكمة الحكيم ، تخصيص قوم بالنبوة والفضيلة دون قوم وإحواج الناس إلى الأنبياء » . فأورد أبو حاتم ماجرى بينه وبين « الملحد » من الكلام حول هذا الشأن فى كتابه أعلام النبوة (خط المكتبة المحمدية الهمدانية) .[1] وقد أعلمنا الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى (تو بعد ٤١٢) حجة العراقين فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٩٠ — ٤٠٨) فى مقدمة كتابه الأقوال الذهبية (خط المكتبة المحمدية الهمدانية) ص ٥ أن المراد بالملحد هو الفيلسوف محمد بن زكريا الرازى صاحب كتاب الطب الروحانى .[2] وذكر الكرمانى أن « ماجرى بينه وبين الشيخ أبى حاتم الرازى صاحب الدعوة بجزيرة الرى ، كان فى أيام مرداويج وبحضرته » . وقد دحض أبو حاتم بعض وجهات نظر الفيلسوف ؛ ومن ذلك أن ماقاله من أزلية الأصول الخمسة وهى الخالق والروح والمادة والمكان والزمان هو رأى غير صحيح ؛ وأن اعتراضه على ظهور الأنبياء فى قوم دون قوم لايستند على أساس ؛ وأن الحطّ من شأن « التقليد » والاهتمام الزائد « بالقياس » لايؤديان إلى الغرض المنشود . ويتحدث أبو حاتم فى كتابه عن وجوب النبوة ويناقش ويفحص الكتب المقدسة لموسى وعيسى وغيرهما ويخرج منهما بأنه على رغم اختلاف ظاهر اللفظ فى هذه الكتب ، فإنها فى رسالتها ومعناها لا تختلف فى الأساس . وبعد أن أيد نبوة

---

(١) نشر باؤل كراوس P. Kraus هذه المناظرة التى جرت بين الرازيين الواردة فى أعلام النبوة فى مقالة عنوانها Raziana II من مجلة Orientalia ٣٥/٥ .

(٢) وفى كتابه راحة العقل (المشرع الثالث من السور الاول) ذكر الكرمانى أبا حاتم الرازى فى مقدمة العلماء الذين يجب أن تقرأ كتبهم قبل النظر فى كتابه . ولم يكتف الكرمانى بالقسط الذى قام به أبو حاتم فى كتابه أعلام النبوة ردا على مزاعم الفيلسوف ، بل قام بالتوسع بمهارة فلسفية فائقة فيما أهمله أبو حاتم فى رد ماجاء فى كتاب الطب الروحانى بتأليف كتاب الأقوال الذهبية (راجع كتابنا الصليحيون ٢٥٩) .

محمد ونظرية الأعلام (الآيات والمعجزات) ولا سيما إعجاز القرآن انتقل إلى تناقض الفلاسفة فى آرائهم وتخبطهم ، ورفض أن يؤيد ما ذهبوا إليه فى كلامهم النظرى (Speculation) وفى مزاعمهم عن المعرفة واليقين ، وأكد أن سرّ المعرفة الصحيحة إنما هو كامن فى تعاليم الأنبياء والرسل والأئمة .

وكان أبو حاتم ، كما رأينا مما سبق ، محافظا سلفيا فى أرائه الدينية والكلاميه واللغوية . وقد دخل فى نقاش وجـــدل مع زميله فى الدعوة وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفى (قتل سنة ٣٣١) ، ووجه فى كتاب الإصلاح نقدا لاذعا لبعض النتائج التى خلص إليها النسفى فى كتابه المحصول كتقديمه القضاء على القدر وغير ذلك . وقد انبرى الشيخ أبو يعقوب إسحاق ابن أحمد السجستانى لتأييد أستاذه النسفى صاحب المحصول فى كتابه النصرة . وجاء الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى بعد ذلك ، فوفّق فى كتابه الرياض بين وجهات نظر « الصادين » : صاحب الإصلاح (أبى حاتم الرازى) وصاحب النصرة (أبى يعقوب السجستانى) بشأن كتاب النسفى المتنازع فيه المسمى بالمحصول . ويخرج القارئ من هذه المناقشات العلمية بصورة لاتساع الأفق الذى تميّز به من حملوا لواءها ، ولتبادل الآراء الذى يُهْدَف إليه فى الجدل الحرّ البعيد عن العاطفة .

ومن الكتب التى نعلم أن أبا حاتم أحمد بن حمـــدان الرازى قد ألفها : (١) كتاب أعلام النبوة و (٢) كتاب الإصلاح و (٣) كتاب الرجعة و (٤) كتاب الجامع و (٥) كتاب الزينة . وقد أشرنا فيما سبق إلى موضوعات (١) كتاب أعلام النبوة و (٢) كتاب الإصلاح و (٥) كتاب الزينة . وتوجد مخطوطات هذه الكتب فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية . وأما (٣) كتاب الرجعة فقد ذكره المؤلف فى كتاب الزينة ، ولم نعثر عليه . وكذلك (٤) كتاب الجامع فإننا لم نعثر عليه .

* * *

وقد ذكرنا فيما سبق أن ابن النديم أشار فى الفهرست إلى اسم كتاب الزينة

ومؤلفه ، وأن البطليوسى (تو ٥٢١) نقل عنه ، و كذلك ياقوت الحموى (تو ٦٢٦) والعينى (تو ٨٥٥) والبقاعى (تو ٨٨٥) والسيوطى (تو ٩١١) . وهذا يدلّ على أن الكتاب كان فى متناول أيدى العلماء فى أنحاء العالم الإسلامى إلى ما بعد القرن التاسع الهجرى . ثم اختفى الكتاب عن نظر العلماء فى القرون الأخيرة . غير أن الدعوة اليمنية كانت تحتفظ به كما كانت تحتفظ طوال القرون الماضية بكثير من التراث الفاطمىّ العلمىّ بمعاقل الدعوة وحصونها بجبال حَرَاز المنيعة . وذ كره فى العهد الأخير السيد محمد باقر فى الروضات ، وهو من علماء القرن الثالث عشر . وقد وجدنا نسخة خطية من الكتاب فى خزانة كتب جدنا العلامة سيدى محمد على الهَمْدانى اليَعْبُرى الحَرَازى المسماة بالمكتبة المحمدية الهمدانية (أشرنا إليها بحرف « م ») ، وكذلك وجدنا نسخة أخرى فى خزانة كتب سيدى عبد الله حكيم الدين بسورت الهند (سميناها بحرف « ح ») . وبدأنا قبل بضع سنين بدراسة متن الكتاب من طريق مضاهاة هاتين المخطوطتين بعضهما ببعض واتخذنا الأولى « م » أساسا وأصلا ، لأنها كانت أجود من الأخرى « ح » . وقد حدث فى أثناء ذلك أن أوفدت إدارة الثقافة التابعة لوزارة التربية والتعليم المصرية بعثة إلى اليمن لتصوير المخطوطات اليمنية ؛ وهناك كشفت البعثة عن وجود ثلاث نسخ خطية قديمة يُكمِّل بعضها بعضا ، لأنها كانت ناقصة كلُّها . وقد قدّمت إلينا دار الكتب المصرية ، بناء على طلبنا ، هذه النسخ المصورة (رمزنا إليها بحروف « ى » و « س » و « ك ») ، وقمنا بمعارضة الجزء المحقّق من المتن بهذه النسخ ، وواصلنا عملنا فى إخراج المتن على أساس أقوى مما سبق . وبينما كنا نستعدّ لطبع الجزء الأول من الكتاب علمنا من اطلاعنا على مقال للدكتور كوركيس عواد نشره فى مجلة معهد المخطوطات العربية لجامعة الدول العربية (العدد الأول مايو سنة ١٩٥٥) بعنوان مخطوطات مكتبة المتحف العراقى بوجود نسخة خطية قديمة فى المتحف العراقى ببغداد . وقد تفضّل المتحف العراقى ومعهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ومكتبة جامعة القاهرة بتزويدنا بنسخة مصورة من المخطوط العراقى المشار إليه بحرف « ع » . وبرغم أن بعض هذه الأصول أقدم من

غيرها ، ليست لدينا نسخة منها يصح أن نتخذها أصلا يقوم عليه إخراج متن الكتاب ، فضلا عن أنها كلها ناقصة . وأما المخطوطتان « م » و « ح » فهما كاملتان على حداثتهما . ونحن لا نستطيع أن نقول إن الأصول التى فى متناول أيدينا فيها ما يكفى لتقرير نص الكتاب تقريرا نهائيا . وقد أشرنا فى الهوامش إلى الغموض والتعسف والحذف والزيادات التى أدخلت على العبارات . فتمسكنا باختيارنا بمخطوط « م » أصلا ، لأننا وجدنا نصه أكمل وأجود على وجه العموم من غيره ، غير أننا لم نتبع ماورد فيه فى كل موضوع ، بل التجأنا إلى الأصول كلها فى اختيار الأصح أو الأجود من الروايات . وهاك بيان النسخ التى بين أيدينا الآن :

نسخة م : هى النسخة المحفوظة بمكتبتنا المحمدية الهمدانية بسورت الهند . كتبت بخطوط مختلفة من أصل يمنى ، وراجعها سيدى العلامة محمد على الهمدانى ، وعليها هوامش وعناوين بخط يده . وهى تقع فى ٣٩٥ صفحة ، وعدد الأسطر فيها يختلف باختلاف الخطوط ، ومتوسط الأسطر ٢٥ سطرا فى الصفحة . وقد ضبطت وشكلت الآيات القرآنية والأحاديث التى وردت فيها ، كما حدث مثل هذا فى بعض الشواهد والكلمات . أما عناوين الأبواب والفصول فقد كتبت بالحمرة . وحجم هذه النسخة ٢٣ × ١٦ س م . وقد جاء فى آخرها : وقع الفراغ من انتساخ هذا الكتاب المسمى بكتاب الزينة فى اليوم الثانى والعشرين من شهر صفر المظفر من سنة ست وثلاث مائة بعد الألف من هجرة النبى المختار صلى الله عليه وآله الأطهار بخط الأحقر العاجز المسكين إبراهيم ولد الشيخ الفاضل ... ؟ ... بن المرحوم ميان خان وفقه الله لمرضاته بمحمد وآله عليهم أفضل صلواته . كتبته لأجل المنعم الكريم البار الرحيم ميان صاحب محمد على نجل الشيخ المقدس ميان صاحب فيض الله أطال الله عمره إلى يوم الدين .

وقد اتخذنا هذه النسخة أصلا فى إخراج الكتاب ، وأشرنا إلى صفحاتها بأرقام بين مربعين فى داخل المتن .

نسخة ح : وهى النسخة الحديثة العهد المحفوظة بخزانة الأمير الأجل سيدى

عبد الله حكيم الدين بمدينة سورت تفضل نجله الكريم البار المغفور له سيدى أحمد ابن سيدى عبد الله حكيم الدين بإعارتنا إياها عند ما بدأنا بعملنا هذا. جزاه الله خير الجزاء! و يبدو أن هذه النسخة ء وكذلك النسخة م، استنسختا من أصل يعنى مشترك وهى لا تختلف عن «م» إلاّ فى أنها لم تُقابل بنسخ أخرى ولم يُمتن بها.

وهى تقع فى ١٣٥٧ صفحة، وعدد الأسطر فى كل صفحة منها ١٥ سطرا، وحجمها ٢٢½ × ١٤ س م. وقد كتبت بخط واحد واضح، وعناوين الأبواب بالحمرة. وتوجد فى أول الكتاب، وقبل تصدير المؤلف، فهرسة تفصيلية كاملة لمحتويات كتاب الزينة. وجاء فيها بعد باب الشرك: تم الجزء الأول من كتاب الزينة ويتلوه الثانى الإلحاد. . . الخ.

نسخة ى: وهى النسخة المحفوظة بمكتبة الإمام يحى المتوكل على الله بصنعاء اليمن تحت رقم ٦٣ أدب. وبدار الكتب المصرية نسخة منها مصورة على الشريط المصغر (ميكرو فيلم). وبمكتبتنا كذلك نسخة مصورة أخرى منها. ينقص منها مايقارب نصفها من الآخر، وآخر الموجود منها يتناول الكلام عن «النفاق». كتبت بخطوط مختلفة يمنية يرجع تاريخها إلى حدود القرن الحادى عشر الهجرى. وهى تقع فى مئة وخمس عشرة ورقة، وعدد الأسطر فيها يختلف باختلاف الخطوط، ومتوسط الأسطر ٢٣ سطرا فى الصفحة. وهى مضبوطة بشكل فى بعض الكلمات، وعناوين الأبواب بخط كبير كتب بعضه بالحمرة. وحجمها ١٩ × ٣٠ س م. وعلى الصفحة الأولى منها عنوان الكتاب وهو «كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى رضى الله عنه»، ثم عبارة تمليك لخزانة الإمام يحى نصها: بسم الله. من خزانة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين حفظه الله وأدام نصره، بتاريخ شهر شعبان ١٣٤٥.

نسخة س: وهى النسخة المحفوظة بمكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء تحت رقم ٤٥ لغة. وتوجد منها بدار الكتب المصرية نسخة مصورة تحت رقم ٣٣٦ ج. وهى ناقصة من أولها ومن آخرها. وأول الموجود منها ما كتب عن أسماء الله الحسنى. أما آخرها فينتهى عند الكلام عن «الربانيين والأحبار». وقد اختلطت أوراق هذه

النسخة فحدث فيها تقديم وتأخير . وقد أشرنا إلى هذا الخلط فى مواضعه . ويبدو أنه قد قوبلت هذه النسخة على أصلها أو على نسخة أخرى مما يظهر من كثرة ما كتب على حواشيها من استدراكات وزيادات وتفسيرات لبعض الكلمات من كتب اللغة. وفى الورقة ٥١ ينتهى الجزء الأول من الكتاب ، ويبدأ الجزء الثانى وأوله الكلام على « الإلحاد » . وهذا يتفق مع الجزء الثانى الوحيد من نسخة « ك » التى سيأتى وصفها فيما بعد . وبسبب فقدان أول هذه النسخة وآخرها لم يتضح لواضع فهرسة مكتبة الجامع الكبير حقيقتها ، وقد أشار إليها فى الفهرست على أنها « كتاب فى اللغة غير معروف اسمه » . والموجود من هذه النسخة ٧٦ ورقة وهى بخط يمنى ، لعله يكون من خطوط القرن التاسع أو العاشر . ومتوسط الأسطر فيها ٣٠ سطرا ، وحجمها ٢٠ × ٢٥ س م .

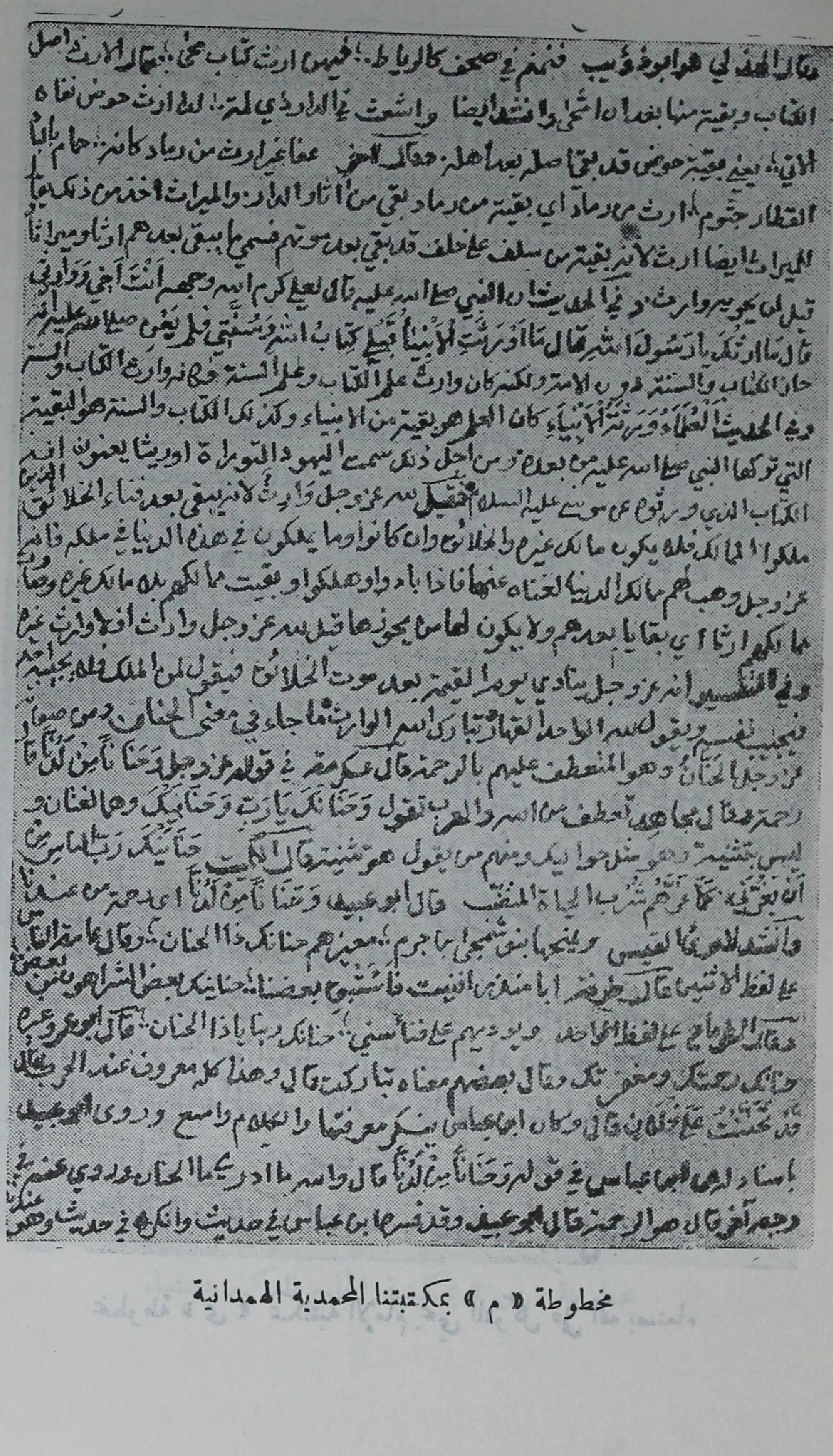
نسخة ك : وهى النسخة المحفوظة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ٤٦ لغة . وبدار الكتب المصرية نسخة مصورة منها تحت رقم ٤٣٣٧ ج . وأصل هذه النسخة يقع فى قسمين لم نجد منهما غير القسم الثانى وحده . وأوله البسملة ، ثم الكلام على « الإلحاد » ، وينتهى بتمام الكتاب . وهو مكتوب بخط واضح جلى لعله من خطوط القرن السابع الهجرى ، وبعض كلماته مضبوطة بالشكل وعناوين أبوابه مكتوبة بالحمرة بخط كبير . وفى بعض مواضعه تفسيرات لألفاظ من كتب اللغة . وقد روجعت على أصلها المنقولة منه فى اليوم الثامن من رجب سنة ٩٢٤ ، أثبت من راجعها هذه العبارة : « قال فى الأصل المنتسخ منه بعد التصحيح : وبقيت فيه أبيات لم تعرف صحتها وألفاظ نادرة يبحث عنها يسّر الله بمنه إصلاحها » . وعلى حواشى هذه النسخة ذكر الناسخ فى بعض المواضع تجزئة المصنف لكتابه ، ففى الورقة الخامسة من هذا الجزء كتب بالهامش « الجزء السادس » وهو يشتمل على موضوع الملل والنحل . ويبدأ الجزء التاسع من باب الكتاب ، والجزء العاشر من باب الفريضة ، والثانى عشر من باب النكاح . وعند ذكره الجزء العاشر كتب : « الجزء العاشر من أجزاء أبى حاتم رضى الله عنه » . أما فى بقية الأماكن فلم يذكر هذه التجزئة .

ومن هذا يبدو أن لهذه النسخة صلة بأصل المؤلف أو بنسخة منسوخة منه . ويقع هذا الجزء فى ٢٢٠ ورقة ، وعدد أسطر الصفحة الواحدة منها ١٧ سطرا .

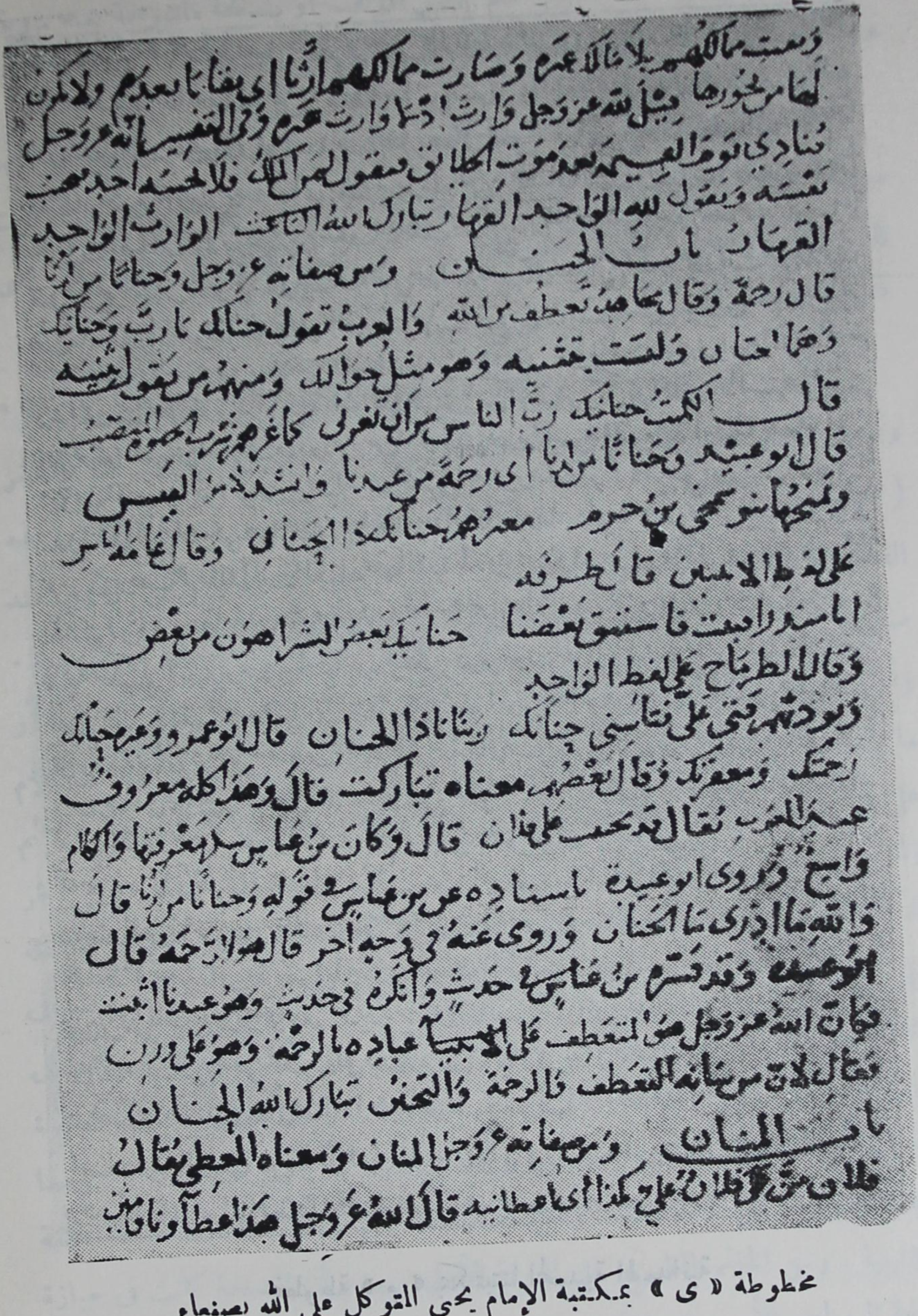
هذا وقد حصلت البعثة المصرية التى أوفدتها وزارة التربية والتعليم فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ إلى اليمن على صور من هذه النسخ الثلاث ، وكانت قد أوفدت إلى هناك لتصوير نوادر المخطوطات فيها (راجع تقرير الدكتور خليل يحى نامى ١٩٥٢) .

نسخة ع : وهى النسخة المحفوظة بالمتحف العراقى ببغداد تحت رقم ١٣٠٦ . وتوجد بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة منها مصورة على الشريط المصغر (الميكرو فيلم) . كبرت منها نسخة لمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦٤٠١ . وهذه النسخة ناقصة من أولها ومن آخرها . ويقع أصلها فى مجلدين ينتهى الأول عند صفحة ١٨٦ ، ثم يبدأ الثانى بالكلام عن « الإلحاد » كغيرها من النسخ . وأول الموجود منها عند الكلام على « النحو » (أشرنا إليه فى مكانه) ، ويُقدَّر ما ينقص من أول الكتاب بحوالى ٢٠ ورقه . أما آخر مافيه فينتهى عند الكلام على « العائف والقائف والزاجر » ، وتلى ذلك ورقة واحدة فيها الكلام على « الإثم والوزر » ، وهى موضوعة فى غير مكانها . ومن هذا يتضح أن الناقص من آخر الكتاب يبلغ حوالى ٤ ورقات . وهذه النسخة مكتوبة بخط قديم واضح ، لعله من خطوط القرن السادس الهجرى ، كما قدره صديقنا الفاضل فؤاد السيد . وتقع فى ٤٨٥ صفحة وعدد الأسطر فى كل صفحة ٢٣ سطرا . وقد كتب على الصفحة الأولى منها بخط حديث « كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى » . وعلق بعضهم على ذلك بقوله : « هو غير الكتاب الذى لأبى حاتم سهل بن محمد السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ » . وهذا كله خلط بعيد عن الصواب . وعلى الصفحة الأولى والثانية كتابات دقيقة باللغة اللاتينية . ومن الخاتم المطبوع على الورقة الأولى يبدو أن النسخة كانت فى حيازة جماعة المرسلين الأرمن فى بغداد .

ونقدم نماذج مصورة من النسخ التى ذكرناها آنفا :

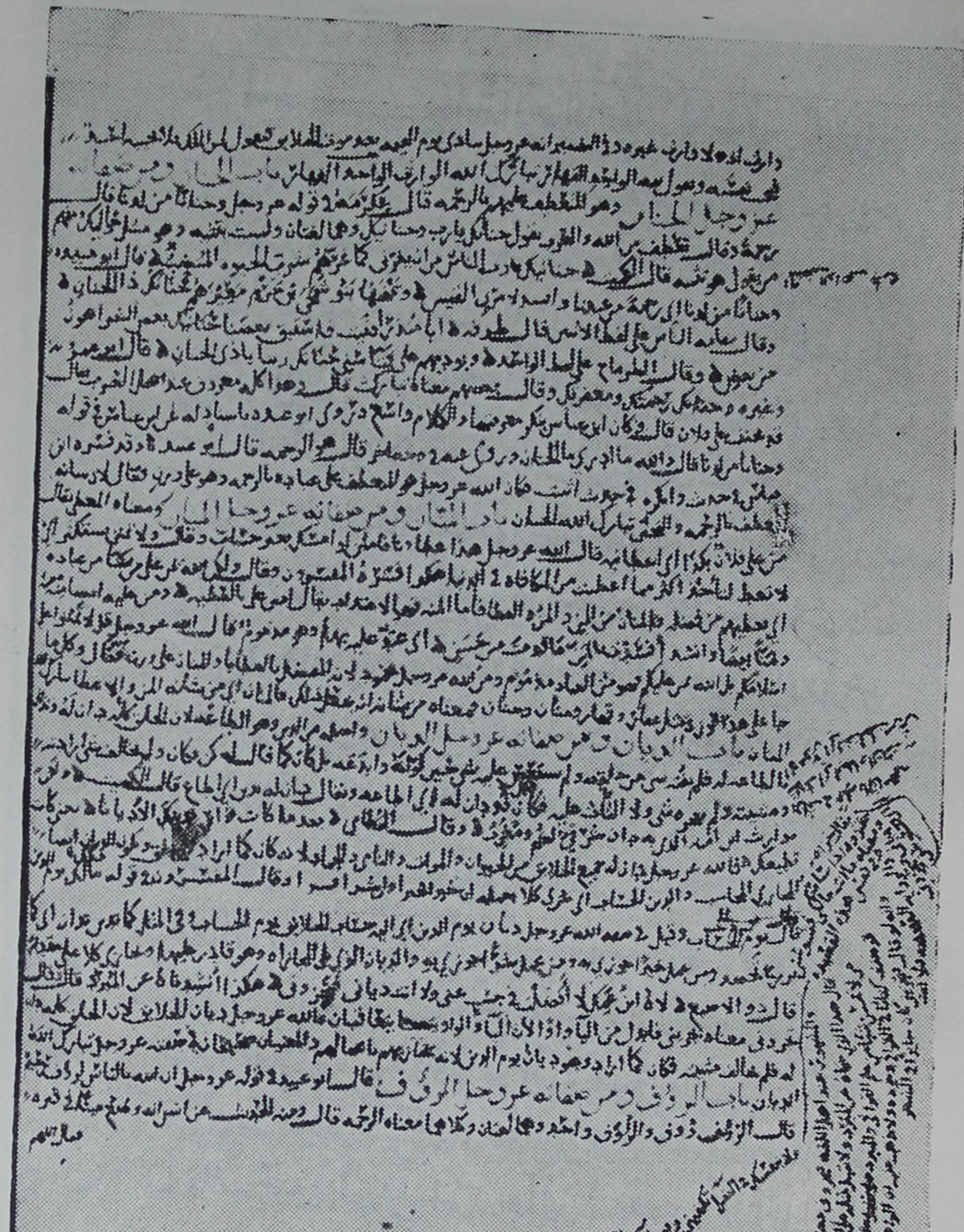


مخطوطة « م » بمكتبتنا المحمدية الهمدانية

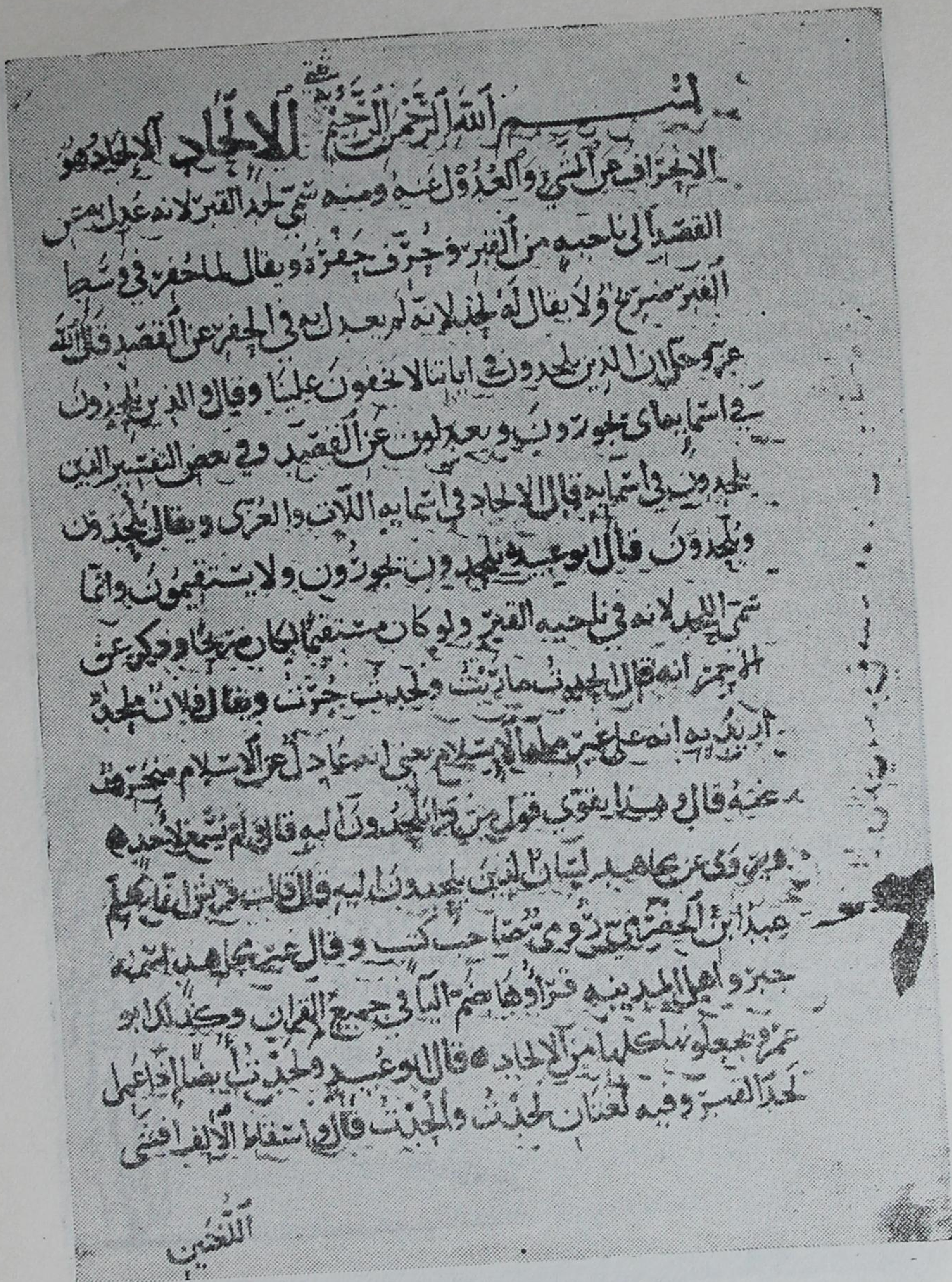


وبقيت مالكهم بلا مالك الا عز وجل وصارت ممالكهم ارثا اي بقانا بعدهم ولا ممكن
لهم من نحوها قيل لله عز وجل وارث لذا وارث عز وجل وفي التفسير انه عز وجل
ينادي يوم القيمة بعد موت الخلايق فيقول لمن الملك فلا يجيبه احد فيجيب
نفسه ويقول لله الواحد القهار تبارك الله الباعث الوارث الواحد
القهار باب الحنان
ومن صفاته عز وجل وحنانا من لدنا
قال رحمة وقال مجاهد تعطف من الله والعرب تقول حنانك يا رب وحنانيك
وهما لغتان ولست بتثنيه وهو مثل حواليك ومنهم من يقول تثنيه
قال الكميت حنانيك رب الناس من ان تغرني كما غرهم شرب الصبوح المقبب
قال ابو عبيدة وحنانا من لدنا اي رحمة من عندنا وانشد لامرئ القيس
ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان وقال غامد
على لفظ الاثنين قال طرفة
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض
وقال الطرماح على لفظ الواحد
نبوء بسمة فتى على تباني حنانك ربنا ذا الحنان قال ابو عمرو وغيره حنانك
رحمتك ومغفرتك وقال بعضهم معناه تباركت قال وهذا كله معروف
عند العرب يقال تحنن على فلان قال وكان ابن عباس يعرفها والكلام
واسع وروى ابو عبيدة باسناده عن ابن عباس في قوله وحنانا من لدنا قال
والله ما ادري ما الحنان وروى عنه في وجه اخر قال هو الرحمة قال
ابو يوسف وقد فسر ابن عباس في حديث وانكره في حديث وهو عندنا ثابت
فالله عز وجل حنان متعطف على احبابه عباده بالرحمة وهو على وزن
فعال لانه من بنا المتعطف والرحمة والتحنن تبارك الله الحنان
باب المنان
ومن صفاته عز وجل المنان ومعناه المعطي يقال
فلان يمن على فلان علي كذا اي اعطانيه قال الله عز وجل هذا عطاونا فامنن

مخطوطة « ى » بمكتبة الإمام يحيى المتوكل على الله بصنعاء

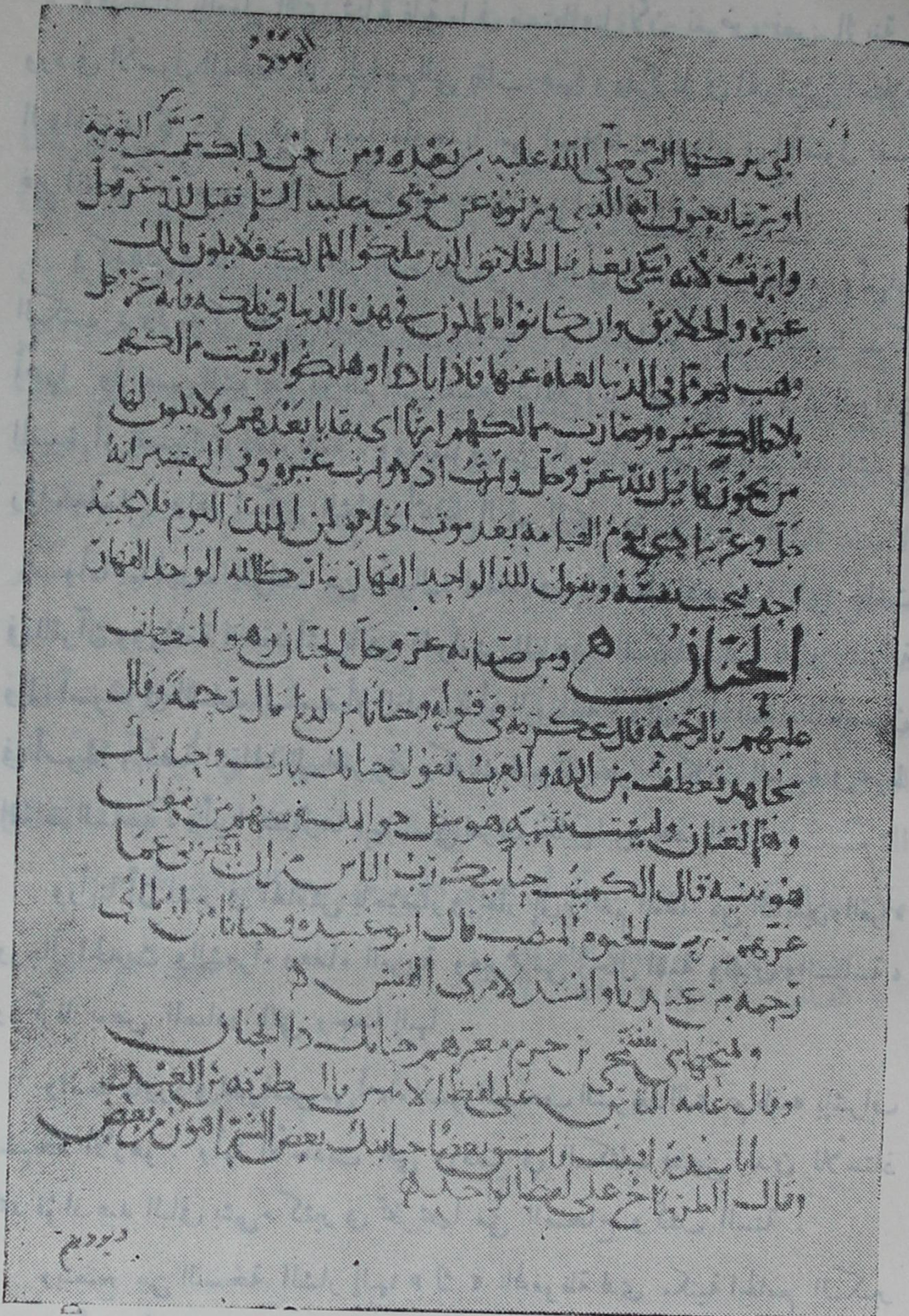


مخطوطة « س » بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق الالحاد الالحاد هو
الانحراف عن الشي والعدول عنه ومنه سمي لحد القبر لانه عدل به عن
القصد الى ناحيه من القبر وحرف حفرة ويقال للملحد في …
القبر ضريح ولا يقال له لحد لانه لم يعدل به في الحفر عن القصد قال الله
عز وجل ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا وقال والذين يلحدون
في اسمائه اي يجورون ويعدلون عن القصد وفي بعض التفسير الذين
يلحدون في اسمائه قال الالحاد في اسمائه اللات والعزى ويقال يلحدون
ويلحدون قال ابو عبيد يلحدون يجورون ولا يستقيمون وانما
سمي اللحد لانه في ناحيه القبر ولو كان مستقيما لكان ضريحا وذكر عن
الاحمر انه قال الحدت … ولحدت جرت ويقال فلان ملحد
اريد به انه على غير ملة الاسلام يعني انه عادل عن الاسلام منحرف
عنه قال وهذا يقوي قول من قال يلحدون … قال ولم يسمع لاحد
… عن مجاهد لسان الذي يلحدون اليه قال قالت قريش انما يعلمه
عبد ابن الحضرمي … صاحب كتب وقال غير مجاهد اسمه
جبر واهل المدينه قراوها بضم اليا في جميع القران وكذلك ابو
حمزة يجعلونه كلها من الالحاد قال ابو عبيد ولحدت … اذا عمل
لحد القبر وفيه لغتان لحدت والحدت قال واسقاط الالف افشى
اللحد

مخطوطة « ك » بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء



الى يوحنا النبي صلى الله عليه من بعده ومن [illegible] التوبة
او زكريا يقولون انه النبي [illegible] عن شيء عليه السلم فقتل الله عز وجل
والوارث لانه يبقى بعد فنا الخلائق الذين ملكوا الملك فلا يملكون مالك
غيره والخلائق وان كانوا مالكين في هذه الدنيا فملكه فانه عز وجل
وهب لهم ذلك في الدنيا لبقاه عنها فاذا بادوا او هلكوا وبقيت [illegible]
بلا مالك غيره صارت المملكة ارثا اي بقاء بعدهم ولا يملكون لها
من يحوزها الا الله عز وجل والوارث اذ لا وارث غيره وفي الخبر انه
جل وعز ينادي يوم القيامة بعد موت الخلائق لمن الملك اليوم فلا يجيبه
احد فيجيب نفسه ويقول لله الواحد القهار تبارك الله الواحد القهار
الحنان ومن صفاته عز وجل الحنان وهو المتعطف
عليهم بالرحمة قال عكرمة في قوله وحنانا من لدنا قال رحمة وقال
مجاهد تعطفا من الله والعرب تقول حنانك يا رب وحنانيك
وهما لغتان وليست تثنية هو مثل حواليك [illegible] من قول
هو تثنية قال الكميت حنانيك رب الناس ان [illegible] عما
عرتهم [illegible] للعود المنصب قال ابو عبيدة وحنانا من لدنا اي
رحمة من عندنا وانشد لامرئ القيس

ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان
وقال عامة الناس [illegible] على لفظ الاسم [illegible] طرفة بن العبد
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض
وقال الطرماح على لفظ الواحد

مخطوطة « ع » بمكتبة المتحف العراقي ببغداد

وقد بذلنا بالعمل الذى قمنا به غاية ما فى مستطاعنا لأن نعرض نص الزينة كما ورد فى الأصول السابقة على المراجع التى نقلت عنها، وذكرنا فى الهوامش اختلاف الروايات، كما ذكرنا فيها أيضا ماوجدنا من اختلافات الرواية فى الأصول نفسها غير أننا تركنا تسجيل ما ارتكبه الناسخون من أخطاء واضحة.

وكذلك عرضنا الشواهد الشعرية على دواوين الشعراء والمجاميع وأمهات الكتب، ولم نذكر جميع المصادر التى وردت فيها الشواهد، بل اكتفينا بذكر أهمها. ولم نفسر الشواهد أو الغرائب تفسيرا شاملا، بل اقتصرنا على ذكر الروايات المفيدة أو تفسيرات علماء اللغة. ووضعنا فى متن الكتاب بجانب الشواهد الشعرية رقما مسلسلا. وإذا تكرر الشاهد أثبتنا الرقم الذى ورد به لأول مرة.

وأما ما أورده المؤلف من أقوال العلماء فى الألفاظ الأعجمية التى جاءت فى القرآن وفى اللغة، فقد أشرنا فى الهوامش إلى هذه الكلمات الدخيلة أو المعرّبة وإلى أصولها فى اللغات السامية أو الفارسية أو اليونانية، وإلى آراء العلماء المعاصرين فى أصولها وكيفية انتقالها إلى العربية. وكذلك فسرنا بعض الكلمات العربية فى محيط اللغات السامية، وأتينا بنظائرها فيها لكى تعرف مكانتها بين هذه اللغات.

ورأينا أن نشير فى الهامش باختصار وإيجاز إلى تراجم العلماء من التابعين والقراء ورجال الحديث والشعراء وعلماء العربية وغيرهم من رجال اللغة والدين والسياسة، وذكرنا بعض المصادر التى رجعنا إليها.

واتبعنا ماورد فى الهوامش من أسماء السور المصحف الشريف الذى تم طبعه بإشراف مشيخة الأزهر. وأما الأحاديث التى وردت فى الكتاب فنحن ندين للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى بشىء كثير فى تخريجها من الصحاح وكتب السنة.

ويتضح من النسخة المشار إليها «ك» المحفوظة لدى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء أن الكتاب قد وضعه المؤلف فى قسمين كبيرين وجزّأه فى عدة أجزاء، ولكن الناسخ لم يذكر هذه الأجزاء كلها. وأما النسخ الأخرى فتشير إلى القسمين من الكتاب. ونرجو أن نعثر على نسخ أخرى فتهدينا إلى أجزاء الكتاب كما وضعها المؤلف. ونحن بعملنا هذا قد جزّأنا الكتاب فى أجزاء — اجتهادا منا —

بحسب موضوعاته ، واستعنا فى ذلك بما جاء من ذكر بعض الأجزاء فى نسخة « ك » .
والجزء الأول هو مقدمة المؤلف لكتاب الزينة ، وتتلوه أجزاء أخرى .

ونرجو أن نكون قد وفّقنا بعض التوفيق فى عملنا هذا ، مع اعترافنا بأننا لم نستوف فيه كل ما يتطلّبه من القدرة وفراغ البال . وكنّا نتردّد فى تقديم هذا الجزء لولا ما لمسناه من حاجة إخواننا طلبة كلية دار العلوم إلى بعض شىء من الكتاب . وأرى لزاما علىّ أن أذكر ما لقيته من تشجيع من بعض أصدقائى الأفاضل وعلى رأسهم الأستاذ عمر الدسوقى . وإنى لمدين بكثير من المعونة العلمية التى أسداها إلىّ صفوة من العلماء منهم المغفور له فضيلة الشيخ محمود عرنوس أسكنه الله فى دار النعيم وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى والأستاذ مصطفى السقا والأستاذ فؤاد السيد والأستاذ عباس حسن . فمن واجب المروءة شكر هؤلاء الزملاء العلماء اعترافا منى بالفضل وتأدية للواجب وإحقاقا للحق . ولا يسعنى وأنا بهذا الصدد إلا أن أنوّه بفضل دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات لجامعة الدول العربية ومكتبة جامعة القاهرة ، فقد كان للمعونة التى أسدتها إلىّ هذه المؤسّسات العلمية الكبيرة بتزويدى بالنسخ والصور المحفوظة لديها ، أثرها فى إخراج متن هذا الكتاب . والله أسأل أن يجزى الجميع عنى وعن العلم خير الجزاء .

حسين الهمدانى

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة
القاهرة : ٥ نوفمبر ١٩٥٦

الرموز الواردة فى الحواشى

م : نسخة مكتبتنا المحمدية الهمدانية .

ح : نسخة خزانة كتب سيدى عبد الله حكيم الدين بسورت .

ى : نسخة خزانة كتب الإمام يحيي المتوكل على الله بصنعاء .

س: نسخة مكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء .

ك: نسخة مكتبة الجامع الكبير المقدس بصنعاء .

ع : نسخة مكتبة المتحف العراق ببغداد .

ت : الترمذى • جه : ابن ماجه • حم : أحمد بن حنبل

خ : البخارى • دا : أبو داود • دى : الدارمى

مس : مسلم بن الحجاج • مط : الموطأ • نس : النسائى

صح : الصحاح للجوهرى • ق : القاموس المحيط • ل : لسان العرب

ج : جزء أو جلد • خط: مخطوط • د: ديوان •

ر : رسالة • ص: صفحة • طبع : طبعة أو مطبوع

CIS : Corpus Inscriptionum Semiticarum, vols. I and II. Paris 1887-97.

Enc, Br,: Encyclopoedia Britannica.

EI : Encyclopoedia of Islam.

ERE : Encyclopoedia of Religion and Ethics.

GAL : Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur, Bde. I u. II und Suppl.

JRAS : Journal of the Royal Asiatic Society of Gt. Britain.

ZDMG: Zeitschrift des deutschen morgenlaendische Gesellschaft.

[ ] استعملنا هذين المربعين لما رأينا إدخاله لاستقامة العبارة فى صلب النص .

بيان تفصيلي ببعض المصادر

الأبانة : ... للأشعرى . حيدرأباد ١٣٢١ .

الاتحافات السنية : ... فى الأحاديث القدسية لمحمدالمدنى . حيدر آباد ١٣٢٣ .

الأتقان : ... فى علوم القرآن للسيوطى ، ج ١-٢ . القاهرة ١٢٨٧ .

أثولوجيا : ... أرسطاطاليس الخ . باعتناء ديتريصى . برلين ١٨٨٢ .

الأجناس لأبى عبيد . باعتناء امتياز على الرامفورى . بومبائى ١٩٣٨ .

أخبار البصريين : أخبار النحويين البصريين للسيرافى . باعتناء كرنكو . الجزائر ١٩٣٦ .

الأدباء : أرشاد الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت . باعتناء مرغليوث لندن ١٩٢٥ .

أدب الكاتب : ... لابن قتيبة . ليدن ١٩٠١ .

أراجيز العرب : ... باعتناء البكرى . القاهرة ١٣١٣ .

الأساس : أساس البلاغة للزمخشرى ، ج ١-٢ . القاهرة ١٩٢٣ .

أسباب النزول : ... للواحدى . القاهرة ١٣١٥ .

الاستيعاب : ... لابن عبد البر ، ج ١-٢ . حيدرآباد ١٣١٨/١٩ .

أسد الغابة : .. لابن الأثير عز الدين . القاهرة ١٢١٠ .

الأسرات الحاكمة : ... معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور . تعريب زكى حسن . القاهرة ١٩٥١/٢ .

أسرار العربية : ... للأنبارى كمال الدين أبى البركات . ليدن ١٨٨٦ .

الاشتقاق : ... لابن دريد . باعتناء وستنفلد . غوتنغن ١٨٥٤ .

أشعار العرب : جمهرة أشعار العرب لأبى زيدا لقرشى . مصر ١٣٠٨ .

أشعار هذيل : ... شرح السكرى ، ج ٢٠١ . باعتناء كوزغارتن . لندن ١٨٥٤ .

الأصابة : ... لابن حجر ، ج ١-٢ . كلكته ١٨٤٨/٧٣ .

الأصلاح : ... للرازى أبى حاتم أحمد بن حمدان . خط المكتبةالمحمدية الهمدانية .

أصلاح المنطق : ... لابن أسحاق السكيت . باعتناء شاكر وعبد السلام هارون . القاهرة ١٩٤٩ .

الأصمعيات : ... مجموع أشعار العرب ج ١ . باعتناء أهلورد . برلين ١٩٠٢ .

الأصنام لابن الكلبى . باعتناء أحمد زكى باشا . القاهرة ١٩٢٤ .

الأضداد لابن اسحاق السكيت . أحد ثلاثة كتب فى الأضداد . بيروت ١٩١٢ .

الأضداد لابن الأنبارى . باعتناء هوتسما . ليدن ١٨٨١ .

الأضداد للسجستانى أبى حاتم . أحد ثلاثة كتب فى الأضداد . بيروت ١٩١٢ .

اعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه . القاهرة ١٩٤١ .
أعلام النبوة للرازى أبى حاتم أحمد بن حمدان . خط المكتبة المحمدية الهمدانية .
أعلام النبوة للماوردى . مصر ٣١٩ .
الأغانى : ... للأصفهانى أبى الفرج . ج ١–٢١ . القاهرة ١٣٢٣/٢٣ .
افتتاح الدولة الزاهرة للقاضى النعمان بن محمد . خط المكتبة المحمدية الهمدانية .
الاقتضاب لابن السيد البطليوسى . بيروت ١٩٠١ .
الأقوال الذهبية للكرمانى، أحمد حميد الدين . خط المكتبة المحمدية الهمدانية .
الاكليل : ... للهمدانى أبى محمد حسن بن أحمد . ج ١٠ . باعتناء الخطيب . القاهرة ١٣٦٨ .
الألفاظ الفارسية : ... المعربة لأدى شير . بيروت ١٩٠٨ .
ألفية ابن مالك . شرح ابن عقيل . بيروت ١٨٧٢ .
أمالى الزجاجى . شرح الشنقيطى . القاهرة .
أمالى ابن الشجرى : الأمالى الشجرية . حيدرآباد ١٣٤٩ .
أمالى القالى . ج ١ – ٤ . القاهرة ١٩٤٦ .
أمالى المرتضى . ج ١–٤ . القاهرة ١٩٠٧ .
امتاع الأسماع للمقريزى تقى الدين . مصر ١٩٤١ .
الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام . باعتناء الفقى . القاهرة ١٣٥٣ .
أنباه الرواه فى أخبار اللغويين والنحاة للقفطى . ج ١–٣ . باعتناء محمد أبى الفضل . القاهرة ١٩٥٠/٥٥ .
الأنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر القرطبى . القاهرة ١٣٥٠ .
الانتصار والرد على ابن الروندى للخياط . باعتناء نيبرغ . القاهرة ١٩٢٥
الانتصار ممن عدل عن الاستبصار لابن السيد البطليوسى . باعتناء عبد المجيد القاهرة ١٩٥٥ .
الأنساب للسمعانى . لندن ١٩١٢ .
أنساب العرب : جمهرة أنساب العرب لابن حزم . باعتناء بروفنسال . القاهرة ١٩٤٨ .
الأنصاف : ... فى مسائل الخلاف بين النحويين للأنبارى أبى البركات كمال الدين . باعتناء محمد محى الدين . القاهرة ١٩٤٥ .
البحر المحيط لأبى عبد الله محمد الأندلسى . ج ١–٨ . مصر ١٣٢٨ .
البداية والنهاية لابن كثير . القاهرة ١٣٤٨ .
البغية : بغية الوعاة للسيوطى . القاهرة ١٣٢٦ .
البلدان : معجم البلدان لياقوت . ج ١–٤ . تحقيق وستنفلد . ليبسك ١٨٦٦/٦٩ .
بلوغ الأرب : ... فى معرفة أحوال العرب للالوسى . مصر ١٩٢٥ .
البيان والتبيين للجاحظ . ج ١–٣ . باعتناء السندوبى . القاهرة ١٩٤٧

البيهقى : الأسماء والصفات . الاه آباد ١٣١٣ .

التاج : تاج العروس للزبيدى . ج ١ـ١٠ القاهرة ١٣٠٦/٧ .
تاريخ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك . ج ١ـ١٣ . باعتناء دى غوية . ليدن ١٨٧٦/١٩٠١ .
التبصير : ... فى الدين الخ للاسفراينى . القاهرة ١٩٥٥ .
تحفة الأبية فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروزابادى . باعتناء عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥١ .
تذكرة الحفاظ للذهبى . ج ١ـ٢ . حيدرأباد ١٣٣٣/٤ .
تذكرة داود . بولاق .
تذكرة الموضوعات للمقدسى . القاهرة ١٣٢٣ .
تفسير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى . ج ١ـ٣٠ . بولاق ١٣٢٨ .
تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد القرطبى ج ١ـ٢٠ . القاهرة ١٩٢٣/٥٠ .
تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى . دهلى ١٢٩٠ .
تلبيس أبليس : نقد العلم لابن الجوزى . القاهرة ١٣٤٠ .
التهذيب : تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر . ج ١ـ١٢ . حيدراباد ١٣٢٥/٧ .
تهذيب الأسماء واللغات للنووى . ج ١ـ٤ . مصر بدون تأريخ .
تهذيب الألفاظ لابن السكيت . هذبه التبريزى . ج ١ـ٢ . باعتناء شيخو . بيروت ١٨٩٦/٨ .
تهذيب كامل المبرد للسباعى بيومى . القاهرة ١٩٢٣ .

الجمهرة : جمهرة اللغة لابن دريد . ج ١ـ٤ . حيدرآباد ١٣٤٢ .
جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى . ج ١ـ٢ بحاشية مجمع الأمثال .
جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر . القاهرة ١٩٣٢ .
جه : السنن لابن ماجه . باعتناء محمد فؤاد عبدالباقى . القاهرة ١٩٥٣

حاشية البيجورى : ... على متن الشمائل المحمدية للترمذى . مصر ١٣٠٢ .
حاشية الخضرى : ... على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . ج ١ـ٢ القاهرة ١٢٨٢ .
الحاوى للفتاوى للسيوطى . القاهرة ١٣٥١ .
حسن الصحابة : ... فى شرح أشعار الصحابة لجابى زاده . ١٣٢٤ .
حم : المسند لأحمد بن حنبل . ج ١ـ٦ . مصر ١٣١٣ .
الحماسة : شرح ديوان الحماسة للتبريزى . ج ١ـ٤ . القاهرة ١٩٣٨ .
الحور العين لنشوان الحميرى . باعتناء كمال مصطفى . القاهرة ١٩٤٨
حياة الحيوان للدميرى . ج ١ـ٢ . بولاق ١٢٨٤ .
الحيوان للجاحظ . ج ١ـ٧ . القاهرة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ .

خ : الجامع الصحيح للبخارى أبى عبد الله محمد بن اسماعيل . ج ١-٤ . باعتناء قرهل . ليدن ١٨٦٢ .
الخزانة : خزانة الأدب للبغدادى عبدالقادر . ج ١-٤ . بولاق ١٢٩٩ .
الخزانة / الخطيب : خزانة الأدب للبغدادى . ج ١-٤ . باعتناء محب الدين الخطيب . مصر ١٣٤٧ .
الخصائص لابن جنى . باعتناء محمد على النجار . مصر ١٩٥٥ .
خلاصة تذهيب الكمال : ... فى أسماء الرجال للخزرجى أحمد بن عبدالله القاهرة ١٣٢٢ .
الخيل لأبى عبيدة معمر بن المثنى . حيدرآباد ١٣٥٨ .

د الأخطل : ... باعتناء أنطون صالحانى . بيروت ١٨٩١ .
د أعشى نهشل : ... (هو الأسود بن يعفر التميمى) . اطلب الصبح المنير .
د أعشى همدان : اطلب الصبح المنير .
د أمرىء القيس / العقد : اطلب العقد .
د أمية بن أبى الصلت : ... باعتناء شولتهيس . ليبسك ١٩١١ .
د أوس بن حجر : ... باعتناء غاير . فينا ١٨٩٢ .
د أبى تمام : ... شرح التبريزى . ج ١ . باعتناء عزام . القاهرة ١٩٥١
د جرير : ... باعتناء اصاوى . القاهرة ١٣٥٣ .
د جيران العود النميرى : ... رواية السكرى . القاهرة ١٣٥٠ .
د الحارث بن حلزة : ... باعتناء كونكو . ١٩٢٢ .
د حاتم الطائى : ... باعتناء شولتهيس . ليبسك ١٨٩٧ .
د حاتم الطائى : ... لندن ١٨٧٢ .
د حسان بن ثابت : ... باعتناء هرشفلد . لندن ١٩١٠ .
د الحطيئة : ديوان جرول بن أوس الحطيئة . رواية السكرى . تحقيق غولدتصير . ليبسك ١٨٩٣ .
د الحطيئة / الشنقيطى . ديوان الحطيئة . تصحيح الشنقيطى . القاهرة
د حميد بن ثور الهلالى : ... باعتناء عبد العزيز الميمنى . القاهرة ١٩٥١
د الخنساء : أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء . باعتناء شيخو . بيروت ١٨٩٦ .
د ذى الرمة : ... شرح العائدى . باعتناء مكارتنى . كمبريج ١٩١٩ .
د رؤبة بن العجاج : ... مجموع أشعار العرب . ج ١ و ٣ . باعتناء آهلورد . برلين ١٩٠٣ .
د الزفيان : ... مجموع أشعار العرب . ج ٢ . باعتناء آهلورد . برلين ١٩٠٣ .
د زهير / العقد : اطلب العقد .
د زهير / ثعلب : ديوان زهير بن أبى سلمى . صنعة ثعلب . القاهرة ١٩٤٤ .
د زهير / الشنتمرى : ديوان زهير . شرح الأعلم الشنتمرى . مصر .

د سحيم : ... بن وثيل الرياحى . صنعة نفطوية . باعتناء عبدالعزيز الميمنى . القاهرة ١٩٥٠ .
د سلامة بن جندل : ... باعتناء شيخو . بيروت ١٩١٠ .
د الشماخ : ... بن ضرار الغطفانى . شرح الشنقيطى . القاهرة١٣٢٧ .
د طرفة / العقد : اطلب العقد .
د طرفة / الشنتمرى : ... شرح الأعلم الشنتمرى . باعتناء سلفسون . باريس ١٩٠١ .
د طرفة / الشنقيطى : ... شرح الشنقيطى . قزانده ١٩٠٩ .
د الطرماح : ... تحقيق كرنكو . ذكرى غب رقم ٢٥ . لندن ١٩٢٧ .
د الطفيل : ... تحقيق كرنكو . ذكرى غب رقم ٢٥ . لندن ١٩٣٧ .
د عامر بن الطفيل : ... لندن ١٩١٣ .
د عبيد بن الأبرص : ... تحقيق لايل . لندن ١٩١٣ .
د العجاج : ... مجموع أشعار العرب . ج ٢ . باعتناء آهلورد . برلين ١٩٠٣ .
د علقمة / العقد : اطلب العقد .
د علقمة / الشنتمرى : ... شرح الأعلم الشنتمرى . الجزائر ١٩٢٥ .
د عمر بن أبى ربيعة : ... باعتناء شوارتس . ليبسك ١٩٠١ .
د عمر بن أبى ربيعة : ... شرح الغنانى . القاهرة ١٣٣٠ .
د عنترة / العقد : اطلب العقد .
د الفرزدق : ... شرح الصاوى . القاهرة ١٩٣٦ .
د القطامى : ... عمير بن شييم . باعتناء بارته . ليدن ١٩٠٢
د قيس بن الخطيم : ... تحقيق كوالسكى . ليبسك ١٩١٤ .
د ابن قيس الرقيات : ... تحقيق رودوكناكيس . فينا ١٩٠٢ .
د كثير عزة : ... ج ١–٢ صنعة بيرس . الجزائر ١٩٢٨ .
د كعب بن زهير : ... شرح السكرى . القاهرة ١٩٥٠ . قصيدة بانت سعاد . باعتناء باسيه . الجزائر ١٩١٠ .
د لبيد : ... أبى عقيل العامرى . رواية الطوسى . ج ١ . باعتناءالخالدى فينا ١٨٨٠ . ج ٢ . باعتناء بروكلمان وهوبر . ليدن ١٨٩١ .
د المتلمس : ... تحقيق فولرس . ليبسك ١٩٠٣ .
د المسيب بن علس : ... اطلب الصبح المنير .
د معن بن أوس : ... باعتناء شوارتس . ليبسك ١٩٠٣ .
د النابغة الذبيانى / العقد : اطلب العقد .
د النابغة الذبيانى : ... باعتناء ديرنبورغ . باريس ١٨٩٩ .
د الهاشميات .. الكميت : شرح الرافعى . القاهرة ١٩١٢ .
د الهذليين : ... ج ١–٣ . القاهرة ١٩٤٥–١٩٥٠ . اطلب أشعارهذيل .
دا : سنن الامام أبى داود سليمان السجستانى . مصر ١٢٨٠ .
الدانى : التيسير فى القراءات السبع للدانى أبى عمرو . باعتناء برتزل . استانبول ١٩٣٠ .
دعائم الاسلام للقاضى النعمان . ج ١–٢ خط المكتبة المحمدية الهمدانية .

دى : مسند الدارمى . بهامش المنتقى . دهلى ١٣٣٧ .
الديارات للشابشتى أبى الحسن على بن محمد . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ١٩٥١ .
ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . ج ١–٢ . القاهرة ١٣٥٢ .

راحة العقل للكرمانى أحمد حميد الدين . ج ١–٢ خط المكتبة المحمدية الهمدانية .
الرسالة للشافعى محمد بن أدريس . بعناية أحمد شاكر . القاهرة ١٣٥٨ .
رغبة الآمل : ... من كتاب الكامل للمرصفى . ج ١–٨ . القاهرة ١٩٣٠ .
الروض الأنف : ... فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ج ١–٢ . القاهرة ١٣٣٢ .
الروضات : روضات الجنات للمرزا السيد محمد باقر . ج ١–٤ . فارس ١٣٠٧ .

الرياض للكرمانى أحمد حميد الدين . خط المكتبة المحمدية الهمدانية .
الزاهر لأبى بكر بن الأنبارى . خط مصور عن نسخة كوبريلى باستانة فى دار الكتب المصرية رقم ٥٨٨ .
السراج المنير : ... شرح الجامع الصغير الخ للعزيزى على بن أحمد . ج ١–٣ . القاهرة ١٣٠٥ .
سمط : سمط اللآلىء للبكرى ج ١–٢ . باعتناء ميمنى . القاهرة ١٩٣٦ .
السيرة : سيرة سيدنا محمد لابن هشام . تحقيق وستنفلد . غوتنغن ١٨٥٨ .
الشذرات : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلى . ج ١–٨ . القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ .
شرح الشواهد الكبرى : المقاصد النحوية فى شرح شواهد الألفية للعينى بدر الدين ج ١–٤ (بحاشية خزانة الأدب) . بولاق ١٢٩٩ .
شعراء النصرانية . ج ١–٢ . جمعه شيخو . بيروت ١٨٦٧ .
الشعر والشعراء : ... لابن قتيبة . تحقيق دى خويه . ليدن ١٩٠٢ طبعة مصر ١٣٢٢ .
الشفاء : ... للقاضى عياض . شرح الخفاجى ج ١–٤ . الاستانة ١٢٦٧ . شرح ملا على القارى . ج ١–٢ . بولاق ١٢٥٧ .
شفاء الغليل : ... فيما فى كلام العرب من الدخيل للخفاجى . القاهرة ١٣٢٥ .
شمس العلوم : ... ودواء كلام العرب لنشوان الحميرى . تصحيح عظيم الدين أحمد . ليدن ١٩١٦ .
شواهد الكشاف : شرح شواهد الكشاف لمحب الدين أفندى . بولاق ١٢٨١ .
شواهد المغنى : شرح شواهد المغنى للسيوطى . القاهرة ١٣٢٢ .

الصاحبي لابن فارس . القاهرة ١٩١٠ .
صبح الأعشى : ... للقلقشندي . القاهرة ١٩١٢ — ١٩١٧ .
الصبح المنير : ... فى شعر أبى البصير الخ . فيه دالأعشى ميمون ود أعشى نهشل (هو الأسود بن يعفر التميمى) ود أعشى همدان ومجموعة أشعار الأعشين وشعر المسيب بن علس . تحقيق غاير . لندن ١٩٢٨ .
صح : الصحاح للجوهرى . طبعة ايرانية ١١٧٠ .
الصفة : صفة جزيرة العرب للهمدانى أبى محمد حسن بن أحمد . باعتناء موار . ليدن ١٨٩١ .

ضبط الأعلام لأحمد تيمور باشا . القاهرة ١٩٤٧ .

طبقات الحنفية : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية لمحيى الدين أبى محمد عبد القادر القرشى . حيداباد ١٣٣٢ .
طبقات ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد . ج ١—٩ . باعتناء سخاو . ليدن ١٣٢٢/٤٨ .
طبقات ابن سلام / شاكر : طبقات فحول الشعراء . شرح محمودشاكر . القاهرة ١٩٥٢ .
طبقات ابن سلام / هل : طبقات الشعراء . باعتناء هل . ليدن ١٩١٣ .
طبقات الشافعية للسبكى . القاهرة ١٣٢٤ .
طبقات المفسرين للسيوطى . باعتناء مرسنج . ليدن ١٨٣٩ .

العقد : العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين (د النابغة الذبيانى ودعنترة ودطرفة ود زهير ودعلقمة ودامرىء القيس) . صنعة الأعلم الشنتمرى . باعتناء آهلورد . لندن ١٨٧٠ .
عقد الجمان : ... فى تاريخ أهل الزمان للعينى بدر الدين . خط مصور من أستانة ولى الدين بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ .
العقد الفريد لابن عبد ربه . ج ١—٤ . القاهرة ١٩١٣ .

العمدة : ... فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق . القاهرة ١٣٤٤
عيون الأخبار لأدريس عمادالدين القرشى . ج ١—٧ . خطالمكتبةالمحمدية الهمدانية .
عيون الأخبار لابن قتيبة . ج ١—٤ . القاهرة ١٩٣٠ .

غريب القرآن للسجستانى أبى بكر محمد بن عزيز . مصر ١٣٥٥ .
غريب القرآن لابن قتيبة . خط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠٥

الفائق : ... فى غريب الحديث للزمخشرى . ج ١—٢ . حيدراباد . وطبعة القاهرة ١٣٦٤ .
الفاخر لمفضل بن سلمة . باعتناء ستورى . لايدن ١٩١٥ .
الفاضل للمبرد . باعتناء الميمنى . القاهرة ١٩٥٦ .

فتح البارى : ... بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى . ج ١–١٣ . بولاق ١٣٠١ .
فتوح البلدان للبلاذرى . مصر ١٩٠١ .
فرائد اللآل : ... فى مجمع الأمثال للأحدب . ج ١–٢ . بيروت ١٣١٢ .
الفرق بين الفرق للبغدادى عبد القاهر . القاهرة ١٩١٠ . ومختصر الفرق لعبد الرزاق الرسعنى . باعتناء حتى . القاهرة ١٩٢٤ .
فرق الشيعة للنوبختى . تحقيق ريتر . استانبول ١٩٣١ .
فقه اللغة للثعالبى . مصر ١٣١٧ .
الفكاهة : ... والايتناس فى مجون أبى نواس . جمعه منصور عبدالمتعال . مصر ١٣١٦ .
فوات الوفيات للكتبى محمد بن شاكر . بولاق ١٢٩٩ .
الفهرست : ... لابن النديم . باعتناء فلوغل . ليبسك ١٨٧١ . مصر ١٣٤٨ .
فهرست كتب الدعوة لاسماعيل بن عبد الرسول . خط مكتبتنا المحمدية الهمدانية .
فهرس الطوسى : فهرس كتب الشيعة للطوسى أبى جعفر . كلكته ١٨٥٣ .
ق : القاموس المحيط للمجد الفيروزابادى .
القراء : غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى . باعتناء برغستراسر . القاهرة ١٩٣٢ .
القرطين : ... لابن مطرف الكنانى . ج ١–٢ . القاهرة ١٣٥٥ .
القصد : ... والأمام الخ لابن عبد البر . القاهرة ١٣٥٠ .
الكامل / ابن الأثير : الكامل فى التاريخ لابن الأثير عز الدين على بن محمد . ج ١–٤ . ليدن ١٨٦٦/٧٤ .
الكامل / المبرد : الكامل لأبى العباس المبرد ج ١–٢ . تحقيق رأيت . ليبسك ١٨٧٤ . ج ١–٢ مصر ١٣٢٣ .
الكتاب لسيبويه . ج ١–٢ . باعتناء ديرنبورغ . باريس ١٨٨١/٨٩ . ج ١–٢ . بولاق ١٣١٦/١٧ .
كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى محمد على . ج ١ . الاستانة ١٣١٧ .
كشف الخفاء : ... ومزيل الألباس للعجلون . القاهرة ١٣٥١ .
كشف الظنون : ... لحاجى خليفة شلبى . ج ١–٧ تحقيق فلوغل . ليبسك ١٨٣٥/٥٨ . ج ١–٢ طبعة استانبول ١٩٤٣ .
كليات أبى البقاء الكفوى . مصر ١٢٨١ .
كنايات الجرجانى : المنتخب من كنايات الأدباء الخ للجرجانى أبى العباس أحمد . القاهرة ١٩٠٨ .
كنوز الحقائق : ... فى حديث خير الخلائق للمناوى . بولاق ١٢٨٦ .
الكنى والأسماء للدولابى . ج ١–٢ . حيدرآباد ١٣٢٢ .
ل : لسان العرب لابن منظور . ج ١–٢٠ . بولاق ١٣٠٠/٨ .
لباب الألباب للعوفى . ذكرى غب .
اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير عز الدين على . القاهرة ١٣٥٧ .
لسان الميزان للحافظ ابن حجر . ج ١–٦ . حيدراباد ١٣٢٩/٣١ .

المؤتلف والمختلف : ... فى أسماء الشعراء وكناهم الخ للآمدى . باعتناء كرنكو . القاهرة ١٣٥٤ .
المتوكلى : ... فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية الخ للسيوطى . دمشق ١٣٤٨ .
المجاز : مجاز القرآن لأبى عبيدة ج ١ . تحقيق محمد فؤاد سزكين . القاهرة ١٩٥٤ .
المجاز/مراد منلا : مجاز القرآن لأبىعبيدة . خط مصور من نسخة مراد منلا (استانبول) بمكتبة جامعة القاهرة .
مجالس ثعلب . ج ١–٢ . باعتناء عبد السلام هارون . القاهرة١٩٤٨ .
مجمع الأمثال للميدانى . ج ١–٢ . بولاق ١٢٨٤ .
المجموع الصفى للصفى أبى الفضائل بن العسال . مصر ١٩٠٨ .
مختارات الشعراء : مختارات شعراء العرب . رواية ابن الشجرى . القاهرة ١٣٠٦ .
مختلف الحديث : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة . القاهرة ١٣٢٦ .
المخصص لابن سيده . ج ١–١٧ . بولاق ١٣١٦/٩ .
مرآة الجنان : ... وعبرة اليقظان الخ . لليافعى عبد الله بن أسعداليمنى ج ١–٤ . حيدراباد ١٣٣٧/٣٩ .
المرصع لابن الأثير مجد الدين المبارك . تحقيق سيبولد . وايمار ١٨٩٦
مروج الذهب : ... ومعادن الجوهر للمسعودى . بولاق ١٣٨٣ . باريس ١٨٦١ .
المزهر : ... فى علوم اللغة للسيوطى . ج ١–٢ . القاهرة بدون تاريخ .
مس : الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج . ج ١–٨ . نظارة المعارف الجليلة ١٣٢٩/٣٢ .
مشتبه النسبة للأزدى عبد الغنى بن سعيد . الهند ١٣٢٧ .
مشكل القرآن : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة . باعتناء صقر . القاهرة ١٩٥٦ .
مصابيح السنة للبغوى . ج ١–٢ . القاهرة ١٢٩٠ .
مط : الموطا لمالك بن أنس . ج ١–٢ . باعتناء محمد فؤاد عبد الباقى القاهرة ١٩٥١ .
المعارف : ... لابن قتيبة . باعتناء وستفلد . غوتنغن ١٨٥٠ .
معانى القرآن : ... للفراء . باعتناء نجاتى والنجار . القاهرة ١٩٥٥ .
معاهد التنصيص : ... لعبد الرحمن العباسى . بولاق ١٢٧٤ .
المعتمد : ... فى الأدوية المفردة للملك المظفر الغسانى . باعتناء مصطفى السقا . القاهرة ١٩٥١ .
معجم البكرى : معجم ما استعجم . ج ١–٢ . تحقيق وستنفلد . غوتنغن ١٨٧٧ . ج ١–٣ . تحقيق مصطفى السقا . القاهرة ١٩٤٥/٥٠ .
معجم الشعراء : ... (غ – ى) للمرزبانى . باعتناء كرنكو . القاهرة ١٣٥٤ .

المعجم فى بقية الأشياء لأبى هلال العسكرى . باعتناء الابيارى وشلبى .
القاهرة ١٩٣٤ .
المعرب : ... من الكلام الأعجمى الخ للجواليقى . باعتناء سخاو . ليبسك ١٨٦٧ . باعتناء احمد شاكر . القاهرة ١٣٦١ .
المعلقات : شرح المعلقات السبع للزوزنى . القاهرة ١٣١٩ .
المعمرين : كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى . باعتناء غولدتصير .
ليدن ١٨٩٩ .
المغرب : ... فى ترتيب المعرب للمطرزى أبى الفتح ناصر . ج ١—٢ .
حيدرآباد .
مفتاح كنوز السنة لمحمد فؤاد عبدا الباقى . القاهرة ١٩٣٤ .
المفردات : ... فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى . القاهرة ١٣٢٤ .
المفضليات : د المفضليات للمفضل الضبى مع شرح الأنبارى . ج ١—٢ .
تحقيق لايل . اكسفورد ١٩٢١ .
مقاييس اللغة لابن فارس ج ١—٦ . باعتناء هارون . القاهرة ١٣٦٦ .
مقالات الاسلاميين : ... واختلاف المصلين للأشعرى . تحقيق ريتر .
استانبول ١٩٢٩ .
مقامات للسيوطى . استانبول ١٢٩٨ .
الملائكة : رسالة الملائكة للمعرى أبى العلاء . القاهرة بدون تاريخ .
الملل / ابن حزم : الفصل فى الملل والأديان والنحل لابن حزم . القاهرة ١٣١٧ .
الملل/ الشهرستانى : الملل والنحل للشهرستانى . باعتناء كوريتون .
لندن ١٨٤٢ . باعتناء بدران . مصر ١٩٥٦ .
مناسبات البقاعى : نظم الدرر من تناسب الآيات والسور الخ للبقاعى أبى
أسحاق ابراهيم . خط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٣ .
منتهى المقال للحائرى محمد بن اسماعيل . طهران ١٣٠٢ .
منهج المعارج لأخبار الخوارج لعثمان بن عبد العزيز الحنبلى التميمى .
خط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٤٤ تاريخ .
منهج المقال للاسترابادى محمد بن على . فارس ١٨٨٩/٩٠ .
المواهب اللدنية للقسطلانى . شرح الزرقانى . ج ١—٨ . مصر ١٢٩١ .
الموشح : ... فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى . القاهرة ١٣٥٤ .
مهذب الأغانى للخضرى محمد . ج ١—٢ . مصر ١٩٢٥ .
ميزان الاعتدال : ... فى نقد الرجال للذهبى . مصر ١٣٢٥ .

النزهة : نزهة الألبا فى طبقات الأدبا للأنبارى أبى البركات . مصر ١٢٩٤
نس : سنن النسائى . ج ١—٨ . القاهرة ١٩٣٠ .
النصرانية وآدابها : ... بين عرب الجاهلية لشيخو . بيروت ١٩١٢ .
النقائض : نقائض جرير والفرزدق . تحقيق بيفان . ليدن ١٩٠٥/٧ .
نوادر أبى زيد : النوادر فى اللغة لأبى زيد سعيد الأنصارى . بيروت ١٨٩٤

النهاية : ... فى غريب الحديث لابن الاثير مجد الدين المبارك . ج ١—٢
القاهرة ١٣١١ .
نهاية الأرب للنويرى . ج ١—١٠ . القاهرة ١٩٢٣/٣٣ .
النهج : نهج البلاغة الجامع لخطب الأمام على بن أبى طالب ورسائله. شرح
ابن أبى الحديد . ج ١—٨ .

الوحوش للأصمعى . تحقيق غاير . فينا ١٨٨٨ .
الوسيلة الأحمدية : ... والذريعة السرمدية الخ لرجب بن أحمد .
استانبول ١٣١٨ .
الوفيات : وفيات الأعيان لابن خلكان . ج ١—٣ . مصر ١٢٩٩ .

بعض المراجع الغربية

جيفرى : A. Jettery, Foreign Vocabulary of the Quran, Baroda 1938.

صديقى : A. Siddiqi, Studien ueber die persischen Fremdwoerter im klassischen Arabisch, Goettingen 1919.

غيزينيوس : W. Gesenius, Hebraeisches und Aramaeisches Handwoerterbuch ueber das Alte Testament, Leipzig 1910.

غولدتصير : I. Goldziher, Die Richtungen der islamischen Kornauslegung, Leiden 1920, المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن . تعريب على حسن عبد القادر . مصر ١٩٤٤ .

فرينكل : S. Fraenkel, Die aramaeischen Fremdwoerter im Arabischen, Leiden 1886.

ليفى : J. Levy, Neuhebraeisches und chaldaeisches Woerterbuch, Bde. I u. II, Leipzig 1879.

نولدكى : Th. Noeldeke, Neue Beitraege zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.

هورتن : M. Horten, Die spekulative und positive Theologie des Islam, Leipzig 1912.

يوبرويغ : F. Ueberweg, Grundriss d. Geschichte d. Philosophie, Bde. I u. II, Berlin 1926.

بسم الله الرحمن الرحيم

[تصدير المؤلف في بيانه بعض ما تشتمل عليه الكتاب والغرض من تأليفه]

قال أبو حاتم : هذا كتاب فيه معانى أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية ، يحتاج الفقهاء إلى معرفتها ، ولا يستغنى الأدباء عنها ، وفى تعلمها نفع كبير وزينة عظيمة لكل ذى دين ومروة ، ألفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعانى ، واحتججنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يُحتَجّ بشعرهم فى غريب القرآن وغريب الحديث ، وفيما يوجد له ذكر فى الشريعة من الأسماء وما فى الفرائض والسنن ، والألفاظ النادرة . وبدأنا فيه بذكر فضل لغة العرب وما لها من الأسباب الفاضلة التى ليست لسائر لغات الأمم ، وذكرنا فضيلة الشعر وما فيه من النفع العظيم ، وأوردنا فى ذلك من الحجج (١) ما رجونا أن يكون فيه بلاغ لمن أنصف واعترف بالحق . ثم ذكرنا بعد ذلك معانى أسماء الله عز وجل وصفاته وما يجوز أن يُتأول فيها ، ثم معانى أسماء تذكر باللغة العربية مما هى فى العالم ومما جاءت فى الشريعة ، مثل الأمر والخلق والقدر والقضاء [٢] والدنيا والآخرة واللوح والقلم والعرش والكرسى والملائكة وما لها من الأسامى والصفات ، والجن والإنس ، ومعنى إبليس والشياطين وما لها من الصفات مثل الرجيم والمارد واللعين وغير ذلك ، والنار وما لها من الصفات مثل لَظَى والسعير والحطمة والجحيم وجهنم والهاوية وسقر ، ومعنى الصراط والأعراف ، ومعنى البرزخ ، ومعنى الثواب والعقاب والإثم والوزر ، ومعنى القيامة ، ومعنى العالم والحيوان والسماء والأرض والهواء والفلك والبروج والنجم والكواكب والشمس والقمر والإقليم والجزيرة (٢) ومعنى المصر والمدينة والبلد والكورة ، ومعانى (٣) أسماء مدن عربية مشهورة ، ومعنى الروح والنفس والعقل والعلم والجهل والجاهلية والمعرفة والإنكار والأدب

---

(١) ى : الحجة .

(٢) كما فى ى م . الجزائر .

(٣) كما فى ى م : معنى

والحكمة والحكيم والهدى والضلال ، ومعنى الإسلام والإيمان والفرق بينهما ، ومعنى الدين والشريعة والمنهاج والملة والأمة والفطرة والصبغة ، وأهل العزيمة ، وأهل الذمة ، ومعنى الكفر والنفاق والشرك والإلحاد والظلم والفسق والفجور ، ومعنى اليهود والنصارى والصابئين والمجوس ، ومعانى ألقاب فرق الإسلام وأصحاب المذاهب والأهواء مثل الشيعة والمرجئة والرافضة والقدرية والمارقة وسائر ألقاب الفرق المتشعبة منها ، ومعنى النبي والمُرسَل والبشير والنذير والخليل والإمام والنقيب والحوارى والصديق والفاروق والشهيد والمُحدَّث والحنيف والتوّاب والأوّاب والأوّاه [٣] ومعنى المهاجرين والأنصار والربانيين والأحبار والقسيسين والرهبان ، ومعنى الولى والمولى والولاية والموالاة والآل وأهل البيت والعترة والذرية والسلالة والسبط ، ومعنى الشعب والقبيلة والعمارة والفخذ والعشيرة والفصيلة ، ومعنى الكتاب والقرآن والفرقان والوحى والتنزيل والقصص والمثانى وأم الكتاب والمفصل ، ومعنى التأويل ، ومعنى السورة والآية والكلمة والحرف ، ومعنى التوراة والإنجيل والزبور ، ومعنى الفريضة والسنة والبدعة والجماعة والتطوع والنافلة ، ومعنى الميراث والعصبة والكلالة وذوى الأرحام والإزوَاء ،(١) ومعنى الطهارة والاغتسال والجنابة والوضوء والاستنجاء والمضمضة والاستنشاق والتيمم والأذان والإقامة ، ومعنى أوقات الصلوات مثل الفجر والأولى والظهيرة والعصر والعشاء الآخرة والعتمة ، واشتقاق الصلاة وما فيها من الحدود مثل الركوع والسجود والتحيات والتشهد والقنوت والوتر والتكبير والتسبيح والتهليل والتهجُّد والخشوع والتضرع والخشية والخضوع والابتهال ، واشتقاق الصوم وأيام البيض والسرار ، ومعنى الاعتكاف والفطر والأضحى والعيد ، واشتقاق الزكاة والصدقة ، ومعنى أموال الجوالى والحج والعمرة ومكة والكعبة ووجوه الحج ، ومعنى الإحرام والتلبية والإهلال بالحج ، ومعنى المناسك والمشاهد ، ومعنى الموسم [٤] والقربان والهدى والبدنة والإشعار والمشعر والإفاضة والجمار والاستلام والسعى والرمل والصفا والمروة ومنى وعرفة والتروية والنحر وأيام التشريق ، ومعنى زمزم ، ومعنى النكاح والإحصان والطلاق والرجعة والإيلاء

---

(١) كما فى ى.م : والأزواج .

والظهار والخلع والمبارأة والناشزة والملاعنة والعتاق والحد والرجم والجلد والخسف والعفو والصرف والعدل والوسط ، ومعنى الصبر والبصيرة والسكينة واليقين والملكوت والفتنة والبلاء والفرج ، ومعنى المثل والمعنى والفرق بينهما ؛ ومعنى عبارة الرؤيا ، ومعنى العربى والعجمى ، ومعنى اللحن والرفع والنصب والخفض والجزم والهمز والإضافة والترخيم والإدغام ، ومعنى الأب والأم والابن والابنة والأخ والأخت والعم والخال ، ومعنى اليتيم ، ومعنى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، ومعنى الرجس والرجز والسحر وهاروت وماروت ويأجوج ومأجوج والمسيح والدجال والكاهن والعائف والقائف والزاجر ، ومعنى الجبت والطاغوت ، وذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وغير ذلك من معانى أسماء نذكرها و نذكر معانيها ، ونستشهد على ذلك بالشعر المعروف ، و نورد فيه ماوقع إلينا من أقاويل العلماء باللغة، وما روى عن العلماء وأهل التفسير فى تفسير كل حرف والمعوّل على حكاياتهم [1] وألفاظهم ، وما فسروه فى كتبهم ، ورويت الأخبار به عنهم ، إذ كانت متفرقة فى مصنفاتهم ورواياتهم [٥] لا يوقف منها إلا على الحرف بعد الحرف إذا مرّ فى كتاب أو ذُكِرَ فى رواية . و كثير منه مما [2] لم يُدوَّن عنهم ولم يفسّر تفسيرا شافيا جمعناه فى كتابنا رجاء للثواب على تأليفه ، لما فى جمعه من النفع لأهل الرغبة فى العلم والأدب ، ولأهل الدين والحسب ، لسقوط مؤنة البحث عنه والمشقة فى تتبع حرف بعد حرف منه فى الكتب والشعر . وسمّيناه « كتاب الزينة » ، إذ كان من يعرف ذلك يتزيّن به فى المحافل ، ويكون منقبة له عند أهل المعرفة . ولعل أكثر الناس قد غفلوا عن الواجب عليهم فى تعلمها، [3] واللازم لهم من معرفتها . وبالله الحول والقوة على تأليفه [4] وبه نستعين على أداء الصدق فيه ، وإيّاه نستغفر من الزلل والهفوة ، وبه نعوذ من التعمد للخطأ ، والقصد لما يحبط الأجر ، ويبطل الثواب ، ويوجب العقاب . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) ى وأهل التفسير فى تفسير كل حرف ويعول على حكاياتهم . وسقط « فى تفسير كل حرف » فى م. وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا . والحروف على ما فسرها صاحب الزينة فى باب الحرف هى حدود الكلام كله . وقد سمى فى هذا الكتاب الكلمات التى ذكرها أحرفا وألفاظا وأسماء وكلمات ، والمراد منها ما اصطلح عليها القرآن والمسلمون .

(٢) الأصول : ما .

(٣) كما فى ى . م و ح : تعلمه .

(٤) ى : تأليفه وتحصيله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُفضِل[1] على عباده بنِعَمه السابغة ، المُنعِم عليهم بمِنَنه[2] الكاملة ، المبْدِع الخَلقَ بقدرته ، المُتقِن آياته بحكمته ، الذى خَلَق أصناف الخلق من حيَوان ومَوات ، وفَضّلَ بعضهم على بعض درجات ، وأنطَقَ أصناف الحيوان بأنواع الأصوات ، ووَهبَ للبشر الفضل بتفضيل الكلمات ، واختصّه من بين جميع خلقه بالكرامة والتفضيل ، فقال عزّ وجلّ : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ،[3] وخَلَقَ البشر أمماً فى الألسنة والألوان مختلفين ، وجعلهم شعوبا وقبائلَ بلغات كثيرة ناطقين ، آيات يدلّنا بها على وحدانيّته ، وبينات يقودنا بها إلى فردانيّته ، [٦] فقال تبارك وتعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ،[4] وبعث النبيّين مبشّرين ومنذرين تَتْرى مُقَفِّيا[5] بعضهم على إثر بعض ، لئلاّ يقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير ،[6] بألسنة مختلفة ولغات شتّى . فاختار من كلّ أمّة رسولا منهم ، وابتعثه إليهم برسالته بلسانهم ، ليبيّن لهم معالم دينهم ، تأكيدا للحجّة عليهم ، وتبليغا لرسالته[7] إليهم ، فقال عزّ وجلّ : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ،[8] حتّى أفضت[9] الرسالة إلى محمّد صلّى الله عليه

---

(١) ى : المتفضل .

(٢) ى . بمنته .

(٣) بنى اسرائيل ٧٠/١٧ .

(٤) الروم ٢٢/٣٠ .

(٥) ى : مقفيا معقبا بهم .

(٦) ى . من بشير ونذير .

(٧) ى . لرسالاته .

(٨) ابراهيم ٤/١٤ .

(٩) فى الأصول : أفضيت .

وعلى آله وسلم سيد المرسلين وخاتم النبيين. فاختار له أمّة من أفضل الأمم، ونقله إليهم، وأخرجه من أطهر صُلْب ورَحِم، ثم أبرزه فى أشرف القبائل وأكرم المناصب، وأرسله إلى الخلق كافّة، وبعثه إلى جميع الأمم عامّة، فضيلة اختصّه بها من بينهم، ودرجة فضّله بها عليهم، مُقَفِّيًا به آثارهم، ومُحْيِيًا به سننهم وأخبارهم، فأكمل به الرسالات، وختم به النبوّات، وبعثه بأفصح اللغات، وأعطاه أتمّ الكلمات، وأنطقه بأبين لسان، ليُفصِّل للناس ما نُزِّل إليه بأبلغ بيان، فقال عزّ وجلّ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. (١) وأعطاه كتابا، وسمّاه قرآنا، (٢) وجعله لما تقدمه من الكتب مُبينا وفُرْقانا، فبلّغ صلّى الله عليه وسلّم الرسالة، وأدّى الأمانة، قائما بالحقّ، ناطقا بالصدق، ناصحا للأمّة، شاكرا للنعمة، [٧] صابرا على كل مُلمّة، حتى توفّاه الله راضيا عنه مَرْضيّا، وهاديا به مَهديّا. صلّى الله عليه أفضل ما صلّى على أحد من أنبيائه ورسله، وبارَكَ وتَرحّم أتمّ رحمة وأنمى بركة، وعلى آله أجمعين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

فضل لغة العرب

[لغات الأمم] أمّا بعد، فإنّ لغات الأمم أكثر من أن يحصيها أحد، أو يحيط من ورائها محيط، أو يبلغ معرفة كُنهها مخلوق، بل كلّ أمّة تتكلّم بلسانها، ولا يعرف أكثرهم غيرَ لغتهم، إلا القليل من الناس الذين علّمهم الله، فتكلّموا بلسانين أو ثلاثة. ولن يعدو ذلك إلاّ القليل، ليترجم بعضهم مع بعض؛ (٣) أو من علّمه الله من الأنبياء ما أراد، فقد أوتى سليمان عليه السلام

---

(١) الشعراء ٢٦/١٩٣ — ١٩٥ .

(٢) ى : فرقانا .

(٣) ى . ليترجم بعضهم مع بعض ويتعاشر أو يتعايش بعضهم مع بعض .

منطق الطير وعِلم الحُكل(١) فضلا عن معرفة لغات الآدميِّين . والله عزّ وجلّ لا تخفى عليه تصاريف اللغات ، ولا تشغله كثرة الأصوات ، أحاط بذلك كلّه علما ، لأنّه أنطقَ عباده(٢) بها ، وفتَقَ(٣) ألسنتهم عليها . فسبحان الذى «لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» (٤)

فأفضل ألسنة الأمم كلّها أربعة : العربيّة ، والعبرانيّة ، والسريانيّة ، والفارسيّة ، لأنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتبه على أنبيائه عليهم السلام — آدم ونوح وإبراهيم ومن بعدهم من أنبياء بنى إسرائيل — بالسريانيّة والعبرانيّة ، وأنزل القرآن على محمّد صلّى الله عليه بالعربيّة . وذُكِر أنّ المجوس كان لهم نبىّ وكتاب ، وأنّ كتابه(٥) كان بالفارسيّة هذا ما اتفق عليه أصحاب الشرائع . وقال قوم بفضل اللغة اليونانيّة والهنديّة ، لأنّ كتب الفلاسفة [٨] والأطبّاء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب بها . وهذا قول منبوذ عند أهل الملل .

[فضل اللغة العربية] وقلنا : إنّ أفضل اللغات الأربع لغة العرب . وهى أفصح اللغات وأكملها ، وأتمّها وأعذبها وأبينها . ولم يحرص الناس على تعلّم شىء من اللغات فى دهر من الدهور ، ولا فى وقت من الأوقات ، كحرصهم على تعلّم لغة العرب . ولا رغبوا فى شىء من القرون والأزمنة رغبة هذه الأمّة فى لسان العرب من بين الألسنة ، حتى إنّ جميع الأمم فيها راغبون ، وعليها مُقبلون ، ولها بالفضل مُقِرّون ، وبفصاحتها معترفون ، وحتى نقلوا الكتب المنزّلة مثل التوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب الأنبياء من السريانيّة والعبرانيّة إلى العربيّة ، ونقلوا ما قالته حكماء العجم من الفارسية إلى العربية ، وسائر ذلك من

---

(١) الحكل بالضم مالا يسمع صوته كالذر (ق / الحكل) . والمراد بذلك ما ورد عن سليمان فى قصة النمل .

(٢) ى . العباد .

(٣) كما فى ى . م و ح : فتح .

(٤) سبأ ٣٤ / ٣ .

(٥) ى : كتابهم .

كتب الفلسفة والطبّ والنجوم والهندسة والحساب من اليونانية أو الهندية إلى العربية . وحرصت كلّ أمّة على تعلّم العربية ليترجموا ما فى أيديهم بها . ولم يرغب أهل القرآن والكتاب العربى فى نقله إلى شىء من اللغات ، ولا قدر أحد من الأمم أن يترجمه بشىء من الألسنة . ولو قدروا عليه لفشَا ذلك فيهم ، وجرت الألسنة به عندهم ، ولكن تَعَذَّرَ ذلك عليهم لكمال لغة العرب ونقصان سائر اللغات . فإن قال قائل : لم يفعلوا ذلك زهدا فيه ورغبة عنه ، أ كذبه العيان ، وأوهَنَ حجتَه ما جُبِلَ عليه أشراف الناس وذوو الأخطار والهمم منهم ، من المحبة لمعرفة الأشياء والعلم بها ، ولنِزاع نفوس ذوى الإقدام[1] والرفعة إلى الوقوف على جميع الآداب . فإنّ الملوك وأهل الشرف من كلّ أمّة قد رغبوا فى نقل كتب لها مقدار صغير وخطر يسير إلى لغتهم ، شوقا منهم [٩] إلى معرفتها ، وعشقا للوقوف على حقائقها والعلم بها والبصيرة فيها . فكيف القرآن الذى عَظَّمَ الله شأنه ، وأجلّ مقداره ، وأخضع رقاب الأمم لسَنَنه[2] ، وأمضى عليهم ما شرّع فيه من أحكامه ؟ وقد حاول كثير من الناس ذلك ، فعسر عليهم نقله وتعذّر ترجمته . فترجموا منه شيئا يسيرا ، مثل بسم الله الرحمٰن الرحيم ، ومثل سورة الحمد ، على استخراج شديد ونقل بعيد . وقد قال بعض العلماء باللغة : لو أن الناس عهدوا أن ينقلوا قول الله عز وجل : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ »[3] ، وقوله : « فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ »[4] ، وقوله تعالى : « فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ »[5] لما قدروا عليه ، لأن هذا السين فى قوله : « سيهزم الجمع » ، وفى قوله : « فسوف يأتى الله » لا يمكن نقلها البتة ، وقوله : « فانبذ إليهم على سواء » لا يمكن نقله على هذا الاختصار ، حتى يُوسّع الكلام فيه ، ويكثر القول به ، ويُزال عن سَنَنه ، ويُحاد به عن معناه ، ويُسلَب بهاؤه ومثل هذه ألفاظ كثيرة ، لا تُنقَل عن لغة العرب إلى سائر اللغات ولا توجد لها ترجمة .

---

(١) كذا فى م و ح . ى : ذوى الأقدام . ويجوز أن يقرأ ذوى الأقدام ، كما أشار اليه الميمنى . والرجل وقدمه أى تقدمه وسبقه .

(٢) م و ح : لسنته . ى : لسنة .

(٣) القمر ٥٤/٤٥ .

(٤) لمائدة ٥/٥٤ .

(٥) الأنفال ٨/٥٨ .

وروى الترمذى (١) عن محمد بن المنذر الهَرَوى (٢) عن محمد بن عبد الله العُتْبى (٣) قال : على كرم الله وجهه : كلام العرب كالميزان الذى يُعرَف به الزيادة والنقصان . وهو أعذب من الماء ، وأرق من الهواء ، إن فسّرته بذاته استصعب ، وإن فسرته بغير معناه استحال ، فالعرب أشجار وكلامهم ثمار ، يُثمِرون والناس يجتنون ، بقولهم يقولون ، وإلى علمهم يصيرون .

فعلى هذا لغة العرب ممتنعة على سائر اللغات . واللغات كلها منقادة لها ، وأقبلت الأمم كلها إليها ، يتعلمونها رغبة فيها وحرصا عليها ومحبة لها وفضلا أبانه الله فيها للناس ليبيِّن لهم فضل محمد صلى الله عليه على سائر الأنبياء صلوات الله [١٠] عليهم أجمعين ، وتثبت نبوته عندهم ، وتتأكد الحجة عليهم ، وليظهر دين الإسلام على كل دين ، تصديقا لقوله عز وجل حيث يقول : هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . (٤) ولو ذهبنا نَصِفُ اللغات كلها عجزنا عن تناول مالم يُعطَه أحد قبلنا ، ولكنا نذكر من ذلك على قدر المعرفة ومقدار الطاقة ، ونتكلم بما علمنا منه محبة لإيراد فضل

---

(١) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى السلمى (من بنى سليم) البوغى (منسوب للبوغ قرية من قرى ترمذ) . وهو أحد الأعلام الحفاظ . أخذ عن المشاهير كالبخارى . كان مكفوف البصر . وقيل ولد أكمه . كان يضرب به المثل فى الحفظ . ولد سنة تسع ومئتين . ومات فى الثالث عشر من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين (ملخصا من حاشية البيجورى على الشمائل للترمذى) .

(٢) ذكر الذهبى فى ميزان الاعتدال ١٢٩/٣ : محمد بن المنذر بن أسد الهروى مجهول .

(٣) لعله محمد بن عبد الله (أو عبد الله) من ولد عتبة بن أبى سفيان بن حرب . والأغلب عليه الأخبار وأكثر أخباره عن بنى أمية . وكان العتبى شاعرا مجيدا ، وكان مستهترا بالشراب وهو يقول الشعر فى عتبة . ومات سنة ثمان وعشرين ومئتين . هذا ما قاله ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٧ . وأورد الأزدى فى مشتبه النسبة ٤٦ هكذا : محمد بن عبد الله العتبى الأخبارى بصرى . وقال عز الدين بن الأثير (اللباب فى تهذيب الأنساب ١١٩/٢) : محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبه بن ابى سفيان العتبى بصرى يكنى أبا عبد الرحمن صاحب أخبار وآداب حدث عن أبيه وابن عيينة . روى عنه أبو حاتم السجستانى . راجع أيضا الوفيات ٣٥٤/٢ .

(٤) الصف ٩/٦١ .

لغة العرب ، إذ كان فيه إظهار فضيلة الإسلام على سائر الملل ، وإبراز فضل محمد صلى الله عليه على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإن كان ذلك ظاهرا بنعمة الله بارزا بحمد الله ، لأن دين الإسلام عربى ، والقرآن عربى ، وبيان الشرائع والأحكام والفرائض والسنن بالعربية.(١)

[لغة العرب تامة الحروف] ونقول : إن لغة العرب هى اللغة التامة الحروف الكاملة الألفاظ ، لم ينقص منها شىء من الحروف فَيَشينها النقصان ، ولم يزد فيها شىء فيعيبها الزيادة . وسائر اللغات فيها زيادة حروف مولَّدة ، وينقص عنها حروف هى أصلية . ونعتبر من ذلك باللغة الفارسية ، لأنا طُبِعنا عليها ونشأنا فيها ، على أنا قد تدبرنا سائر اللغات ، فوجدنا فيها مثل ما ذكرنا من الزيادة والنقصان ، الذى هو العيب البين والشين الظاهر . والحروف التامة كلها هى ثمانية وعشرون حرفا لا زيادة فيها ولا نقصان . ودارت لغة العرب على هذه الحروف ، لم يزد عليها حرف . وسائر اللغات زادت عليها ونقصت منها .

ولهذه الحروف أحياز مختلفة ، ومدارج بعضها فوق بعض فالحاء والخاء والعين والغين [١١] والهاء وألف الهمزة حيزها الحَلْق ، والقاف والكاف حيزها اللَّهاة ، والجيم والضاد والشين حيزها شجر الفم . والصاد والسين والزاء حيزها أَسَلَة اللسان إلى أطراف الثنايا ، والطاء والدال والتاء حيزها الحنَك بتطبيق اللسان إلى أطراف الثنايا ، والظاء والذال والثاء حيزها اللثة ، والراء واللام والنون حيزها زَلَق اللسان إلى الشفتين ، والفاء والباء والميم حيزها الشفة ، والألف والياء والواو هوائية ليس لها جروس ولا اصطكاك لأنها تنسَل من جوف الحنك . فهذه ثمانية وعشرون حرفا مدارجها وأحيازها على ما قد ذكرنا . وهكذا بيَّنَهَا العلماء . وقد بُنِى عليها اللغات . واشتمل على كلّها لغة العرب ، حتى لم ينقص عنها حرف ولم يزد عليها حرف ، بل تمت عليها واعتدلت فيها .

---

(١) كما فى ى ٠ م و ح : بالعربى .

[النقصان والزيادة فى اللغات] وسائر اللغات نقصت وزادت مثل اللغة الفارسية ، فإنها قصرت عن العين والغين والحاء والقاف والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والثاء ، حتى لا يوجد فى لغتهم الأصلية كلام يُتكلم به على هذه الحروف . فإذا اضطروا إلى أن يتكلموا بكلمة عربية أو معرَّبة فى بِنْيتها حرف من هذه الأحرف قلبوا ذلك الحرف إلى حرف قريب الحيِّز والمَدْرَج[1] منه أو إلى حرف يُشِمُّونه ذلك المعنى ، كما قلبوا الحاء إلى الهاء فقالوا لمحمد مهمد ، وقلبوا العين إلى الألف ممدودة مهموزة فأشمُّوها معنى العين فقالوا لعلى ألى ، وقلبوا الغين إلى الواو فقالوا للغلام ولام ، وقلبوا القاف إلى الكاف فقالوا للقمر كمر ، وقلبوا الطاء إلى التاء فقالوا للطاووس تاووس ، وقلبوا الظاء والضاد إلى الدال فقالوا فى معنى ضربه وظلمه دربه ودلمه ، [١٢] وقلبوا الصاد إلى السين فقالوا للصنم سنم ، وقلبوا الذال إلى الدال فقالوا للذليل دليل ، والثاء إلى التاء فقالوا للكثير كتير .

فعلى هذا كل ما جاء فى لغتهم مما فيه هذه الأحرف قلبوها إلى هذه ، فظهر فيها هذا النقصان القبيح وولَّدوا أحرفا ليست بأصلية ، فولدوا بين الفاء والباء حرفا فقالوا للرِّجْل « پاى » ، وللبستان « باغ » ، فالپاء التى هى فى الرجْل حيزها بين الفاء والباء ، والتى فى اسم البستان هى الباء الأصلية . وولدوا حرفا بين القاف والكاف ، فقالوا للقبر « گور » ، وقالوا للأعور « كور » ، فالگاف التى فى اسم القبر حيزها بين القاف والكاف ، والكاف التى فى اسم الأعور هى الأصلية . وولدوا بين الجيم والكاف حرفا فقالوا للبشَرة « چهْرَه » ، وقالوا للنهر « جُوى » ، فالچيم التى فى اسم البشرة مولَّدة ، والتى فى اسم النهر هى الأصلية . فعلى هذا ما قد بينا من الزيادة والنقصان وهو عيب ظاهر فى لغتهم الأصلية . ثم خالطتها لغة العرب حين أظهر الله الإسلام ، وأسلمت العجم ، وتوالدوا على اللغة العربية ونشأوا فيها ، فخلطوا بعضها ببعض ، وراضوا أنفسهم بها ومرنوا عليها ، فأدخلوا هذه الأحرف فى كلامهم ، وسهلت على ألفاظهم ؛ فإذا حاولوا تسطيرها بكتاباتهم[2] تعذَّر ذلك عليهم ، لأنها لم تُبْنَ على هذه الأحرف ، فأُحْوِجوا إلى الاحتيال فيه وفى استخراجه . وإذا اعتبرت

---

(١) والمخرج . (٢) ى . بكتابتهم .

سائر اللغات والكتابات وجدت فيها من الزيادة والنقصان مثل هذا أو قريبا منه . فقد ناظرت عليه قوما عرفوا العبرانية والسريانية ، فوجدت الأمر قريبا مما ذكرنا . وتركنا الاستقصاء اقتصارا على ما قد شرحناه (١) من اللغة [١٣] الفارسية ، لأنا لم نُحكم الأمر فى تلك كإحكامنا فى هذه اللغة .

[التوهم أول فعل الله] ورَوَينا عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : كان أول ماتوهَّم الله عز وجل شيئا متوهَّما ، وأراد مُرادا ، (٢) وشاء مَشيئا . فكان توهمه ومشيئته وإرادته للحروف ، (٣) التى جعلها عز وجل أصلا لكل شىء ، ودليلا على كل مُدْرَك ، وفاصلا لكل مشكل . فمن تلك الحروف يُعرف كل شىء من اسم حق أو اسم باطل أو فعل أو فاعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى . وعليها اجتمعت الأمور كلها . ولم يجعل للحروف عند توهمه لها شيئا غير أنفسها بتَنَاهٍ ولا وجود ، لأنها (٤) متوهَّمة بالتوهم . والتوهم فى هذا الموضع أول فعل الله عز وجل الذى هو نور السمٰوات والأرض . والحروف هى مفعولة لذلك الفعل . وهى الحروف التى عليها بُنِىَ الكلام كله . والعبارات واللغات كلّها من الله عز وجل ومن خَلْقِهِ ، وهى ثلاثة وثلاثون حرفا : منها ثمانية وعشرون حرفا تدل على لغات العربية ، واثنان وعشرون حرفا تدلّ على اللغة السريانية والعبرانية التى هى ا ب ج د ، ومنها خمسة أحرف منحرفة فى سائر اللغات من العجم فى أقاليم الأرض كلّها ، وهى خمسة أحرف انحرفت عن الثمانية والعشرين فى اللغات ، فصارت الحروف كلّها لاختلاف اللغات عليها ثلاثة وثلاثين حرفا . فالخمسة المنحرفة تُدرَك بها كل لغة ، وإنما لم نذكرها لأنها علم العلماء ، (٥) والله عز وجل خصهم بمعرفتها . وربّك يفعل ما يشاء .

---

(١) كما فى ى . م : شرحنا .

(٢) ى أراد أمرا .

(٣) ى : للحروف علم العلماء الأول .

(٤) ى . الا أنها .

(٥) لا يذكر الامام جعفر الصادق الأحرف الخمسة « المنحرفة » فى لغات العجم ، « لأنها علم العلماء الذين خصهم الله بمعرفتها » . وإذا أريد بها اللغة الفارسية فالأحرف الزائدة فيها قد تكون پ ، چ ، ژ ، گ فهى أربعة لا توجد فى الحروف العربية . وأما غيرها من أسرة اللغات الهندية الجرمانية فهى تتضمن عددا غير قليل من أحرف لا وجود لها فى العربية .

فالخلق الأول : التوهم ، لا وزن له ولا لون ولا حركة ، ولا يُسْمَع ولا يُحَس .

والخلق الثانى : الحروف ، لا وزن لها ولا لون ، وهى مسموعة بالآذان ، موصوفة بالألسن ، غير منظور إليها .

والخلق الثالث : كل ما كان بالحروف موصوفا فى الأنواع كلها ، وهو ملموس محسوس ذو وزن منظور إليه .

فالله عز وجل سابق للتوهم ، لأنه ليس قبله شىء [١٤] ولا كان معه شىء . والتوهم سابق للحروف والحروف مُحْدَثة . وإنما الحروف المحدثة الحروف التى يُتكلَّم بها بغير كلام الله . وأما الحروف التى تكلم الله بها فهى غير منعوتة بالإحداث . والله لا يَحدث فيه شىء ،(١) وإنما يُحدث ما سواه . وما جمعته الحروف أو فرّقته فهو مفعول بالحروف من خَلْق سماء أو أرض أو برٍّ أو بحر أو شمس أو قمر أو جن أو إنس أو ملك أو فلك أو هواء أو غير ذلك فى تدبير تلك الحروف حيث جُمِعَت أو فُرِّقَت . فالحروف غير ذلك كلّه وغير التوهم . والتوهم من الله عز وجل غير ذلك . ولذلك صار اسم كل شىء غير المُسَمَّى ، وصفة كل شىء غير الموصوف ، وحدّ كل شىء غير المحدود .

والأسماء والصفات إنما هى حروف مقطّعة قائمة برءوسها لا تدل على غير أنفسها ما دامت متفرقة . فإذا جُمِعت دلت باجتماعها على غير أنفسها ، لأن الله عز وجل لا يجمع منها شيئا فيُؤلِّفها أبدا إلا لمعنى . فإذا ألَّف منها أحرفا خمسة أو أربعة أو أقل من ذلك دلت على معنى مُحْدَث لم يكن قبل ذلك مذكورا . فهذا ما رُوى عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فى الحروف .

[التوهم وما قيل فيه](٢) وقد اعترض قوم على هذا الخبر الذى رَوَيناه عن جعفر بن محمد عليه السلام ، وزعموا أن التوهم مَنفِىٌّ عن الله عز وجل ، وإنما هو من صفات المخلوقين ، فنقول وبالله التوفيق : إن التوهم الذى يُوصَف به المخلوق هو ما يخطر ببالهم . تقول : تَوَهَّمْتُ الشىء إذا خطَر ببالك قبل أن تتحققه . هذا الذى يقال فى المخلوق . ولا يقال فى الخالق عز وجل تَوَهَّم على هذا

---

(١) كما فى ى.م : لا يحدث فيه بشىء .

(٢) ورد هذا الفصل ى م ، ولا يوجد فى مخطوط ى .

المعنى . وإنما يقال : تَوَهَّم الشىء ، أى أنه أبدَعَه عنده قبل أن أظهر [١٥] صورته ، كما يقال : أراد الشىء وشاءه ودبَّره . وليس التوهم والإرادة والمشيئة والتدبير منه بآلة كإرادة المخلوقين وتدبيرهم الذى يكون بالفكر والروية والقلب . وإنما يقال ذلك فى الله على التقريب إلى الأفهام ، لأنا لم ندرك كيفية الأشياء إلا على حسب ما يكون منَّا . ومن أجل ذلك سمَّت الفلاسفة وأصحاب النظر الأشياء الدقيقة التى لا تدرك بالحواس « وَهْمِيّات » ، فقالوا للشىء اللطيف الذى لا يدرك بحسٍّ : هذا وهمىٌّ ، لأنه لا غاية وراءه فى اللطافة . فمعنى قول الصادق عليه السلام « إن الله تَوَهَّم شيئا مُتوهما » أى كان فهذه الأشياء أولا فى غاية اللطافة وهميا ، ثم صار فى حد الإرادة والمشيئة ، ثم ظهرت الصورة فعلى هذا المثال يقال : توهَّم الشىء عز وجل ودبَّر وأراد وشاء . والتوهم ألطف من الإرادة والمشيئة . والإرادة والمشيئة ألطف من القدر والقضاء . والقضاء ألطف من التصوير . وليس يكون شىء من ذلك من الله تبارك وتعالى بآلة ولا أداة ، كما يقال هو سميع بصير عليم ، ليس أنه سميع بأذن أو بصير بعين أو عليم بقلب ، كما يكون من المخلوقين بآلات وأدوات وجوارح ، إنمَّا يقال ذلك فى الله عز وجل على حسب ما قلنا إنه على التقريب إلى الأفهام ، لأنَّا لا نُدْرِك كيفيَّة هذه الأشياء إلا على حسب ما يكون منَّا بآلات ، فإذا كانت من الله لا يُدْرِك كيفيتَها غَيْرُه . عزَّ وجلَّ عن صفات المخلوقين وتعالى علوًّا كبيرا .

[قوام العربية وبنيتها بالحساب] وقد ذُكِر أنَّ لغة العرب [١٦] بُنِيَت على ثمانية وعشرين حرفا وسائر اللغات على اثنين وعشرين حرفا ، وأن الخمسة هى [التى] تختلف فى سائر اللغات ، وهى علم العلماء ، وأنَّ الله عز وجل خَصَّ قوما بمعرفتها دون قوم . وحقيق أن يكون ذلك كذلك ، لأن الله عز وجل يؤتى الفضل من يشاء من عباده وهو أحكم الحاكمين . فقد ظهر فضل لغة العرب وكمالها ، لحيازتها هذه الحروف الثمانية والعشرين التى هى بنية الكلام . فإن قال قائل : إنَّ الزيادة والنقصان وقعا فى لغة العرب ، وإنَّ التمام فى سائر اللغات ،

وإنّ الحروف التامّة هى التى بُنِى عليها سائر اللغات ودارت عليها ، قلنا : المعيار بيننا وبينهم الحساب ، لأنّا اختلفنا فى عدد الحروف . والعدد هو الحساب . والحساب هو الشاهد العَدْل الذى اتّفقت عليه الأمم كلها ، ولم يختلفوا فى أصله وبِنْيته كاختلافهم فى سائر العلوم . وهو من أجلّ العلوم . وعليه مدار أمر الدنيا والآخرة ، وبه قام أمر الدين ، لأنّ أصل الدين التوحيد .

فالواحد اسم من أسماء الله عز وجل ، وهو من أعظم صفاته لا يَشْرَكه فى هذه الصفة مخلوق . والواحد هو أصل الحساب وعلّة العدد وأوّل الاعداد . خلق الله عز وجل جميع خَلْقِه بحساب ، وجعله معلوما بالعدد ، مثل الأوقات والدهور والأفلاك والسماوات والأرضين والبحار وغير ذلك ، فقال عز وجل : خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ، (١) وقال : خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، (٢) وقال : وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، (٣) وقال : إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ [١٧] الدِّينُ الْقَيِّمُ ، (٤) وقال : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، (٥) وقال : هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . (٦)

ثم بَيَّنَ تبارك وتعالى دينه على ألسنة الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فجعله فرائض وسننا معدودة محسوبة ، فجعل أوقات الصلاة خمسة ، وأمر بالصلاة ركعات معلومة معدودة ، والصيام أياما معدودات ، وفى الزكاة مواقيت معدودة . وجعل كذلك سائر أصول الدين وفروعه . وجعل الثواب والعقاب بالحساب ، فقال عز وجل : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى

---

(١) الأعراف ٥٣/٧ ، ويونس ٣/١٠ ، وهود ٧/١١ ، والحديد ٤/٥٧ .
(٢) الطلاق ١٢/٦٥ . (٣) لقمان ٢٧/٣١ .
(٤) التوبة ٣٦/٩ . (٥) الرحمن ٥/٥٥ .
(٦) يونس ٥/١٠ .

إلاَّ مثلَها.[1] وجعل الحساب[2] عدلا بينه وبين خلقه، وهو يجازيهم بالحساب، وجعل معاش الخلائق فى دار الدنيا وقوامهم[3] فيها بالحساب.

فبالحساب قامت الدنيا والآخرة، وهو أجلّ الأشياء قدرا وأرفع العلوم وأشرفها. والأمم كلها متفقة على أصوله أنه آحاد وعشرَات ومِئون وألوف، وإن كانت الأسامى عندهم فى اللغات بلغات مختلفة. ووجدنا هـذه الأصول عندهم هى بنية الحساب وعليها يدور. وهذه الأصول مبنية على الحروف الثمانية والعشرين، فسمّوا « ا » واحدا، و « ب » اثنين، و « ج » ثلاثة، و « د » أربعة، فعلى هذا حتى استوفوا الآحاد إلى تسعة، فقالوا « ط » تسعة. ثم ابتدأوا بالعشرات، فقالوا « ى » عشرة، « ك » عشرون، حتى استوفوا العشرات إلى تسعين، فقالوا « ص » تسعون. ثمّ ابتدأوا بالمئين، فقالوا « ق » مئة، و « ر » مئتين، حتى استوفوا المئين إلى تسعمائة. ثمّ قالوا [١٨] فى الألف الذى هو غاية الحساب ومنتهى الأعداد « غ » ألف. ثم لا اسم بعده إلاّ تكرار، فكان فى استيفاء الحروف استيفاء الحساب كلّه. وصارت الحروف الثمانية والعشرون التى بُنِيَت عليها لغة العرب وفاءً لأصول الحساب كلّها، لم يفضل حرف ولم ينقص حرف. فأمّا الحرف الذى يُسمّى « لا »، فهو حرف مكرّر. وإنّما هو لام وألف، فإذا اجتمعتا ظهرت صورتهما صورة حرف واحد، فسُمّى باسم واحد. فهذا الدليل الواضح والشاهد العدل على كمال لغة العرب، مع ما بيّنّا من أحيَاز هذه الحروف ومَدارِجها، واحتواء لغة العرب عليها، وقصور سائر اللغات عنها والزيادة المتولّدة فيها، لا يقدر على دفعه إلا مُباهِت مُعانِد، ومُتعصّب حاسد.

---

(١) الأنعام ١٦٦/٦ .

(٢) كما فى ى ٠ م : الحسنة .

(٣) كما فى ى ٠ م : قوامها .

[قانون اللغة العربية] وللغة العرب مع هذا الكمال فضائل ليست لسائر اللغات. فإنّ لها قانونا يُرْجَع إليه فيها، ومعيارا يُعتَبر به، ومقياسا يُقاس عليه. فإذا شَرَدَ عنهم حرف أو اعوَجَّ عن سَنَنه، أو اشتبه معناه، رجعوا إلى قانونهم، ووزنوه بمعيارهم، واستعانوا عليه بمقياسهم؛ فأقاموا دَرْأه، وقوّموا عِوَجه، لكى لا يبطل معانى الأسماء، فتُمْحَق عن اللغة وتَدْرُسَ، كما دَرَسَت عن سائر اللغات. فقد بطلت عن اللغة الفارسية أسامى أشياء كثيرة حين غلبت عليها العربية، فلا يكاد يُوجَد لها اسم بالفارسيّة، ولا يُعْرَف ذلك الشىء حتى يُذْكَر بلسان العرب، مثل قولهم الحقّ والباطل، والصواب والخطأ، والحلال والحرام، وغيرذلك مما [١٩] لم يوجد له اسم بالفارسية. وهذا الخلل قد دخل على سائر اللغات.

[أبو الأسود الدؤلى والأئمة النحاة] وقد كان لسان العرب فَسَدَ حين تعرّبت العجم، واختلطت اللغات ولَحَنَ أكثر الناس فى كلامهم؛ فاستدرك ذلك أمير المؤمنين علىّ عليه السلام، فوضع للناس رَسْما فى النحو، فأخذه عنه أبو الأسود الدُّؤَلى (1) من الدُّئِل، وهم رهط من كنانة بن خزيمة، فأسّس العربيّة، وفتح بابها، ونهج سبيلها، ووضع فيها قياسا.

قال عبد الله بن إبراهيم بن مَهدى المقرئ المصرىّ المعروف بالعُمَرىّ (2) :

---

(1) كما فى ى م: الدئلى. أبو الأسود الدئلى (على اعتبار أنه من الدئل بكسر الدال والهمزة، وتفتح فى النسبة حتى لاتتوالى الكسرات)، أو الدؤلى (على اعتبار أنه من بنى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة، وفتحت الهمزة تخفيفا فى النسبة). هو ظالم بن عمرو بن ظالم. وقيل: ابن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدى بن الدئل (أو الدؤل) بن بكر ابن كنانة. وقد يقال: الديلى. وكان من سادات التابعين شيعيا وشاعرا ثقة فى حديثه. روى عن عمر وعلى وابن عباس وأبى ذر وغيرهم، وعنه ابنه ويحيى بن يعمر. صحب على بن أبى طالب وشهد معه صفين. وقدم على معاوية، فأكرمه وأعظم جائزته، وولى قضاء البصرة. مات سنة سبع وستين للهجرة (أخبار البصريين ١٣ والفهرست ٥٩ — ٦١ والبغية ٢٧٤ وضبط الأعلام لأحمد تيمور).

(2) قال ابن الجزرى (القراء ٤٨٤/١): أبو القاسم العمرى عبيد الله بن ابراهيم ابن مهدى البغدادى ثم المصرى مقرىء حاذق عرف بالعمرى، لأنه كان مخصوصا بمعرفة قراءة أبى عمرو. أخذها عن محمد بن غالب عرضا، ورواها سماعا عن محمد بن شجاع البلخى اليزيدى. وله فيها تصنيف حسن. مات بمصر فى سنة سبع وثلاث مئة.

حدّثنا(١) الأصمعى(٢) قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء (٣) يقول : جاء أعرابىّ إلى علىّ عليه السلام فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! كيف تقرأ هذه الحروف ؟ لا يأكله إلا الخاطون ، كلّنا والله يخطو . قال : فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يا أعرابى ! لا يأكله إلا الخاطئون . قال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ! ما كان الله ليظلم عباده . ثم التفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبى الأسود الدؤلى ، فقال : إن الأعاجم قد دخلت فى الدين كافّة ، فضَع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم . ورسم له الرفع والنصب والخفض . وقد رُوى فى هذه القصة أخبار غير هذه (٤) .

قال محمد بن سلاّم :(٥) كان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو — من

---

(١) ى : قال عبد الله بن ابراهيم بن مهدى المقرىء المصرى المعروف بالعمرى : حدثنا الحسين بن سليمان قال : حدثنا عمرو بن بكر الوراق قال : حدثنا .

(٢) الأصمعى هو عبد الملك بن قريب ويكنى أبا سعيد أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار. روى عن أبى عمرو بن العلاء وقرة بن خالد وحماد بن سلمة وخلق . قال الشافعى : ماعبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعى . وكان يتقى أن يفسر القرآن والحديث . وكان من أهل السنة ولا يفتى الا فيما أجمع عليه علماء اللغة، ويقف عما ينفردون عنه ، ولا يجيز الا الأفصح. روى له أبو داود والترمذى . وكان بخيلا ويجمع أحاديث البخلاء . ويقال : مات سنة ست عشرة ومئتين (أخبار البصريين ٥٨ والفهرست ٨٢ والبغية ٣١٣) .

(٣) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله التميمى المازنى النحوى المقرىء أحد القراء السبعة المشهورين . اختلف فى اسمه على أحد وعشرين قولا ، وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه . كان أمام أهل البصرة فى القرآن والنحو واللغة . أخذ عن جماعة من التابعين ، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد ، وروى عن أنس بن مالك وأبى صالح وعطاء وطائفة . وكان من أشراف العرب مدحه الفرزدق . قرأ عليه اليزيدى وعبد الله بن المبارك وخلق ، وأخذ عنه الأدب وغيره أبو عبيدة والاصمعى ويونس وخلق . مات سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومئة . (أخبار البصريين ٢٨— ٣١ والفهرست ٤٢ والبغية ٣٦٧) .

(٤) راجع أخبار النحويين البصريين للسيرافى الذى أورد بعض هذه الأخبار .

(٥) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى صاحب طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وهو أقدم ماوصل الينا من كتب طبقات الشعراء ، وظل مرجع طلاب تاريخ الشعر العربى الى عهد غير بعيد . أخذ عن حماد بن سلمة وشيوخ العلم والحديث والأدب ، وروى عنه الامام أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب والرياشى والمازنى وأبو حاتم وابن معين وأبو خليفة الجمحى (ابن اخته وراوى كتاب الطبقات) وغيرهم . وقد ذكره ونقل عنه صاحب الزينة مرارا ، واستشهد بالشعر القديم الذى أورده ابن سلام فى الطبقات . مات سنة احدى أو اثنتين وثلاثين ومئتين . (راجع الفهرست ١٦٥ والنزهة ٢١٦ والبغية ٤٧ومقدمة يوسف هل للطبقات (لايدن ١٩١٦) ومقدمة محمود شاكر لطبقات فحول الشعراء (القاهرة ١٩٥٢) .

أهل البصرة ، وكان عَلَوِيَّ الرأى[1] — وهو أول من وضع الفاعل والمفعول به والمضاف إليه وحروف الرفع والنصب والجر والجزم حين اضطرب كلام العرب ، وذهبت السليقة ، ولَحَنَ سَرَاة الناس ووجوههم .

فأخذ عنه يحى بن يَعْمَر العَدْوَانى .[2] فكان مأمونا عالما وأخذ عنه [٢٠] أيضا ميمون الأقرن[3] وعَنْبَسَة الفيل[4] ونصر بن عاصم الليثى .[5]

ثم كان بعدهم عبدالله بن أبى إسحاق الحَضْرَمى .[6] وكان أول من شَرَحَ النحو ومَدَّ القياس وشرح العلل . وكان معه أبو عمر بن العلاء . وأخذ يونس[7]

---

(١) م : وكان يرى علوى الرأى . ى : وكان يروى . وانما أثبتنا رواية ابن سلام فى طبقاته .

(٢) يحيى بن يعمر التابعى ، رجل من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر ، فقيه أديب نحوى مبرز . سمع ابن عمر وجابرا وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى . ونفاه الحجاج الى خراسان ، فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها . فقضى فى أكثر بلادها نيسابور ومرو وهراة . توفى سنة تسع وعشرين ومئة . (أخبار البصريين ٢٢ والبغية ٤١٨ وابن حزم : أنساب العرب ٢٣٢) .

(٣) م : مأمون . والصواب ماجاء فى ى : ميمون الأقرن . أخذ النحو عن عنبسة ، وقيل عن أبى الأسود ، وأن عنبسة أخذ عنه . (أخبار البصريين ٢٢ والبغية ٤٠١) .

(٤) عنبسة بن معدان الفيل الميسانى أخذ النحو عن أبى الأسود . ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أبرع منه . (أخبار البصريين ٢٢ و ٣٤ والبغية ٣٦٧) .

(٥) قد اختلف الناس فى أول من رسم النحو . فقال قائلون : أبو الأسود الدؤلى . وقال آخرون : نصر بن عاصم . وقال آخرون : عبد الرحمن بن هرمز . هذا قول السيرافى (أخبار البصريين ١٣) . وقال السيوطى (البغية ٤٠٣) . قال ياقوت : كان نصر فقيها عالما بالعربية من قدماء التابعين . وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدوانى ، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء . وكان يرى رأى الخوارج ثم تركه . مات سنة تسع وثمانين .

(٦) هو أبو بكر عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى . وكان قيما بالعربية والقراءة اماما فيهما . ويقال أنه كان أشد تجريدا للقياس من أبى عمرو . قرأ ابن أبى اسحاق على يحيى بن يعمر . قرأ هو وأبو عمرو على نصر بن عاصم وكانا رفيقين . قال يونس : قال أبو عمرو : فغلبنى ابن أبى اسحاق يومئذ بالهمز ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه ، قال يونس : ان أبا عمرو كان أشد تسليما للعرب ، وكان ابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب . توفى بالبصرة سنة سبع عشرة ومئة . (أخبار البصريين ٢٥ — ٢٨ والنزهة ٢٢ — ٢٥) .

(٧) يونس بن حبيب الضبى البصرى أبو عبد الرحمن . قال السيرافى (أخبار البصريين ٣٣) : بارع فى النحو من كتاب أبى عمرو . وقد روى عنه سيبويه وأكثر . وله قياس فى النحو ومذاهب يتفرد بها . وقد سمع منه الكسائى والفراء وكانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية . ومات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومئة . (الفهرست ٦٣ والنزهة ٥٩ — ٦٤ والبغية ٤٢٦) .

عن أبي عمرو . وكان معهما مَسْلمة بن عبد الله بن سعيد الفهرى أبو مُحارِب (١) وهو ابن أخت أبي إسحاق الحضرمي . وكان معهم حمّاد بن الزِّبْرقان . (٢)

قال أبو حاتم السجستاني : (٣) من أراد السنة والأمر العتيق في الدين وقراءة القرآن فليكن ميله إلى الحرمين وأهل البصرة ، فإنهم أصحاب اقتصاد في القراءة وعلم بها وبعللها ومذاهبها ومجارى كلام العرب ومخارجها . وكان منهم علماء الناس بالعربية وكلام العرب . وكان منهم أبوالأسود الدُّؤلي ، وأبو الحارث (٤) ابنه ، ويحيى بن يَعْمر العَدْواني وعبد الله بن أبي إسحاق من بعد ، وأبو عمرو بن العلاء

---

(١) مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب الفهرى أبو محارب . أخذ النحو عن خاله عبد الله بن أبى اسحاق . وكان صائنا لنفسه. ثم صار فى آخر عمره مؤدبا لجعفر بن أبى المنصور ، ومضى معه الى الموصل وأقام بها حتى مات ، فصار علم أهل الموصل من قبله . وكان حماد بن الزبرقان ويونس يفضلانه . (البغية ٣٩١) .

(٢) كما فى ى.م : عمار بن الزبرقان . قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٤٩٠) : وكان بالكوفة ثلاثة ، يقال لهم « الحمادون » : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوى ، وكانوا يتنادمون ويتعاشرون وكأنهم نفس واحدة ، ويؤمنون جميعا بالزندقة .

(٣) أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى البصرى . كان اماما فى علوم القرآن واللغة والشعر . قرأ كتاب سيبويه على الاخفش مرتين ، وروى عن أبى عبيدة وأبى زيد والاصمعى وعمر بن كركرة وروح بن عبادة ، وعنه ابن دريد وغيره . وكان جماعا للكتب يتجر فيها . وقال أبو العباس المبرد : وكان حسن العلم بالعروض واخراج المعمى ، ولم يكن بالحاذق فى النحو . ذكره ابن حبان فى الثقات ، وروى له النسائى فى سننه والبزاز فى مسنده . توفى سنة خمس وخمسين ومئتين . (أخبار البصريين ٩٣ — ٩٦ والفهرست ٨٦ — ٨٧ والنزهة ١٥١ — ٢٥٤ والبغية ٢٦٥) .

(٤) قال ابن قتيبة (المعارف ١٩٢) : فولد أبو الأسود الدؤلى عطاء وأبا الحرب ، ولا عقب لعطاء . وأما أبو الحرب فكان شاعرا عاقلا . وقيل : ان أبا الحرب كنية عطاء ، فيكون لأبى الأسود ابن واحد لااثنان . قال ابن حجر فى التهذيب ٦٩/١٢ — ٧٠ : ان أبا حرب يجوز أن يكون اسمه محجن . ذكره ابن سعد فى طبقاته ٧ (١) / ١٦٤ فى الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة وقال : كان معروفا وله أحاديث . وذكره ابن حبان فى الثقات . ورووا أن عطاء وأبا الحارث ممن أخذوا النحو من أبيهما ابى الاسود . لا ندرى أيهما أصح : أبو الحارث أو أبو الحرب . أغلب الظن أنه أبو الحرث ، فصحف ، وصار أبو الحرب . توفى سنة تسع ومئة .

وعيسى بن عمر (1) ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد (2) وأبو زيد (3) وسيبويه (4) والأخفش، (5) فهؤلاء الأئمة فى هذا الشأن . ثم بَنَى على ذلك من جاء من بعدهم

---

(1) عيسى بن عمر الثقفى ، مولى آل خالد بن الوليد ، نزل فيهم فى ثقيف فنسب اليهم . امام فى النحو والعربية والقراءة مشهور . روى عن عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى والحسن البصرى والعجاج بن رؤبة وجماعة ، وعنه على بن نصر الجهضمى الكبير وهارون بن مرسى النحوى وداود بن المحبر والأصمعى وغيرهم . ووثقة ابن معين . قال ابن قتيبة : كان من أهل القراءة الا أن الغريب والشعر أغلب عليه . قال أبو عبيد : كان من قراء أهل البصرة غير أنه كان له اختيار فى القراءة على مذهب العربية يفارق قراءة العامة . وكان يتقعر فى كلامه .مات سنة تسع وأربعين ومئة .(أخبار البصريين ٣١ — ٣٣ والفهرست ٦٢ والتهذيب ٢٣/٨ والنزهة ٢٥ والبغية ٣٨٠) .

(2) اطلب فصل العروض فيما يأتى ص ٢٨ .

(3) أبو زيد سعيد بن أوس الخزرجى الأنصارى . وكان يقال له أبو زيد النحوى . وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس وطلاب العربية . قال المازنى : رأيت الأصمعى وقد جاء الى حلقة أبى زيد ، فقبل رأسه وجلس بين يديه . قال الأصمعى : رأيت خلفا الأحمر فى حلقة أبى زيد . قال أبو سعيد : ولا علم أحدا من علماء البصريين فى النحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئا من علم العرب الا أبا زيد ، فانه روى عن المفضل الضبى . وعامة كتاب النوادر لأبى ريد عن المفضل . وروى عن أبى عمر ورؤبة بن العجاج وابن عوف وابن جريج وطائفة ، وروى له أبو داود والترمذى ، وعنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، وقرأ عليه أبو حاتم السجستانى، وأبو حاتم محمد بن ادريس الرازى وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمى النحوى وأبو عثمان المازنى النحوى وغيرهم . مات سنة أربع عشرة ومئتين ، وقيل خمس عشرة . (أخبار البصريين ٥٢ — ٥٧ والفهرست ٨١ والتهذيب ٤/٤ — ٥ والنزهة ١٧٣ — ١٧٩ والبغية ٢٥٤).

(4) « سيبويه » بالفارسية رائحة التفاح ، اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر . أخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه وعن عيسى بن عمر وعن أبى الخطاب الأخفش وعن يونس وغيرهم . مولى بنى الحارث بن كعب ، كان أصله من البيضاء من أرض فارس ، ونشأ بالبصرة . توفى بشيراز بفارس فى سنة ١٨٣ وله نيف وأربعون سنة . وللزمخشرى فيه :

ألا صلى الاله صلاة صدق ... على عمرو بن عثمان بن قنبر
فان كتابه لم يغن عنه ... بنو قلم ولا أبناء منبر

(5) من الأخافش الثلاثة المشهورين : أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر الأقدم الذى أخذ عنه سيبويه والكسائى ويوس وأبو عبيدة ، وأبو الحسن سعيد بن مسعدة وهو الطريق الى كتاب سيبويه ، وأبو لحسن على بن سليمان . والأرجح أن المؤلف اراد بالأخفش أبا الحسن على بن سليمان الأخفش الأصغر أحد الثلاثة المشهورين ،وقد ذكره باسمه فى باب الملائكة ، وأطلق اسم الاخفش على أبى الحسن على بن سليمان . وله تصانيف ذكرها ابن النديم فى الفهرست ١٢٣ . يرى الميمنى أن اسم الاخفش يطلق على سعيد بن مسعدة ، « فان عليا ليس له تأليف ولا قدم له فى النحو » .

من علماء اللغة وتفقَّدت لهم الفِطَن ، وصرف إليه كثير من الناس هِمَمَهم ، حتى جعلوا له ديوانا يفزَع إليه ويُعْتمَد عليه . وجعلوه للغة العرب معيارا ، فإذا وجدوا اللَّحْن فى كلامهم وزنوه به فقوّموه ، لأنّ اللحن يُزيل الحرف عن معناه ، ويحيد به عن سَنَنه . وليس هذا لسائر الأمم . وهو علم جسيم ، له خطر عظيم .

بلاغة العربية قال الفرّاء :[1] نظرنا فى الكلام ، فوجدنا أبلغه عند ذوى العقل والألباب ، وأبقاه فى الحِكَم والآداب ، وأخفّه على سامعه والحامل له ، ما كان أوجزه وأجمعه وأدله على ما يحيط به الكثير . ووجدنا للعرب [٢١] فى ذلك فضلا على جميع الأمم ، اختصاصا من الله عز وجل وكرامة أكرمهم بها ؛ فبعث منهم رسوله محمدا صلى الله عليه ، وأنزل عليهم قرآنا بلسان عربى مبين . ثم نظرنا فى السِّمات التى وَسَمَت العرب بها كلامها من الخفض والنصب والرفع ، فوجدناهم أدخلوا ذلك للإيجاز فى القول ، والاكتفاء بقليله الدالّ على كثيره ، فقالوا : ضَرَبَ أخوك أخانا ، فدلّوا برفع أحد الأخوين ونصب الآخر على الفاعل والمفعول به . ولو كان مخرج الكلمتين واحدا فقيل : ضرب أخوك أخونا أو أخاك أخانا ، لم يكن فيهما فرق يدل السامع على الضارب من المضروب . وكذلك سمّوا معنَيَيْن باسم واحد ، فاجتمع لهم التوْسِعَة فى الكلام والإيجاز فى القول . من ذلك أن « الضَّرْب » كلمة واحدة تحتها تفسير بوجوه . فقالوا للضرب فى الوجه لَطْما ، وفى القفا صَفْعا ، وفى الرأس نَقْفا ، وشجًّا إذا أدْمَى — فى أشياء كثيرة لا تحصى .

---

(١) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء . قيل له الفراء ، لأنه كان يفرى الكلام ، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى . قال ابن النديم : قال ثعلب : وكان يتفلسف فى تأليفاته ومصنفاته يعنى يسلك فى ألفاظه كلام الفلاسفة . وقيل انه يميل الى الاعتزال . وقيل كان من الامامية الشيعة ولكنه استتر بالاعتزال . وكان مندينا متورعا على تيه وعجب وتعظم . وكان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه . وكان أكثر مقامه ببغداد ، فاذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يوما يفرق فى أهله ماجمعه . وله من الكتب كتاب معانى القرآن ألفه لعمر بن بكير أربعة أجزاء . وتوفى الفراء بطريق مكة سنة سبع ومئتين . (الفهرست ٩٨ — ١٠٠ والبغية ٤١١) .

وكان قولهم لطِمَ فلان أوجز من قولهم ضُرِبَ على وجهه ، وقولهم صُفِعَ فلان أوجز من قولهم ضرب على قفاه ، فوسموا الحرفين كلاً منهما بسِمة ، فعبرت عن كلمتين . كأنه رَمَزَ فى كلامه الخطيب ، وأوضح المعنى للتقريب . ووجدنا للعرب فى ذلك فضلا على جميع الأمم . إن أرادوا الإخبار عن اللَّطْم والصَّفْع لم يقدروا أن يدلوا عليه باسم واحد كما دل اللطم والصفع وغيره على مواضعه حتى يكثر الكلام ويطول التفسير . هذا قول الفراء .

ونقول فى مثل هذا المعنى : إن العرب قالت فى الجراحات لِمَا كان بالسيف ضَرْبَة ، وبالرمح طَعْنَة ، وبالسهم رَشْقَة ، وبالسكين وَجْأَة ، وبالحجر شَدْخَة ، وبالسوط تقنيع ، فاكتفوا بذكر هذه الجراحات عن ذكر السلاح . وليس هذا لسائر الأمم حتى يذكروا السلاح المعمول به . واختصرت العرب هذه الألفاظ اقتصارا عليها من ذكر الآلات المستعملة .

[النحو والإعراب] قال أبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم :[1] للعرب فى كلامها علامات لا يشرَكهم فيها أحد من الأمم نعلمه . منها إدخالهم الألف واللام [٢٢] فى أول الاسم وإلزامهم إياه الإعراب فى كل وجه فى الرفع والنصب والخفض ، كما أدخلوا فى « الطور »[2] وحذفوا الألف التى فى آخر الحرف ، فألزموه الإعراب فى كل

---

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام (بتشديد اللام) الأزدى . قال ابن قتيبة : مولى للأزد ، من أبناء أهل خراسان . كان مؤذنا وولى قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ولم يزل معه ومع ولده . وحج بعد قدومه بغداد وبعد أن صنف ما صنف من كتبه ، فتوفى بمكة سنة أربع ومئتين . وذكر السيوطى أن القاسم بن سلام كان أبوه مملوكا روميا . وكان أبو عبيد امام أهل عصره فى كل فن من العلم أخذ عن أبى زيد وأبى عبيدة والأصمعى وأبى محمد اليزيدى وابن الأعرابى والكسائى والفراء وغيرهم . وروى الناس من كتبه نيفا وعشرين كتابا. قال الحافظ : قدم مصر مع يحيى بن معين . كان أبو عبيد حسن الرواية صحيح النقل لاأعلم أحدا من الناس طعن فيه . اهـ . ووثقه ابن معين وأبو داود ، وذكره الترمذى فى الجامع والبخارى فى الصحيح . (المعارف ٢٧٢ والتهذيب ٣١٥/٨ – ٣١٨ والبغية ٣٧٦) .

(٢) وفى التنزيل العزيز : وشجرة تخرج من طور سيناء . قال الجواليقى (المعرب ٢٢١) : قال ابن قتيبة : الطور الجبل بالسريانية . وفى ل/طور : قال الفراء فى قوله تعالى « والطور وكتاب مسطور » : هو الجبل الذى بمدين الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام تكليما . وقال ياقوت (البلدان / طور) : قال بعض أهل اللغة : لا يسمى طورا حتى يكون ذا شجر ، ولا يقال للأجرد طور . ويقال لجميع بلاد الشام الطور . وبلسان النبط كل جبل يقال له طور. فاذا كان عليه نبت وشجر قيل طور سيناء بكسر السين ،ويروى بفتحهاوهوفيهما=

وجه ، وهو بالسريانية « طورا » على حال واحد فى الرفع والنصب والخفض . وكذلك « اليَم » ،[1] هو بالسريانية « يِما » فأدخلت العرب فيه الألف واللام ، وصرفته فى جميع الإعراب على ما وصفت . قال : ومن علاماتهم التى فُصِّل[2] بها كلامهم من كلام العجم إدخالهم القاف فى آخر الاسم فى موضع الهاء ، كقولهم « الإستَبرَق »[3] وهو الغليظ ، وهو « إستَبرَهْ » بالفارسية ، وقولهم « يَلمَق »[4] وهو « يلمَه » ، وإدخالهم الجيم فى آخر الحرف ، كقولهم « مُوزَج »[5]

=سدور . اهـ وهو بالسريانية ܛܘܪܐ (طورا) اى الجبل و ܛܘܪ ܣܝܢܝ (طورسيناء) قال ليفى ١٤٨/٢ : טור (طور) و טורא (طورا) الجبل . أفادنا الاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس أن هذه المادة تناظر دار يدور بمعنى أحاط . وقد استعملت فى العبرية بمعنى حائط مثل طور وطوار فى العربية . والذين قالوا ان هذه الكلمة سريانية كانوا أقرب الى الصواب ، لأنها لم تستعمل بمعنى الجبل فى سفر الخروج كما كنا نتوقع . وانما استعمل مكانها الكلمة العادية « هاهار » على أنها استعملت فى هذا السفر بمعنى طبقة من الحجارة (١٧/٢٨) . أما فى الآرامية (والسريانية لهجة من لهجات الآرامية) فالكلمة « طورا » بمعنى الجبل كما فى سفر دانيال (٢٥/٢) و «طور رب » أى جبل عظيم . وقد وردت فى شرح سفر الخروج المسمى « ترجم » بالعبرية المسيحية طور بمعنى الجبل .

(١) قال الجواليقى (المعرب ٣٥٥) : قال ابن قتيبة : اليم البحر بالسريانية . وفى ل/يم قال : قال الزجاج : اليم البحر . وكذلك هو فى الكتاب الأول لايثنى ولا يكسر ولا يجمع جمع السلامة . وزعم بعضهم أنها لغة سريانية فعربته العرب وأصله يما . ويقع اسم اليم على ماكان ماؤه ملحا زعاقا وعلى النهر الكبير العذب الماء . واليم نهر النيل بمصر حماها الله تعالى وماؤه عذب . اهـ . وأما יָם (يم) فى العبرية فمعناه البحر أو النهر العظيم كالنيل ، وهو بنفس المعنى فى السريانية ܝܡܐ . ويرى الدكتور أنيس أن اقتصار استعمال هذه الكلمة على قصة موسى مما يؤكد أصلها السامى .

(٢) فى الأصول : فصلت .

(٣) فى الاتقان (ج ١ ن ٣٨) للسيوطى : أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ بلغة العجم . وفى المعرب ١٥ قال : الاستبرق غليظ الديباج فارسى معرب وأصله استفره . اهـ « و » فى البهلوى تضاهى القاف أو الكاف فى العربى والهاء فى الفارسى .

(٤) يلمق كلمة تركية الأصل استعملت فى الفارسى ، ثم نقلت الى العربى بمعنى القباء .

(٥) الموزج الخف ، فارسى معرب وأصله موزه (المعرب ٣١١) .

و « دِيباج »[1] وهو « موزه » و « ديباه » . وهذا هو للغة العرب وليس لسائر اللغات فى هذا حظ ولا نصيب . بل خُصَّت هذه اللغة بأن أنشأ الله لها قوما فتحوا لها هذه الأبواب من « النَّحْو » ، وجعلوا ذلك معيارا للكلام ، وهم يُقوِّمونه به إذا اعْوَجَّ ، ويحفظونه إذا مال .

« فالنحو » هو معيار جميع كلام العرب ما كان منه منثورا ، وما كان منه شعرا ، وما كان منه سجعا ، وغير ذلك من وجوه كلام العرب . وبالنحو يُرتَّل القرآن الذى هو كلام الله عز وجل ، فيُعْرَب كل حرف منه به ويُقوَّم عليه ، حتى لا يُتْرَك حرف واحد إلا ويُعْطَى حقَّه من الإعراب .[2] وهكذا كان الفصحاء من العرب يفعلون فى كلامهم كله ، يعطون كلَّ حرف حظَّه من الإعراب . وليس هذا لسائر لغات الأمم . وهى فضيلة خُصَّت بها هذه اللغة دون غيرها .[3]

والنَّحْو معناه القَصْد والحَذْو . يقال : هو يَنْحو ذلك النَّحْو ، أى يَحْذو

---

(١) فى ل / دبج : الدبج النقش والتزيين فارسى معرب . دبج الارض المطر يدبجها دبجا روضها . والديباج ضرب من الثياب والجمع ديابيج ودبابيج . قال ابن جنى : قولهم دبابيج يدل على أن أصله دباج وأنهم أبدلوا الباء ياء استثقالا لتضعيف الباء . وفى الحديث ذكر الديباج وهى الثياب المتخذة من الابريسم فارسى معرب وقد تفتح داله . وسمى ابن مسعود الحواميم ديباج القرآن . الديباج معرب ديبا أو ديباه بالفارسية وديباك بالبهلوية (راجع صديقى ٦٨) .

(٢) يبدأ مخطوط « ع » (المفقود صفحاته الأولى) ن « من الاعراب ».

(٣) هذا ما وصل العالم الالمانى فك فى كتابه العربية (تعريب النجار) حيث يقول : لقد احتفظت العربية الفصحىفى ظاهرة التصرف الاعرابى بسمةمن أقدم السمات التى فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى . فأشعار عرب البادية - من قبل العهد الاسلامى ومن بعده - ترينا علامات الاعراب مطردة كاملة السلطان ، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الاسلاميين كانوا حتى القرن الرابع الهجرى على الاقل يختلفون الى عرب البادية ليدرسوا لغتهم يدل على أن التصرف الاعرابى كان بالغا أشده لذلك العهد .

ذلك الحَذْو . ويقال أَخَذَ نَحْوَه إذا قصد قصده . فكأنّهم سَمّوْه نحوا ، لأنهم حذَوْا بعضه حَذْوَ بعض ، وقصدوا به تقويم اللغة .

[ذكر العروض] ثمّ لهذه اللغة « العَرُوض » التى يُقوَّم بها الشعر [٢٣] خاصّة ، فيُعْرَف استقامته من انكساره ، ويُمَيَّز سالمه من مُزاحَفه(١) ، ويُوزَن بها وزنا ، فتبين بتقطيعه وأفاعيله أعاريضُه وضُرُوبُه .

وكان الخليل بن أحمد أوّل من استخرج العروض ، فاستنبط منها ومن علل النحو ما لم يستخرجه أحد ، ولم يسبق إلى مثله سابق .(٢) وكان رجلا من الأزد من فراهيد(٣) يقال له فَراهِيدىّ . قال : وكان يونس يقول : « فِرْهَوْدِىّ » مثل فِرْدَوْسِىّ . وسمعت بعض أهل العلم يذكر أن الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمد بن على أو من أصحاب على بن الحسين عليهما السلام ، فوضع له أصولا ، وقسّم الشعر ضروبا ، وسمّاه بها . وجعل لتلك الأقسام دوائر وأسطرا .(٤) وبناه على الساكن والمتحرّك من أحرف الكلمة والخفيف والثقيل . فكل كلمة فيها حرف متحرّك وحرف ساكن سمّاه

---

(١) كما فى ى وع وحاشية م . م : منزحفه .

(٢) ذكر المؤلف أبو حاتم فى كتابه أعلام النبوة (مخطوط بمكتبتنا المحمدية الهمدانية) ٢٥١ — ٢٥٣ أن النحو والعروض من الرسوم المحدثة التى تشاكل حكمة الحكيم ، ومن الأصول المحدثة فى هذه الأمة ، لأن كل حكمة فى العالم صغرت أم كبرت أصلها من الأنبياء صلوات الله وعليهم ، وهم ورثوها الحكماء والعلماء من بعدهم ، ثم صار ذلك تعليما فى الناس . وقال أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥) فى كتابه المعروف بالصاحبى ١٠ : فان قال قائل : فقد توافرت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من تكلم فى العروض ، قيل له : نحن لاننكر ذلك ، بل نقول ان هذين العلمين قد كانا قديما وأتت عليهما الأيام ، وقلا فى أيدى الناس ، ثم جددهما هذان الامامان . وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا ، أو من قال منهم : « انه شعر » . فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليه : « لقد عرضت مايقرؤه محمد على أقراء الشعر هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم اره يشبه شيئا من ذلك » . ثم يسأل ابن فارس قائلا : أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ؟

(٣) راجع طبقات ابن سلام/هل ٩ وشاكر ٢٠ وأنساب العرب ٣٥٨ .

(٤) كما فى ى وع . م : وأشطرا .

« سَبَبًا » . وكلّ كلمة فيها ثلاثة أحرف ، حرفان متحرّكان وحرف ساكن ، سمّاه « وَتِدًا » . وكل كلمة فيها ثلاثة أحرف متحرّكة وحرف ساكن سمّاه « فاصِلَة » .

ثم سمّى ضروب الشعر بأسماء وضعها لكل بحر ، مثل الطّويل والمَديد والبَسيط والوَافِر والكامِل والرَّجَز والهَزَج والرَّمَل والسريع والمُنسَرِح والخفيف والمُضارِع والمُقْتَضَب والمُجتَثّ والمُحْدَث[1] والمُتقارِب .

[معنى العروض] هذا إلى سائر ما رَسَمَ فيه ، فاستتبّ له فيه الأمر ، وانقاد عليه القياس ، فوَزَنَ به الشعر وزنا سَوِيًّا . ثم سَمّاه عَرُوضا ، يعنى أنه رَاضَ القياس ، فوزن به الصَّعْب[2] من الشعر ، المُلْتَوِىَ عن وجهه ، حتى قوَّمَه . وقال قوم : معنى العروض أنّه استخرج ضروب الشعر وفنونه ممّا ذكرنا من الطويل والمديد والبسيط وغير ذلك ، فاحتجّ بما قالت الرواة إن الأعشى[3] كان أكثر الشعراء عَروضا وأذهبهم فى فنون الشعر . وقال بعضهم : يعنى أكثرهم قافية [٢٤] مستصعبة وأنشد :

١ لهنّ عَروضٌ ما يُنالُ صُعُودُها وَمُعْتَرِضاتٌ ما لهنّ ظُهُورُ

وأنشد أيضا لبعض الباهليّين :[4]

---

(١) لعل المراد بالمحدث هو المتدارك ، لأن الخليل لم يفرده بضرب من الضروب . وذكر ابن رشيق (العمدة ٨٨) أن الخليل عد أجناس الأوزان فجعلها خمسة عشر جنسا على أنه لم يذكر المتدارك . ولم يذكر نوع المحدث .

(٢) ع : يعنى أنه راض به الصعب .

(٣) هو الأعشى الأكبر ميمون بن قيس بن جندل .

(٤) وهو عمرو بن أحمر الباهلى كما جاء فى المؤتلف والمختلف ٣٧ ول/عرض . وقال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٧٧ — ٧٨) : هو عمرو بن فراس بن أعصر . ثم يروى عن أبى عمرو أن ابن أحمر كان فى أفصح بقعة فى الأرض أهلا بين يذبل والقعاقع يعنى مولده قبل أن ينزل الجزيرة . اهـ . مخضرم . أدرك أيام مروان وعبد الملك .

وَرَوْحَة دُنيا بين حَيَّين رُحتُها

٢ أَسِيرُ عَسِيرا أو عَرُوضا أَرُوضُها[١]

يقال : ناقةٌ عَسِيرٌ وبعيرٌ عسيرٌ إذا اعتسرت من الإبل فرُكِبَتْ ولم تستحكم،[٢] وناقةٌ عَروضٌ إذا قبلت بعض الرياضة ولم تُرَضْ . ويقال أيضا : ناقةٌ عُرْضِيَّةٌ أى صَعْبة .[٣] قال ابن أحمر :

ومَنَحتُها قَوْلى على عُرْضِيَّةٍ

٣ عُلُطٍ أُدارِى ضِغْنَها بتَوَدُّدِ[٤]

فعَرُوض وعُرْضِيَّة هى التى تعترض ولا تَمُرُّ مَرًّا مستقيما ، وهى أصعب ما تكون إذا كانت كذلك . كأنَّ الصَّعْب من الأبل سُمِّىَ عَرُوضا لأنه صُلْب لا ينقاد .[٥] والعَرُوض فى غير هذا الحجاز . قال :

لَعَمْرِى لقــد حَنَّتْ إلىَّ ودُونَها

٤ لِسانُ العَرُوض تغتدى وتَرُوحُ

وكأنَّ عَروض الشعر سُمِّىَ بذلك لأنه الصَّعب الملتوى الذى يُقَوَّم .

فأىّ لغات الأمم لها هذه الأسباب الفاضلة والفضائل الظاهرة التى قد خَصَّ الله بها هذه اللغة العربيّة ؟

---

(١) معناه أنه ينشد قصيدتين احداهما قد ذللها والأخرى فيها اعتراض (ل/عرض) . وقال الجوهرى (صح / سار) . سارت الدابة وسارها صاحبها يتعدى ولا يتعدى . قال :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها   فأول راضى سنة من يسيرها

يقول أنت جعلتها سائرة فى الناس . اهـ . ويروى : أخب ذلولا أو عروضا اروضها .

(٢) سقط « ولم تستحكم » فى ى و ع .

(٣) بعير فيه عرضية أى لا يواتيك . (اطلب باب الخليل) .

(٤) ناقة علط بلا خطام . وفى ل / عرض : وقال شمر فى قول ابن أحمر يصف جارية . قال ابن الأعرابى : شبهها بناقة صعبة . ويقال : كلمتها وأنا على ناقة صعبة فيها اعتراض .

(٥) سقطت الجملة « كأن الصعب ... لاينقاد » فى ى و ع

فضيلة الشعر

[الشعر ديوان العرب] ثم إن للغة العرب ديوانا ليس لسائر لغات الأمم ، وهو الشعر الذى قد قيَّدوا به[١] المعانى الغريبة والألفاظ الشاردة ؛ فإذا احْتاجوا إلى معرفة معنى حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه فى الشعر الذى[٢] هو ديوان لهم ، مُتَّفَقٌ عليه ، مَرْضِىٌّ بحُكْمه ، مجتمعٌ على صحة معانيه وإحكام أصوله ، محتَجٌّ به على ما اخْتُلِفَ فيه من معانى الألفاظ وأصول اللغة .

« والشِّعْر » هو الكلام الموزون على روىّ واحد ، المُقوَّم على حَذْو واحد . قد حُذِىَ البيتُ بالبيت حَذْوَ النَّعْل بالنعل والقُذَّة بالقُذة ، حتى لا يُخالف بعضه بعضا فى الوزن والرَّوِى : وإنما سموه شعرا ؛ لأنه الفِطْنَة بالغوامض من الأسباب . وسموا « الشاعِر » شاعرا ، لأنه كان يَفْطُنُ[٣] لما لا يفطن [٢٥] له غيره من معانى الكلام وأوزانه وتأليف المعانى وإحكامه وتثقيفه ،[٤] فكان لا يَفُوتُه من هذه الأسباب كلها شىء . قال عَنْتَرَةُ :

هل غادَرَ الشُّعَرَاء مِن مُتَرَدَّمِ أم هل عَرَفْتَ الدارَ بعد توَهُّمِ[٥] ٥

يعنى أن الشعراء لم يَدَعوا شيئا إلا وفَطَنوا له . يقال : شَعَرْتُ بالشىء إذا فَطِنْتُ له . قال الكِسَائى[٦] فى قول الله عز وجل « وَلكن لاَ تَشعُرُون »[٧] :

---

(١) ى : الذى قيدوا به . ع : الذى به قيدوا .

(٢) ع : فى الذى .

(٣) فطن (من باب نصر وفرح وكرم) للأمر وبه واليه فهمه وأدركه .

(٤) كما فى ى . م : تثقيفها . ناقص فى ع .

(٥) د عنترة / العقد ٤٤ .

(٦) هو أبو الحسن على بن حمزة . أصله أعجمى من القراء السبعة من أهل الكوفة . الامام الذى انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات . أخذ القراءة عرضا عن حمزة أربع مرات . ورحل الى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل . وأخذ النحو عن الرؤاسى . كان يطوف أولا البلاد ، ثم استقر فى بغداد ، فضمه الرشيد الى ولديه الأمين والمأمون . وكان شخص مع الرشيد الى الرى فى خرجته الأولى ، فمات بالرى سنة تسع وثمانين ومئة . قال أبو بكر الانبارى : اجتمعت فى الكسائى أمور ، كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم فى الغريب والقرآن (المعارف ٢٣٧ والفهرست ٤٤ و ٩٧ والقراء رقم ٢٢١٢ ص ٥٣٥ — ٥٤٠) .

(٧) البقرة ١٥٤/٢ .

شَعَرت بالشيء شِعْرا وشُعُورا . وبعضهم يقول : مَشْعُورَةً . وقال أبو سعيد : (١) هو شِعْرَةً ، فحذفوا الهاء . قال : وهو مثل الدِّرْيَة (٢) والفِطْنَة ، وهو على وزن فِعْلَة . قال : وقيل له شاعر لأنه يَشْعُرُ بالشيء ويَفْطُنُ له . قال : ومنه قولهم : لَيْتَ شِعْرِى ، أى ليتنى أشعر به .

وسمّوا الكلمات المنظومة المؤلّف بعضها إلى بعض (٣) منظوما موزونا « قافِيَةً » ، وجمعها قَوافٍ . قال النَّابِغة : (٤)

قَوَافِىَ كالسِّلام إذا استمرّتْ فليس يَرُدُّ مَذهبها التَّظَنِّى (٥) ٦

يعنون بالقوافى أنه الكلام الذى يقفو بعضه بعضا على مثال واحد .

ثم سمّوا اجتماع القوافى « قصيدة » . قال جرير : (٦)

فى ليلتين إذا حَدَوْتُ قصيـدةً بَلَغَتْ عُمَانَ وطَىِّءَ الأجبالِ (٧) ٧

---

(١) أغلب الظن أنه أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكرى النحوى واللغوى . أخذ عن أبى حاتم السجستانى والعباس بن الفرح الرياشى . وكان راوية البصريين وعمل أشعار جماعة من الفحول وقطعة من القبائل . فمن عمل شعره من الشعراء امرؤ القيس والنابغتان والأعشى وزهير وقيس بن الخطيم وأشعار هذيل والأخطل وأبو نواس وتكلم على غريبه ومعانيه . توفى سنة ٢٧٥ فى خلافة المكتفى . وذكره صاحب الزينة فى باب الشرك باسمه وكنيته . ويرى الميمنى أن المراد به هو الاصمعى . (راجع الفهرست ١١٧ والنزهة ٢٧٥ — ٢٧٥) .

(٢) درى الشيء دريا ودرية ودريانا ودراية بكسر الدال علمه (ل/درى) .

(٣) الأصول كلها : المؤلفة بعضها بعضا . والصواب هو المؤلف لأنه نعت سببى يجب أن يتبع ما بعده من التذكير والتأنيث .

(٤) النابغة الذبيانى وهو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة ويقال أبا ثمامة .

(٥) د النابغة / العقد ٣٠ . يمدح بنى أسد بقصيدة تعد من عيون الشعر العربى وفيها يقول مخاطبا عينية :

ألكنى يا عيين اليك قولا سأهديه اليك اليك ، عنى

قوافى كالسلام . . . . . . البيت

السلام جمع سلمة على وزن كلمة وهى الحجر . والتظنى اعمال الظن وأصله التظنن . والمعنى أن هذه القوافى كالحجارة فى قوتها متماسكة ، ومهما استمرت أى كثر عدد القوافى فانها لاتضعف ولا يؤثر فى تماسكها وجزالتها ماقد يوجه من الظنون . ىوع : يرد قدفدفها التظنى .

(٦) هو جرير بن عطية بن حذيفة من بنى كليب بن يربوع .

(٧) د جرير / الصاوى ٤٦٦ .

يعنى بالقصيدة أنّها الكلمة التى مُلِيَتْ بالمعانى ، وكثرت فيها الألفاظ المستحسنة . يقال : ناقة قصيدة ، أى ممتلئة كثيرة اللحم سمينة ، فكأنهم شبّهوا القصيدة بذلك . قال الشاعر :

٨ قطعت وصاحبى سُرُحٌ كِنازٌ كرُكن الرَّعْن ذِعْلِبَةٌ قصيدُ[(١)]

فأى لغات الأمم لها كلغة العرب هذه الأسباب اللطيفة والمناقب الشريفة التى خُصَّت بها لغة العرب ؟ وأى الأمم جملت للغتها هذه الحَوْزَة ، واتخذت لها هذه الدواوين ، واحتاطت لها هذا الاحتياط ، وأعطيت هذه الفضيلة ؟ وفى أى الأمم أنشأ الله شعراء يُدوّن كلامهم ويعلو ذكرهم ويخلد على الدهر ، كما أنشأ للغة العرب من الشعراء الذين علا ذكرهم وشُهروا ، ورُوى كلامهم ، وصار رياضة للمرتاضين ، وأدبا للمتأدبين ، وأُتّخذت عليه الدواوين ، ورغب فيه الملوك [٢٦] من الناس واستحسنه الأمم كافّة ؟

[الشعر القديم برواية ابن سلام] قال محمد بن سلام : [(٢)] كان عند آل المنذر ديوان فيه شعر الشعراء الفحول ومامُدح به هو وآل بيته ، فصار ذلك إلى بنى مروان ، أو ماصار منه .

قال : ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ، [(٣)] وإنما قُصِّدَت القصائد ، وطُوِّلَ الشعر على عهد عبد المطلب أو على

---

(١) موع : سرج كلف . والصواب ماجاء فى ى ول / فصد . سرح كناز . ناقة سرح ومنسرحة فى سيرها أى سريعة . وكناز أى مكتنزة صلبة اللحم . الرعن أى الأنف العظيم المتقدم من الجبل . ابن جنى : سمى قصيدا لأنه قصد واعتمد . وقيل : سمى قصيدا لأن قائله احتفل له فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار . رأصله من القصيد أى المخ السمين الذى يتقصد أى يتكسر لسمنه . والعرب تستعير السمن فى الكلام الفصيح . وقيل سمى الشعر التام قصيدا لأن قائله جعله من باله ، فقصد له قصدا ، وروى فيه خاطره ، واجتهد فى تجويده .

(٢) طبقات ابن سلام / هل ١١ — ١٣ وشاكر ٢٣ — ٣٣ .

(٣) طبقات ابن سلام : فى حادثة .

عهد هاشم [١] بن عبد مناف . وهذا دليل على إسقاط ما رُوِىَ من الشعر القديم لعاد وثَمودَ وتُبَّع وحِمْيَر .

قال : ومن الشعر القديم الصحيح قول العَنْبَر بن عمرو ، [٢] وكان مجاورا فى بهراء ، [٣] وَرابه رَيْبٌ ، فقال :

٩ قد رابَنى من دَلْوِىَ اضطرابُها والنَّأْىُ فى بَهْراءَ واغترابُها
إلا تجئْ مَلْأَى يجئْ قِرابُها [٤]

وقول سَعْدُ بن زيد مناة ، وكان يُزاول سَقْىَ إبله وهو مُشْتَمِل ، فمنعته امرأته ، [٥] فقال سعد :

١٠ يَظَلُّ يومَ وِرْدِها مُزَعْفَرا وهى خَناطيلُ تجوسُ الخُضَرا [٦]

---

(١) نفس المرجع : على عهد عبد المطلب وهاشم . وقد احتج محمود شاكر (طبقات ٢٤ هامش ١) على رأى ابن سلام هذا ، فقال : الشعر أقدم مما يزعم ،وطويله أعتق ممايتوهم .

(٢) نفس المرجع : العنبر بن عمرو بن تميم .

(٣) بهراء قبيلة وقد يقصر والنسبة بهرانى أو بهراوى . وبهراء ابن عمرو بن الحاف ابن قضاعة . ومنهم المقداد بن الأسود الصحابى الجليل . (راجع الانباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ١٢٢) .

(٤) يجىء قرابها أى قاربت الدلو أن تمتلىء . سبب هذا القول أن العنبر بن عمرو بن تميم أو ابن (بهراء) انتقل مع أمه أم خارجة صغيرا . لما تزوجها عمرو بن تميم ، فولدت له ثلاثة أولاد، فخرجوا جميعا يستقون ، فأنزلوا مائحا من تميم ، فكان يملأ الدلاء للثلاثة ، ويترك دلو العنبر تضطرب . (راجع تهذيب الكامل ١١١/٢) .

(٥) ليست النوار امرأة سعد كما تفيد العبارة ، بل كانت امرأة أخيه مالك . فنورد ما جاء من هذه القصة فى طبقات ابن سلام : كان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم ، وكان سعد أسودهما . وكان مالك ترعيةيعزب فى الابل . فتزوج مالك النوار بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أد وهم عدى وتيم ... وكانت امرأة زولة جزلة . فلما اهتداها مالك خرج سعد بالابل فعزب فيها . ثم أوردها لظمئها ومالك فى صفرة ، فأراد القيام ، فمنعته امرأته من القيام ، فجعل سعد وهو مشتمل يزاول سقيها ولا يرفق فقال : يظل يوم وردها البيت . فقالت النوار لمالك : ألا تسمع مايقول أخوك ؟ قال : بلى . قالت : فأجبه . فقال : مأأقول ؟ قالت : قل : أوردها سعد البيت .

(٦) ابل خناطيل متفرقة . وجاس الشىء يجوسه جوسا طلبه بالاستقصاء . والخضر جمع خضرة وهى البقل والقثاء والمباطخ . وقد أشار شاكر الى عادتهم فى جاهليتهم أن يتزعفر الرجل عند العرس ، فيتهكم سعد بأخيه مالك الذى آثر عروسه على ابله ، فقضى يومه فى زعفرانه .

فقالت امرأته وهى النَّوار بنت جُلَّ بن عدىّ بن عبد مناة لأخيه مالك : ألا تسمع ما يقول أخوك ؟ قال : بلى . قالت : أجبه . قال : ما أقول ؟ قالت : قل :

أوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِل ما هكذا تورَدُ يا سَعْدُ الإبل(١)٠ ١١

ومما يُرْوَى من قديم الشعر لدُوَيْد بن زيد(٢) قال حين حضرته الوفاة :

اليومَ يُبْنى لدُوَيْد بَيْتُهُ لو كان للدهر بِلى أبليتُهُ
أو كان قِرْنى واحدا كفيتُه يا رُبَّ نَهْبٍ صالح حَوَيْتُه
ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لوَيْتُه(٣) ١٢

وله أيضا :

ألقَى علىّ الدهر رِجْلا ويَدَا والدهر ما أصْلَحَ يوما أفْسَدَا
يُصلِحُهُ اليوم ويُفسِدُهُ غدا(٤) ١٣

ولأعْصُرَ بن سَعْد(٥) وهو أبو باهِلَةَ وغنىّ والطُّفاوَةَ :(٦)

قالت عُمَيْرةُ : ما لرأسك ، بعد ما نَفِدَ الزمانُ ، أتى بلَوْنٍ مُنْكَرِ

---

(١) فى رواية ق / شرع ول / شرع : ياسعد لا تروى بهذاك الابل .

(٢) طبقات ابن سلام : لدويد بن زيد بن نهدحين حضره الموت . وذكره أبو حاتم السجستانى فى المعمرين / غولدتصير ١٩ والآمدى فى المؤتلف والمختلف ١١٤ .

(٣) وبعده : ومعصم مخضب ثنيته . والغيل بالفتح الساعد الريان الممتلىء .

(٤) كما فى ىوع وطبقات ابن سلام والمؤتلف والمختلف ١١٤ . م والمعمرين ١٩ : يفسد ما أصلحه اليوم غدا .

(٥) كما فى ىوع وطبقات ابن سلام . م : الأعصر بن معبل .

(٦) الطفاوة قبيلة من بنى أعصر وهى بقية من ثمود . وغنى بن يعصر بن سعد بن قيس اليه ينسب كل غنوى رهط أبى مرثد الغنوى . وقيل يعصر أعصر . وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس . (راجع الانباه على قبائل الرواة ٨٤) .

أُعُمَيْرَ إنَّ أباكِ غَيَّرَ رَأْسَهُ   مَرُّ اللَّيالى واختلافُ الأعْصُرِ (١) ١٤

قال: وسُمِّى أعْصُرَ [٢٧] بذلك.

وَالمُسْتَوْغِر (٢) بن رَبيعة بن كَعْب بن زَيْد مناة قال وقد كان عُمِّرَ:

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطولها   وعَمِرْتُ (٣) من عدد السنين مئينا
مائةٌ أتت مائتان لى من قبلها (٤)   وازددتُ من عدد الشهور سنينا (٥)
هل ما بَقَى إلا كما قد فاتَنَا   يوم يَمُرُّ (٦) ولَيْـلة تَحْدونا ١٥

ولزُهَير بن جَناب الـكلبى (٧) وقد كان عُمِّرَ وكان شريفا (٨) شريف المولد:

أَبَنِىَّ إن أهلِكْ فقـد   أوْرَثْتُـكم مَجْـدا بَنِيَّهْ (٩)
وجَعَلْتُـكُم أوْلادَ سا   داتٍ زِنادُكُمُ وَرِيَهْ (١٠)

---

(١) طبقات ابن سلام: شيب رأسه كر الليالى واختلاف الأعصر.

(٢) يقال اسمه عمرو، وقيل عمر، وأدرك الاسلام. وسمى المستوغر ببيت له فى فرس:

ينش الماء فى الربلات منها   نشيش الرضف فى اللبن الوغير

وقل أبو عمرو: عاش المستوغر ثلاث مئة سنة وعشرين سنة. (راجع المعمرين ٧ والشعر والشعراء ٢٢٧ ومعجم الشعراء ٢١٣).

(٣) كما فى م وى وع والمعمرين ٧. طبقات ابن سلام: وازددت. الشعر والشعراء ٢٢٧: عمرت.

(٤) طبقات ابن سلام: مئة أتت من بعدها مئتان لى. الشعر والشعراء ٢٢٧ والمعمرين ٧: مئة حدتها بعدها مئتان لى.

(٥) الشعر والشعراء ٢٢٧: من بعد الشهور. المعمرين ٧: من عدد الشهور.

(٦) قال أبو حاتم (المعمرين ٨): بقى (بفتح القاف) يريد بقى (بالكسر) وهى لغة. طبقات ابن سلام: يكر. المعمرين ٩ والشعر والشعراء ٢٢٧: يمر.

(٧) ذكره أبو حاتم السجستانى (المعمرين ٢٤ — ٢٩) من المعدودين فى المعمرين من قضاعة قال: كان سيدا مطاعا شريفا فى قومه.

(٨) طبقات ابن سلام: وكان قديما.

(٩) نفس المرجع ول / حيا: أبنى ان أهلك فانى   قد بنيت لكم بنيه.

(١٠) طبقات ابن سلام: أبناء سادات. المعمرين ٢٦ ول / حيا: وتركتكم أولاد سادات.

من كلِّ ما نالَ الفتى قد نِلْتُهُ إلا التحيَّهْ(١)

والموتُ خيرٌ للفتى فليَهلِكَنْ وبه بقِيَّهْ

١٦ مِنْ أن يُرَى الشيخَ البجَا لَ وقد يُهادَى بالعَشِيَّهْ(٢)

ولجذيمة الأبرش:

رُبما أوفيْتُ فى عَلَمٍ يرْفعَنْ ثوبى شمالاتُ

فى فتوٍّ أنا رابِئُهم مِن كَلالِ غزوةٍ ماتوا(٣)

١٧ ليت شعرى ما أماتَهمُ(٤) نحن أدْلَجْنا وهم باتوا

وللُجَيْم بن صعْب أبى حَنيفةَ وعِجْل:(٥)

١٨ إذا قالت حَذَامِ فصدِّقوها فإن القول ما قالت حذامِ(٦)

ولمعدى كَرِب الحِمْيرى من آل ذى رُعَيْن، وكان قد عُمِّر:

أرانى كلَّما أفنيْتُ يوما(٧) أتانى بعده يومٌ جديدُ

---

(١) طبقات ابن سلام : من كل ما نال . والمعمرين ٢٦ : كل الذى نال . ول/ حيا : ولكل مانال . قال الجوهرى (صح / حيا) : التحية الملك ، واستشهد ببيت زهير : ولكل مانال ... التحية . اطلب باب الحى القيوم .

(٢) والبجال كسحاب أى المبجل وهو الشيخ الكبير السيدالعظيم مع جمال ونبل (ل/بجل).

(٣) صح/فتى : فتو جمع فتى . ورابئهم اسم فاعل من ربات القوم أى رقبتهم . وأراد بالموت مقاساة الأهوال . ورواية الأغانى ٧٣/١٤ :

فى شباب أنا رابئهم هم لدى العورات صمات

وفى رواية أخرى :

فى فتو أنا كالئهم فى بلايا عورة باتوا

(٤) ع وطبقات ابن سلام : ما أماتهم . الأغانى ٧٣/١٤ : ما أطافهم .

(٥) م وع وى : للحيم بن صعب ابى حنيفة وعجل . وهو تصحيف . ذكره ابن منظور (ل / حذم) بالجيم .

(٦) ل / حذم وشواهد العينى لهامش خزانة الأدب ٣٧٠/١ . وحذام اسم امراة لجيم ابن صعب ، معدولة عن حاذمة .

(٧) ى : أتانى بعد ماعمرت يوما .

يَعُود شبابهُ فى كل فجر (١) ويأبى لى شبابى ما يعودُ ١٩

فهذا هو الشعر القديم على ما رواه ابن سلام . (٢)

[مهلهل وامرؤ القيس] وإنما أُنشِيء (٣) الشعر أيام هاشم وأيام عبد المطلب فقصّدوا القصائد وطوّلوها . قال : وأوّل من قصّدَ القصائد وذكر الوقائع مُهلهِل بن رَبيعَة التغْلَبى فى قتل أخيه كُلَيْب قتلته بنو شَيْبان . واسم مهلهل عدى . (٤) قال أبو عُبَيْدَة : (٥) اسمه عدى . وسُمّى مهلهلا لهَلْهَلَة شعره كهلهلة الثوب . ويقال : لاختلافه واضطرابه . (٦) من ذلك قول النابغة :

أتاك بقولٍ هَلْهَلِ النَّسج كاذبٍ ولم يأت بالحق الذى هو ساطِعُ (٧) ٢٠

---

(١) ى : يعود بياضه فى كل فجر .

(٢) الأبيات المنسوبة للجيم ولمعدى كرب الحميرى لا توجد فى النسخ المطبوعة من طبقات ابن سلام ، ولم يرد ذكرها فى المعمرين .

(٣) فى الأصول : انشاء .

(٤) كما فى ى . م وع : واسم مهلهل ربيعة . (راجع الأغانى ١٤٧/٤ والمزهر ٤٣٤/٢ والخزانة / الخطيب ١٤٢/٢) .

(٥) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى . امام فى الغريب والعربية مشهور . مولى تيم قريش رهط أبى بكر . أخذ عن يونس وأبى عمر النحو والشعر والغريب . وقال ابن قتيبة كان العريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها . وكان يبغض العرب ، وبالرغم من شعوبيته فسر القرآن فى كتابه مجاز القرآن « وعمدته الأولى الفقه بالعربيـة » ، وكان يرى أن « من زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول » . (اطلب مقدمة سزكين ١٧) . قال ثعلب : كان يرى رأى الخوارج الاباضية . توفى سنة تسع ومئتين وقيل عشر . ومن أهم مصادر كتاب الزينة كتابه مجاز القرآن ، وقد نقل صاحب الزينة كثيرا من تفاسير أبى عبيدة ومجازاته . (راجع المعارف ٢٦٩ والفهرست ٧٩ – ٨٠ والتهذيب ٢٤٦/١٠–٢٤٨ رقم ٤٤٢ والبغية ٣٩٥ ومقدمة محمد فؤاد سزكين لكتاب المجاز ٩/١ وما بعدها) .

(٦) طبقات ابن سلام : وهو اختلافه واضطرابه .

(٧) رواية د النابغة / الصقد ١٩ و ل / هلل : هو ناصع . والجوهرى (صح / هلل) : هو ساطع .

قال ابن الكلبي : (١) [٢٨] سمّى مهلهلا لقوله :

لما توغَّلَ فى الكُرَاعِ هَجِينهم ۚ هَلْهَلْتُ أثأرُ جابرا أو صِنْبِلاَ(٢) ٢١

قال : وزعمت العرب أن مهلهلا كان يتكثّر ويدّعى فى قوله أكثر من فعله . وكان أول من فعل ذلك .

ثم كان امرؤ القيس بن حجر وهو أول من ابْتَدَعَ فى الشعر أشياء سبق الناس إليها ، منها استيقاف صَحْبِه فى الديار والتبكّى فيها ورقة النسيب وقرب المأخذ ، وشَبَّهَ النساء بالظباء والبيض والدُّمى ، وشبَّهَ الخيـل بالعقبان والعصِىّ ، وقَيَّدَ الأوابد ؛ (٣) فابعه الشعراء على ذلك ، واستحسنوا ذلك منه . وفى الحديث أن العباس بن عبد المطلب سأل عمر بن الخطاب عن الشعراء ، فقال : امرؤ القيس خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر فافْتَقَرَ عن معانى عورٍ أصحَّ بَصَرٍ . (٤)

---

(١) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى من أهل الكوفة . كان أعلم الناس بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها . أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة . توفى بالكوفة سنة أربع أو ست ومئتين فى خلافة المأمون . ومن كتبه كتاب الأصنام وكتاب نسب الخيل فى الجاهلية والاسلام وكتاب لغات القرآن وغيرها . ذكر ابن النديم عـددا كبيرا من مؤلفاته فى الفهرست . (راجع المعارف ٢٦٦ والفهرست ١٤٠ والنزهة ١١٦) .

(٢) ع : ضئبلا . هذا البيت أنشده الجوهرى (صح / هلل) : لما توغل فى الكراع ... أثار مالكا أو ضئبلا . ابن منظور (ل/هلل) : قال ابن برى : والذى فى شعره لما توعر كما أوردناه عن غيره . وقوله لما توعر أى أخذ فى مكان وعر . وتوعل فى الأرض اذا سار فيها وأبعد . والكراع اسم يجمع الخيل والسلاح . وكراع الأرض ناحيتها وأكارع الارض أطرافها القاصية . الاصمعى : الكراع العنق من الحرة تمتد . والكراع كل أنف تقدم من جبل أو حرة . هلهلت هنا بمعنى قاربت وكدت . وفى ق/صنبل : صنبل كخندف علم رجل من تغلب . ويعنى بالهجين امرأ القيس بن حمام . وجابر وصنبل رجلان من بنى تغلب .

(٣) الأوابد جمع آبد ، وهى الوحوش النافرة . وامرؤ القيس من قيد الأوابد فى قوله :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ۚ بمنجرد قيـد الأوابد هيكل

(٤) م : أصح بصرا . ى : أصح بصره . والصواب ماجاء فى ع وفى باب الخسف والفائق/ خسف والنهاية/ افتقر : اصح بصر . وفى الأصول ، معانى عور ، وفى لغة اثبات ياء المنقوص المنكر، وقراءة : وماله من دونه من والى . الخسيف البئر التى تحفر فى الحجارة فلاينقطع ماؤها كثرة . قال الزمخشرى (فائق/خسف) : خسف لهم عين الشعر أى أنبطها وأغزرها . يريد أنه أول من فتق صناعة الشعر ، وفنن معانيها ، فاحتذى الشعراء على مثاله . وافتقر افتعل من الفقير وهو فم القناة ، بمعنى شق وفتح ، جعل للشعر بصرا صحيحا . وكذلك وصفه المعانى بالعور فى الحقيقة لمتأملها يعنى أنها لغموضها وخفائها عليه كأنه أعمى عنها . والمراد أن امرأ القيس =

[مزايا الشعر العربى قبل مبعث النبى] ونقول : لما أراد الله صيانة هذه اللغة وتفضيلها وادِّخارها إلى الوقت الذى أنزل بها كتابه وبعث بها رسوله محمدا صلَّى الله عليه أنشأ لها من كل قبيلة شعراء قبل مبعثه صلى الله عليه ؛ فتكلموا بالشعر الرصين ، المحكم بالمعانى ، الموزون بالعروض ، المقوَّم بالأنحاء من غير أن يعرفوا(١) عروضا أو نحوا ، بل أيَّدهم الله بقيله وألهمهم وزنه وترتيله ، حتى أبرزوه بألفاظ حسنة ، ومعان متقنة ، وقواف موزونة ، ومصاريع مستوية ، فروَاه أهل اللبّ والأدب منهم ، وقبِله أهل الشرف والحسب عنهم . وجعلوا رَوِيَّه فى ذكر الأحساب والمآثر ، ومدح الملوك والأكابر والنبلاء من الناس ، وفى ذكر المثالب والسباب وهجاء أهل الضغائن والأحقاد ، وفى ذكر الوقائع والحروب . ونشر كل شاعر محاسن أيام قبيلته ومفاخرها ، ومساوى أهل الشنآن والبغضاء لهم . واستفتحوا كلامهم بذكر النسيب ،(٢) وبسطوه [٢٩] بصفات الديار والقِفَار والنُّجَعِ والأمطار ونَعْت الخيل والإبل والوحش وغير ذلك مما يطول الشرح به ، ويكثر الكلام بذكر عِلَلِه ؛ فتقيَّدت به الألفاظ الغريبة والمعانى اللطيفة .(٣)

وحفِظ الرواة عنهم كثيرا من ذلك الشعر ودوّنوه ، ورواه السلف للخلف ، وعرفوا اختلاف لغات القبائل ، واصطلح أهل المعرفة على صحة أصول اللغة فيه ؛ فرغب فى تعلُّمه أهل الهمم ، وصار ديوانا لهم فى الجاهلية ، عليه يعتمدون ، وبه يحكمون ، وبحُكمه يرتضون ، حتى صار الشعراء فيهم بمنزلة الحكام ؛ يقولون فيُرضَى قولهم ، ويحكمون فيمضى حكمهم . وصار ذلك فيهم سُنَّةً يُقتَدَى بها ، وآثارَةً يُحتذَى عليها .

= قد أوضح معانى الشعر ، وكشف عنها الحجب ، وجانب التعويض والتعقيد . ومحل عن وما دخل عليه النصب على الحال ، كأنه قال : فتح للشعر أصح بصر مجاوزا للمعانى العور متخطيا لها . وابن الأثير : معنى افتقر عن معانى عور أصح بصر فتح عن معان غامضة .

(١) ع : عرفوا .

(٢) ى . بذكر التشبيب .

(٣) كما فى ع . والمعانى اللطيفة ناقص فى م و ى .

[الحكومة بين علقمة وعامر بن الطفيل](١) فقد كان تَنَافَرَ عَلْقَمَةُ بن عُلَاثَة وعَامِرُ بن الطُّفَيل العامِريّان ،(٢) وتحاكما إلى هَرِم بن قُطْبة الفَزَارى ، فاحْتَجَزَ عن الحكومة بينهما ، وتوقّى القول فيهما . وقد ساق كل واحد منهما معه إبلا لينحرها عند الحكومة ؛ ومع عامر أعشى قيس ولبيد بن ربيعة العامرى ، ومع علقمة الحطيئة .(٣) وقد حضروا ليقول كل امرىء فى صاحبه عند النُّفُورَة ، ويذكر فضله ليخلد على الدهر . فلما امتنع هَرِم عن الحكومة انْتَدَبَ الأعشى — كان أدهى من الحطيئة وأشدّ تَحَنُّكا(٤) منه — فقال قصيدة نفّر فيها عامرا على علقمة ، وقال فيها :

عَلقَمَ ، لا ، لَسْتَ إلى عامرٍ(٥) النَّاقِمِ الأَوْتارَ والواتِرِ(٦)
سُدْتَ بنى الأحْوَص لم تَعْدُهُم وعامِرٌ سَادَ بَنى عامِرِ(٧) ٢٢

وقال فيها :

حَكَّمْتُمُوه فقَضَى بَيْنَكُمْ(٨) أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ الزَّاهِرِ(٩)

---

(١) اطلب القصة وأسباب منافرة عامر وعلقمة فى الصبح المنير ١٦٥ — ١٧٣ والأغانى ١٥/٥٠ — ٥٥ . وانظر باب الحكمة فيما يأتى .

(٢) وهما علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل ابن مالك بن جعفر بن كلاب من بنى عامر بن صعصعة .

(٣) طبقات ابن سلام / شاكر ٩٤ .

(٤) يبدأ مصور المخطوطة « س » من « أشد تحنكا » ورقة ٨ ب وقد وقع التقديم والتأخير عند تصوير المخطوطة . وفى حاشية س : قد حنكته السن وأحنكته اذا أحكمته التجارب والأمور .

(٥) الظاهر أن لا ناهية . والتقدير لا تفخر . رواية الأغانى ١٥/٥٠ : علقم ما أنت الى عامر .

(٦) ع والصبح المنير ١٠٥ والأغانى ١٥/ ٥٠ : الناقض .

(٧) فى رواية الأغانى ١٥/٥٠ : ان تسد الحوص فلم تعدهم ... البيت . والحوص والأحاوص بنو الأحوص بن جعفر بن كلاب .

(٨) الصبح المنير ١٠٥ : حكمتمونى .

(٩) حاشية س والصبح المنير ١٠٥ وباب القمر : القمر الباهر .

لا يأخذ الرَّشوَةَ فى حُكْمِهِ ولا يُبالِى غَبَنَ الخاسِر ٢٣

فقام أصحاب عامر إلى الإبل فنحروها ، وقالوا : نُفِّر عامر . وطارت لعامر على علقمة بقول الأعشى من غير أن حكم (١) بينهما [٣٠] هرِم .

وقال الحطيئة بعد ذلك فى علقمة :

فما ينظر الحُكّامُ بالفَضْلِ بعدما بَدَا واضِحٌ ذو غُرَّةٍ وحُجُولِ (٢) ٢٤

وقال فيه أيضاً :

يا عامِ قد كُنْتَ ذا باعٍ ومَكْرُمَةٍ لو أن مَسْعاةَ من جارَيْتَه أَمَمُ

جارَيْتَ قَرْماً أجادَ الأحْوصانِ به ضَخْمَ الدَّسِيعةِ فى عِرْنِينِه شَمَمُ (٣) ٢٥

فلم يُغْنِ ذلك عنه شيئاً لما سبقه إليه الأعشى .

[بنو أنف الناقة] وربما يُلَقِّبون قوما بلقب فيغضبون منه ، فيُحَسِّنه الشاعر بشعره ، فيستحسنونه بعد ذلك ويرضون به . وقد كان بنو جعفر بن قريع (٤) بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يقال لهم « بنو أنف الناقة » . وكان سبب ذلك أن قريعا أباه نَحَر جَزُورا فقسمه فى نسائه ؛ فقالت أم جعفر بن قريع وهى الشَّمُوس من بنى وائل بن سعد (٥) لابنها جعفر : انطلقْ إلى أبيك فانظر هل بقى عنده

---

(١) كما فى ى وس وع . م : أن يحكم .

(٢) كما فى ى وس وع و د الحطيئة ٤٦ برواية السكرى . بالفضل . م : بالقول . وورد البيت فى الصبح المنير ١٧١ والأغانى ١٥/٥٣ كذا :

فما يحبس الحكام بالفصل بعدها بدا سابق ذو غرة وحجول

(٣) القرم السيد المعظم . رواية ابن سلام (طبقات / شاكر ٩٤) : جاريت فرعا . والمراد بالأحوصين بن جعفر بن كلاب وابنه عوف كما ذكره الشارح .

(٤) ى وس وع : بنو حنظلة بن قريع . والصواب ما أثبتناه من م وحاشية ى : بنو جعفر ابن قريع . وأولئك هم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . (راجع أنساب العرب ٢٠٩ و ٢١١) .

(٥) ح : بنى وائل بن هذيم . قال أبو سعيد السكرى (د الحطيئة ٣) : الشموس من بنى وائل ثم من بنى سعد هذيم .

شىء ؟ فأتاه فلم يجد عنده إلا رأس الجزور . فأخذ بأنفه وكان صبيا صغيرا ،[١] فجعل يجرّه . فقيل له : ماهذا ؟ قال: أنف الناقة . فلُقِّب بذلك وكانوا يغضبون إذا قيل لهم « بنو أنف الناقة » . فلما مدحهم الحطيئة بقوله :[٢]

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومَنْ يُسَوِّى بأنف الناقة الذّنَبَا[٣] ٢٦

رضوا بذلك ، وصار مدحا بعد أن كان هجاء .

وإنما ذكرنا ذلك تنبيها على عِظَم شأن الشعر والشعراء فى الجاهلية ، وإحكام أمر لغة العرب — والكلام ذو شجون — والقول يعرض فى خلال القول ، حتى يحتاج إلى ذكر كلام فى فنّ من الأدب لا يكون ذلك موضعه .

وقد روى عن بعض العلماء — وأراه الخليل — أنه قال : نظرت فى فن الأدب ، فإذا فيه مالا يُحتاج إليه وهو أيضا يُحتاج إليه .[٤] فإذا الذى لا يحتاج إليه هو أيضا مما يُحتاج إليه .

[منزلة الشعر عند العرب] ورُوِى عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : كانت الشعراء[٥] عند العرب فى الجاهلية بمنزلة الأنبياء فى الأمم ، حتى خالطهم أهل الحضر ، فاكتسبوا بالشعر ، [٣١] فنزلوا عن رتبتهم . ثم جاء الإسلام ونزل القرآن بتهجين الشعر وتكذيبه ، فنزلوا رتبة أخرى . ثم استعملوا الملق والتضرع ، فقلّوا واستهان بهم الناس .

---

(١) ى‌وس‌وع : وكان سبب ذلك أن أباهم نحر جزورا (ع : وكان له عدة من ولد) وقسم اللحم فجاء حنظلة وقد وزع اللحم وبقى الرأس وكان صبيا صغيرا .

(٢) ى‌وس : فلما مدح الحطيئة علقمة بن علاثة قال . حاشية س‌وع : فلما مدح الحطيئة بغيضا قال .

(٣) د الحطيئة ٦ .

(٤) كما فى م‌وع . ى‌وس : فاذا فيه مايحتاج اليه ، فوجدت الذى يحتاج اليه لايتم الا بما لايحتاج اليه . وفى العبارة اضطراب ، ولعل الأصل : نظرت فى فن الأدب فاذا فيه ما يحتاج اليه ومالا يحتاج اليه ، فوجدت الذى يحتاج اليه لايتم الا بما لا يحتاج اليه .

(٥) كما فى ى و س و ع . م : وروى أنه كانت الشعراء .

وروى (١) حمّاد بن زيد (٢) عن ابن عون (٣) عن ابن سيرين (٤) قال : قال عمر بن الخطّاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ أعلم منه . (٥) فجاء الله بالإسلام . فلمّا كانت الفتوح ، واطمأنت بالعرب الأمصار ، وراجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مُدَوّن ولا كتاب مكتوب ، وألْفَوْا ذلك وقد هلك من هلك من العرب بالموت والقتل ؛ فحفظوا بعضا ، وذهب عنهم كثير منه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاّ أقلّه . ولو جاءكم وافرا لجاءكم شعرٌ وعلمٌ كثير .

فكان سبيل الشعراء فى الجاهليّة على ما قال أبو عمرو . كانوا بمنزلة الأنبياء

---

(١) طبقات ابن سلام / هل ١٠ وشاكر ٢٢ .

(٢) حماد بن زيد بن درهم الأزدى . لم يرد اسمه فى طبقات ابن سلام . ذكره ابن قتيبة فى المعارف من أصحاب الحديث . مولى آل جرير بن حازم وكان عثمانيا . روى عن عاصم الأحول وابن سيرين وأنس وسلمة بن دينار وغيرهم من التابعين فمن بعدهم . وعنه ابن المبارك وابن وهب وخلق كبير . وقال ابن حبان فى الثقات . وكان ضريرا . وقال أبو حاتم : قال ابن مهدى : مارأيت بالبصرة أفقه من حماد بن زيد . توفى سنة تسع وسبعين ومئة سنة . (راجع المعارف ٢٥٢ والتهذيب ٣/ ١٠) .

(٣) كما س وع . م وح وى : ابن عوف . وهو تحريف . وهو عبد الله بن عون بن أرطبان مولى لابن برزة المزنى ، ويكنى عبد الله أبا عون . ونكح عبد الله عربية ، فضربه بلال بن أبى بردة بالسياط . قال ابن قتيبة (المعارف ٢٤٥) : قال حماد بن زيد : ولد ابن عون قبل الجارف بثلاث سنين ، ومات سنة احدى وخمسين ومئة . وقد رأى أنس بن مالك .

(٤) محمد بن سيرين الأنصارى . قال ابن قتيبة (المعارف ٢٢٦) : كان سيرين أبوه عبدا لأنس بن مالك كاتبه على عشرين ألفا وأدى الكتابة . قال ابن سعد (الطبقات ٨/ ٨٦ — ٨٨ و ١٤٠ وما بعده) : محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك . قال الحافظ (التهذيب ٩/ ٢١٤ — ٢١٧) : روى عن مولاه أنس بن مالك والحسن بن على بن أبى طالب وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وعائشة وخالد الحذاء وهو من تلامذته فى آخرين وطائفة من كبار التابعين . روى عنه الشعبى وخالد الحذاء وابن عون وجرير بن حازم وآخرون . وقال الأنصارى عن ابن عون : كان ابن سيرين يحدث بالحديث على حروفه . وقال حماد بن زيد عن عاصم الأحول : سمعت مورقا يقول : ما رأيت رجلا أفقه فى ورعه ولا أورع فى فقهه من محمد بن سيرين . مات سنة عشرة ومئة .

(٥) طبقات ابن سلام / شاكر ٢٢ : أصح منه .

فيهم ، لأنّ العرب لم يكن فى أيديهم كتاب يرجعون إليه ، ولا حكم يأخذون به . وكان الشعر عندهم علما لا علم فوقه على نحو ما ذكر عمر بن الخطّاب ؛ فالتجأوا إليه لما وجدوا فيه من الحكمة ، ولما رأوا أن الشعر قد عمل فى قلوب الملوك والأشراف الاهتزاز للمطايا السنيّة بهزّ الشاعر إيّاهم ومَدْحه لهم ، ولما فعل فى أنفس أهل البأس والنجدة فى الحرب وفى طلب الأوتار بتحريض الشاعر ، وفى قلوب أهل الكرم من الوفاء بالجوار وإجارة الملهوفين ، وفى قلوب أهل النخوة والأنفة من الخضوع والانقياد وغير ذلك ، فإن للشعر فى هذه الأسباب آثارا بيّنة وفعلا ظاهرا . وقد قال حبيب بن أوس :(١)

ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ ما درَى ‏ ‏ بُغاةُ النَّدَى من أين تؤتَى المَكارِمُ(٢) ٢٧

وقال أبو جِلْدَةَ اليَشْكرى(٣) يحضّض أهل العراق على أهل الشام فى حرب الحجّاج :

قُلْ للحَوارِيَّاتِ يَبْكِينَ غيرَنا [٣٢] ولا يَبْكِنا إلاّ الكِلابُ النَّوابِحُ(٤) ٢٨

---

(١) هو أبو تمام الطائى حبيب بن أوس بن الحارث . ولد فى الشام فى آخر خلافة الرشيد ونشأ بمصر ، وله كتاب مختار أشعار القبائل دون الحماسة وديوان شعر رتبه الصولى ثم على ابن حمزة . وقيل انه فى جمعه للحماسة أشعر منه فى شعره . مات سنة احدى (أو اثنتين) وثلاثين بعد المئتين . (راجع أخبار أبى تمام للصولى) .

(٢) د أبى تمام ٢٥٥ . ى وحاشية س : بغاة العلى .

(٣) أبو جلدة بن عبيد من بنى جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . قال ابن قتيبة : كان مولعا بالشراب . الآمدى : شاعر خبيث . الأصبهانى : شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية ، ومن ساكنى الكوفة . وكان من أخص الناس بالحجاج . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان أشد الناس تحريضا على الحجاج فقتله الحجاج . (راجع الأغانى ١٠/١١٠ — ٢٠ لأخبار أبى جلدة (كلدة) ونسبه بتفاصيلها وأيضا الشعر والشعراء ٤٥٩ — ٤٦٠ والمؤتلف والمختلف ٧٨) .

(٤) رواية الآمدى (المؤتلف والمختلف ٧٩) : فقل لنساء المصر . وفى الأغانى ١٠/١١١ : فقل للجويريات . الحواريات نساء الأمصار ، الواحدة حوارية . وفى س : النوابح . اطلب الشاهد فى باب الحوارى .

وقد كان أهل العراق انهزموا . فلمّا قال أبو جلدة هذا حَقَّقُوا[1] على أهل الشام فهزموهم ؛ فقال الحجّاج : ما حَضَّضَ علىّ أحد كما حَضَّضَ أبو جلدة اليشكرى بهذا البيت .

وكان هذا فى الجاهليّة أوّلَ ما نَشَأَ الشعراء أصحّ وأحكم ، كما قال أبو عمرو بن العلاء . ثمّ رغب الملوك فى اصطناع الشعراء لِمَا وجدوا فى الشعر من المنافع ، فأعطوهم الهبات الرغيبة والعطايا السنيّة ؛ فدعاهم ذلك إلى أن خلطوا الباطل بالحقّ ، وشابوا الكذب بالصدق ، فقالوا فى الممدوح فوق ما كان فيه ، وقرّظوه بما ليس له بأهل ، فنزلوا رتبة عن تلك الدرجة .

[تهجين الشعر الذى يشوبه باطل] ثمّ نزل القرآن بتهجين الشعر حين شبّهَ الكفّار والمنافقون ما نزل من القرآن على رسول الله صلّى الله عليه بالشعر ، فأنزل الله عزّ وجلّ تكذيبا لقولهم : وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ .[2] يعنى أنّ القرآن هو كلام الله عز وجل ، وهو الحقّ الذى لا يشوبه باطل ، والصدق الذى لا يخالطه كذب ، حكمة بالغة مُنزّهة عن قول الشعر وتخرُّص الشعراء .

وصَانَ عز وجل رسوله صلوات الله عليه عن إنشاد الشعر فضلا عن قيله ، لكيلا يختلط كلام الله عز وجل بالشعر ؛ فلم يقُلْ شعرا قطُّ ولا رواه .

وقد رُوِى فى الحديث أنه صلّى الله عليه تمثّل ببيت طرفة :

ستُبدِى لك الأيّامُ ما كُنتَ جاهلا ... ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تزوِّدِ ٢٩

فقلَبَ القافية وقال :

ستُبدى لك الأيّامُ ما كُنتَ جاهلا ... ويأتيكَ مَنْ لم تُزوِّدْ بالأخبار

---

(١) حققوا أى أحاطوا ، من قولهم : حقت القيامة تحق (من باب قتل) أحاطت بالخلائق فهى حاقة ، أى هجموا هجوما حقا صادقا .

(٢) يس ٣٦/٦٩ .

ليكون كلامه مصُونا عن رويّ الشعر ووزن القوافى احتياطا للقرآن وصيانةً للوحى.(١)

والذى أنزل الله عز وجل فى تهجين الشعر قوله : وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ،(٢) وقوله عز وجل : والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ.(٣) [٣٣] فهذا فى الشعراء الذين هَجَوْا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مثل كعب بن الأشرف وعبد الله ابن الزِّبَعْرَى قبل دخوله فى الإسلام وهُبَيْرة بن أبى وَهْب وغيرهم ممن آذَوْا رسول الله صلّى الله عليه بهجائهم إيّاه . والغاوُون هم الذين اتّبعوهم من كُفَّار قريش وغيرهم ممّن رووا ذلك الشعر مُعاداةً له وتعصُّبا عليه .

ثم استثنى عز وجل المؤمنين من الشعراء ، فقال عز اسمه : إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات .(٤) يعنى عبد الله بن رَوَاحة وحسّان بن ثابت وكَعْب ابن مَالك الذين نصروا رسول الله صلّى الله عليه بألسنتهم ودفعوا عنه بشعرهم .

وقد روى عنه صلى الله عليه وعلى آله أنه قال : لأَن يَمْتَلِئَ جَوْفُ أحدكم قَيْحا حتّى يَرِيَه خَيْرٌ له من أن يمتلىء شِعْرا .(٥) فقال بعض العلماء : هو الشعر

---

(١) ورد فى الشمائل للترمذى وحاشية البيجورى فى باب ماجاء فى صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر : روى عن عائشة أنها قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة ، ويتمثل بقول الشاعر طرفة بن العبد : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » أى من لم تعطه زادا . والمعنى سيأتيك بالأخبار من لم تعطه زادا ليسافر ويأتى لك بها . وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم تمثل بهذا البيت لكنه قدم وأخر ، وقال : ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار . فقال أبو بكر :ليس هكذا يارسول الله . قال : ماأنا بشاعر . فكأنه صلى الله عليه وسلم تمثل بالمعنى .

(٢) يس ٣٦/ ٩ ٦ .

(٣) الشعراء ٢٦/ ٢٢٤ .

(٤) الشعراء ٢٦/ ٢٢٧ .

(٥) خ أدب ٩٢ ومس شعر ٧ — ٩ . ورى القيح جوفه أى أفسده . وفى فتح البارى قال ابن بطال : ذكر بعضهم أن معنى قوله خير له من أن يمتلىء شعرا يعنى الشعر الذى هجى به النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال [٣٤] صلّى الله عليه : إن من الشعر لحكمة ، (١) وإن من البيان لسحرا . (٢)

وأنشد الجعدى (٣) قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

٣١ بلغنا السماءَ مَجْدُنا وجُدُودُنا (٤) وإنّا لنَرْجُو فوق ذلك مَظْهَرَا

فقال النّبىّ صلّى الله عليه : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنّة يارسول الله [بك] . (٥)

فقال صلّى الله عليه : لا يَفْضُض الله فاكَ ! قال : فعُمِّرَ مائة سَنَة ولم يسقط له سِن لدعاء رسول الله صلّى الله عليه .

فكان عليه السلام فى منزلته من الله عز وجل ومحلّه (٦) من النبوّة وفضله على جميع الأنبياء يستحسن الشعر ويستنشده ، ويقول فيه : إن من الشعر لحكمة ، (٧) ويعفو بالشعر عن المخطئين ويقبل منهم التوبة ، ويعطى على قيل الشعر ، ويَهَشُّ لاستماعه ، ويأمر بتقريظ الإسلام وتحريض العرب على الدخول فيه ، ويأمر حسان بن ثابت وغيره بهجاء أعدائه ، ويُرغِّبهم فيه ويَعِدهم على ذلك من الله عز وجل الثواب .

---

(١) كما فى ى وس وع ٠م وح و حاشية س : لحكما . ت أدب ٦٩ : حكما . خ أدب ٩٠ : حكمة .

(٢) خ نكاح ٤٧ ، طب ٥١ ومس جمعة ٤٧ .

(٣) هو النابغة قيس بن عبد الله الجعدى . وقيل عبد الله بن قيس . وقيل حبان بن قيس . وانما قيل له النابغة لأنه قال الشعر فى الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لايقول الشعر ، ثم نبغ فقاله ، فسمى النابغة . وطال عمره فى الجاهلية والاسلام وهو أسن من النابغة الذبيانى . وانما مات الذبيانى قبله وعمر الجعدى بعده طويلا . وكان يكنى أبا ليلى وهو جاهلى ، وأتى رسول الله وأنشده :

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجـــــرة نيرا
بلغنـــا السماء مجدنا وجدودنا . . . . البيت

(راجع الشــعر والشعراء ١٥٨ — ١٦٤ وطبقات ابن سلام / هل ٢٦ — ٢٨ وشاكر ١٠٣ — ١٠٩ والمؤتلف والمختلف ١٩١ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣٢١ وأمالى المرتضى ١/١٩٠ — ١٩٥ وأسد الغابة ١/٥ والخزانة / الخطيب ٣/ ١٥٢) .

(٤) ى و س : بلغنا السماء مجدها ونجومها .

(٥) الزياده فى عامة المظان .

(٦) والمصور من مخطوط س ينقص فيه بعض الأوراق التى لم تصور من بعد « ومحله من» الى أن نشير اليه فيما يلى .

(٧) وردت فى الأصول بعد الحديث الجملة الآتية : «ويغضب من قيل الشعر ويقبل عليه». وقد حذفناها من المتن بما فيها تناقض واقحام على سياق الكلام .

الذى هُجِىَ به رسول الله صلّى الله عليه ، والشعر الذى فيه شَتْم أعراض المؤمنين والمؤمنات . فهذا من الشعر الذى نزل القرآن بتهجينه ، وروايته كفر ، وإنشاده حرام .

[إن من الشعر حكمة] ولولا ما فى الشعر من النفع والنصرة لما استثنى الله عزّ وجل المؤمنين من الشعراء ، ولا جعلهم ممّن انتصروا لرسول الله صلّى الله عليه ممّن ظلمه بشعره وآذاه بهجائه ، ولما سمّاهم منتصرين بالشعر ، فقال : وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا (١) فهجّنّ ما تخرّصوه من الكذب ، وما لفظوا به من الكفر ، بهجائهم النبى صلّى الله عليه ، ولم يُهَجِّن غيره من الشعر ، ولا أسقط ما فيه من النفع ، ولا أبطل ما فيه من الحكم . (٢)

فقد أنشده بعض الشعراء قوله : (٣)

فحَىِّ ذوى الأضغان تَسْبِ قُلوبَهُم ... تحيّتَكَ الأدنى فقد يُرقَعُ النَّغَلْ (٤)

وإنْ دَحَسوا بالوُدِّ فادْحَسْ بِمِثْلِهِ ... وإنْ خَنَسوا عنكَ الحديثَ فلا تَسَلْ (٥)

فإنَّ الذى يُؤذيكَ منه سَماعُه ... وإنَّ الذى قالوا وَراءَكَ لم يُقَلْ (٦) ٣٠

---

(١) الشعراء ٢٢٧/٢٦ .

(٢) ى وس وع : الحكمة .

(٣) هو العلاء بن الحضرمى كما ذكره فى النهاية / دحس . وكان اسمه عبد الله بن عماد الحضرمى اليمنى . مات سنة أربع عشرة . وترجمه ابن سعد فى الطبقات ٤ (١) ٧٦ — ٧٨ ولم يذكر انشاده الأبيات . وانما جاء فى كتاب الوسيلة الأحمدية فى شرح الطريقة المحمدية ١٣١/٤ عند كلامه عن الشعر قال : روى الامام أبو منصور الديلمى فى الفردوس عن بكر الأسدى رضى الله تعالى عنه أنه قال له رسول الله : ويحك يا أسدى ! هل قرات القرآن مع ما أرى من فصاحتك ؟ فقال : لا ، ولكن قلت شعرا . فاسمعه منى . فقال عليه السلام : قل . فقال : وحى ذوى الأضغان تسب قلوبهم ... الخ .

(٤) ويروى : حى بالخرم . النغل الفساد والافساد . والرقعة الخرقة ، ورقع الثوب أصلحه بها .

(٥) كما فى ى و س و ع . م : وان دخسوا ... البيت . دخس أى أفسد . والدخس تغييب الحديث واخفاؤه . دخسوا بالود أى ستروه وأخفوه . وردالبيت فى الوسيلة الأحمدية هكذا : وان أعلنوا بالشر أعلن بمثله ... وان دخسوا عنك الحديث فلا تسل

وفى رواية النهاية : وان دخسوا بالشر عف تكرما ... البيت . يروى بالحاء والخاء ، ان فعلوا الشر من حيث لا تعلم .

(٦) رواية الوسيلة الأحمدية : كأن الذى قالوا .

[الدفاع بالشعر عن حوزة الإسلام] وقد رُوى أنه صلّى الله عليه قال لحسان بن ثابت : اهْجُ قريشا وجبريل معك . (١) وفى حديث آخر : اهْجُهم وأْتِ أبا بكر يُخبرْك بمعايبهم . (٢) وقال صلّى الله عليه لحسان : لشعرك أجزل عند قريش من سبعين رجلا مقاتلة ، ولشعر كعب بن مالك أشد على قريش من رشق السهام . (٣)

وكان أبو عزة الجُمَحى (٤) قد هجاه . فأُسِرَ يوم بدر كافرا ، (٥) فقال : يا رسول الله ! إنى ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامْنُنْ علَىَّ ، مَنَّ الله عليك ! قال : نعم ، على ألاَّ تعين علَىَّ (يريد بشعره) . قال : نعم . فعاهده وأطلقه . ثم قال :

ألا بلِّغا عنّى النّبىَّ محمّدا ... بأنّك حقٌّ والمليكُ حميدُ
ولكن إذا ذُكرتُ بدرا وأهلَها ... تأوّهَ منّى أعظمٌ وجُلودُ (٦) ٣٢

(١) ح أدب ٩١ : أهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك ، عن البراء .

(٢ و ٣) مس فضائل الصحابة ١٥٧ ونصه : عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق بالنبل ، فأرسل الى ابن رواحة ، فقال : اهجهم . فهجاهم ، فلم يرض . فأرسل الى كعب بن مالك ، ثم أرسل الى حسان بن ثابت . فلما دخل عليه قال حسان . قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الأسد الضارب بذنبه . ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ، فقال : والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الأديم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها ، وان لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبى . فأتاه حسان ثم رجع ، فقال : يارسول الله قد لخص لى نسبك ، والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين . قالت عائشة : فسمعت رسول الله يقول لحسان : ان روح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله . وقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هجاهم حسان فشفى واشتفى .

(٤) أبو عزة الجمحى هو عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح . قال المقريزى (امتاع الأسماع ١٦٠) : لم يؤسر فى غزوة أحد غيره .

(٥) طبقات ابن سلام / هل ٦٤ وشاكر ٢١٢ .

(٦) رواية ابن هشام (السيرة ٤٧١/١) وابن سلام (طبقات / شاكر) : تأوب مابى حسرة وتعود .

فعادَ فى هجائه . ثم أُسِرَ يوم أحد ، فقال : يارسول الله ! مُنَّ علَىَّ ، مَنَّ الله عليك ! فقال صلّى الله عليه : لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْر مرتين . والله لا تمسح عارِضَيْك بمكة . ستقول إنى خدعت محمدا مرتين . فقتله.[(١)]

وقتِلَ هُبَيْرة بن أبى وَهْب .[(٢)] وقيل : بل كَعْب بن الأشرف هو المقتول ، وكان شاعرا ، وفى أخواله [٣٥] بنى النضير سيدا . وبكى قتْلَى بدر ، وتشبَّبَ بنساء رسول الله صلّى الله عليه ، فأمر محمد بن مَسْلَمَةَ ورهطا من الأنصار بقتله ، فقتلوه .[(٣)]

وكان عبد الله بن الزِّبَعْرى بكى قتلى بدر فقال :

لَيْتَ أشياخى ببدر شهدُوا جزَعَ الخزرَج من وَقْع الأَسَلْ
حين ألْقتْ[(٤)] بقُباء بَرْكها واسْتَحَرَّ القتْلُ فى عَبْد الأشَلْ
فقتَلْنا النصف من ساداتهم[(٥)] وعدَلْنا مَيْلَ بدر[(٦)] فاعْتَدَلْ ٣٣

وكان النبى صلّى الله عليه يُوعِدُه ، فمدح النبى صلّى الله عليه وسلّم واعتذر إليه ، فأجاد المدح ولطف فى الاعتذار ، فقال :[(٧)]

يارسولَ المليـك إن لسانى راتِقٌ ما فتَقْتُ إذ أنا بُورُ[(٨)]
إذ أُجارى الشيطان فى سَـنَنِ الغَـ ـىِّ ومن مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظامُ بما قُلْـ ـتَ ، فنفسى الفِدى وأنت النَّذِيرُ ٣٤

---

(١) السيرة ٥٩١/٢ : تقول ... الخ .
(٢) نفس المرجع ٨٨٧/٢ .
(٣) نفس المرجع ٥٤٨/٢ — ٥٥٣ .
(٤) نفس المرجع ٦١٦/٢ : حين حكت .
(٥) نفس المرجع ٦١٦/٢ : فقتلنا الضعف من أشرافهم .
(٦) كما فى ى والسيرة ٦١٦/٢ . موع : مثل بدر .
(٧) طبقات ابن سلام / هل ٥٩ وشاكر ٢٠٢ .
(٨) اطلب الشاهد فى باب الملك والمالك والمليك

وقال أيضا فى مثله : (١)

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلاَبِلٌ وهُمُومُ والليلُ مُعْتَلِجُ الظَّلام بَهِيمُ (٢)

ممّا أتـــانى أنَّ أحمدَ لامنى فيـــه ، فبِتُّ كأنَّنى محمومُ

يا خيْرَ من حملَتْ على أوصالِها عَيْرانةٌ سُرُحُ اليدَيْنِ رَسُومُ (٣)

إنّى لَمُعْتَذِرٌ إليك مِنَ الّذى أسْدَيْتُ إذْ أنا فى الظَّلاَم أهيمُ (٤)

أيّامَ تأمُرُنى بأغـــوى خُطَّةٍ قَيْسٌ ، وتأمـــرنى به مَخْزُومُ (٥)

قَضَتِ العَدَاوَةُ وانْقَضَتْ أسبَابُها ودعَتْ أواصِرُ بيننا وحُلومُ

فاغْفِرْ (فِدًى لكَ والِدَىَّ كلاهما) ذَنْبى ، فإنَّك راحِمٌ مَرْحُومُ (٦)

فقبل منه رسول الله صلّى الله عليه وعفا عنه . وأسلم ، فقبل إسلامه .

[عفو النبى عن كعب بن زهير وكسوته بردة] (٧) وكان كَعْب بن زُهَيْر قد هجا رسول الله صلّى الله عليه . فكتب إليه أخوه بُجَيْر بن زُهَيْر : إنّ رسول الله صلّى الله عليه قد قتل رجلا (٨) بمكّة ممّن كان يهجوه ويُؤْذيه (٩) بشعره ؛ فاقْدَمْ عليه ، فإنّه لا يقتل أحدا جاءه تائبا مُسلما ، أو اهْرُبْ إلى نَجَاتِك من

---

(١) طبقات ابن سلام / هل ٥٩ وشاكر ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٢) السيرة ٨٢٧/٢ وطبقات ابن سلام : معتلج الرواق . ومعتلج شديد .

(٣) السيرة : غشوم . وفى صح/رسم قال : ناقة رسوم تؤثر فى الأرض من شدة الوطء .

(٤) البيت ناقص فى ى . السيرة وطبقات ابن سلام : فى الضلال .

(٥) السيرة وطبقات ابن سلام / شاكر ٢٠٣ : سهم وتأمرنى بها مخزوم . قال الشارح ان بنى سهم بن عمرو قوم من قريش ، وان بنى مخزوم من قريش وبينهم نسب . وأما قيس فهم قيس عيلان بن مضر .

(٦) السيرة ٨٢٧/٢ : والداى كلاهما زللى .

(٧) طبقات ابن سلام / شاكر ٨٣ – ٨٧ والسيرة ٨٨٧/٢ .

(٨) ع : رجالا .

(٩) كما فى ح و ى و ع والسيرة « يؤذيه » ناقص فى م .

الأرض . فَقَدِمَ عليه تائبا مسلما ، ودخل المدينة مُتَنَكِّرًا . فلمَّا صلَّى النبىّ صلّى الله عليه قام إليه ، فقال : يا رسول الله ! هذا مقامُ العائذ بك ، أنا كعب ابن زهير . فتَجَهَّمَتْهُ الأنصار وغَلَّظَتْ عليه لِما كان من هِجائه رسولَ الله صلّى الله عليه ، [٢٦] حتّى آمَنَهُ . ثم امتدحه بقصيدته التى يقول فيها :

أُنْبِئْتُ أَنَّ رسولَ الله أَوْعَدَنى ... والعَفْوُ عند رسول الله مَأْمُولُ

لقد أقوم مقَامًا لو يقـــوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفِيلُ(١)

لظَلَّ يُرْعَدُ إلاَّ أن يكون له ... من الرَّسول بإذن الله تَنْوِيلُ(٢)

فأنشدها إيّاه . فلمَّا انتهى إلى قوله :

فى فِتْيَةٍ من قريش قال قائلُهُمْ ... ببَطْنِ مكَّةَ لما أَسْلَمُوا : زُولُوا(٣)

زَالوا، فما زالَ أَنْـكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعَازِيلُ(٤)

لا يَقَـعُ الطَّعْنُ إلّا فى نُحُورهم ... وما لهم عن حِيَاضِ الموت تَهْلِيلُ(٥) ٢٦

---

(١) رواية السيرة ٨٩١/٢ : يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل . معناه : أرى وأسمع مالو يراه الفيل ويسمعه لظل يرعد . قال السكرى (شرح د كعب بن زهير ٢٠) : ولما كان الفيل عنده ضخما توهم أنه أشد الأشياء .

(٢) رواية السيرة ٨٩١/٢ :

لظل ترعد من وجد بوادره ... ان لم يكن من رسول الله تنويل

أرعد فلان على المجهول أخذته الرعدة . قال السكرى : التنويل من النائل وهو العطاء . يقال نلته وأنلته . والتنويل ها هنا الأمان والعفو (د كعب بن زهير ٢٠) .

(٣) السيرة ٨٩٢/٢ ودكعب ٢٣ وابو زيد : جمهرة أشعار العرب ١٥١ : فى عصبة من قريش. زولوا أى انتقلوا من مكة الى المدينة ، ويعنى بذلك الهجرة .

(٤) أنكاس جمع نكس وهو الضعيف . وكشف جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب . قال السكرى (د كعب بن زهير ٢٣) : الكسف الذين ينهزمون ولا يثبتون . وميل جمع أميل وهو الذى لا يثبت على السرج . ومعازيل جمع معزال وهو الذى لا سلاح معه أو الضعيف .

(٥) السيرة ٨٩٢/٢ : ليس بهم . طبقات ابن سلام / شاكر ٨٥ : وما بهم ٠ م وجمهرة أشعار العرب ١٥١ : وما لهم . ىوعود كعب بن زهير ٢٥ : ما ان لهم . تهليل تكذيب . قال السكرى : هلل الرجل اذا جبن فى حملته . ويقال هلل الرجل اذا هرب . قال الأصمعى : لايفرون ولا ينهزمون فيقع الطعن فى أدبارهم . وانما أراد أنهم يواجهون القتال (د كعب ٢٥).

قال : فنظر النبي إلى أصحابه كأنّه يُومىء إليهم أن اسمعوا . إنما عنى بذلك المهاجرين ، ومدحهم بصبرهم على الحرب ، وأنهم لا يُولّون الأدبار . وكان هذا تحريضا منه لهم على نصرته . وإنّما أعجب النبي صلّى الله عليه به من أجل ذلك . فلمّا انتهى إلى قوله :

٣٧ يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ، يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ[١]

يُعَرِّضُ بالأنصار لأنّهم وثبوا عليه حين قَدِم متنكِّرا . فأنكر النبي صلّى الله عليه والمهاجرون ما قال ، وقالوا : ما مَدَحْتَنا إذ هَجَوْتَهم . وأمره أن يمدح الانصار ، فقال فيهم :

٣٨ من سَرَّه كَرَمُ الحياة فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ من صالحِ الأنصارِ[٢]

وهي كلمة طويلة . فكساه النبي صلّى الله عليه بردة . واشتراها منه بعد ذلك معاوية . وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد إلى اليوم .

قال محمّد بن سلام :[٣] حدّثني عمر بن مُعاذ التَّيْمي[٤] وغيره ، قال :

---

(١) الزهر البيض . ويروى : الجمال الجرب . السكرى : الجرب المطلية بالقطران . فأراد أن عليهم الدروع فهم يشبهون الجرب . يعصمهم يمنعهم . عرد فر . ويقال عرد نكل وجبن . التنابيل جمع تنبال بكسر أوله وهو القصير . (د كعب بن زهير ٢٤) .

(٢) رواية الشعر والشعراء ٦٩ : شرف الحياة . السيرة وطبقات ابن سلام / شاكر ٨٦ وجمهرة أشعار العرب ١٤ : صالحى الأنصار . السكرى : قال أبو عمرو : المقنب ألف وأقل ولم نسمع ثلاثين وأربعين . وقال الأصمعى : هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين أكثر أو أقل .

(٣) طبقات ابن سلام/ هل ٥٤ وشاكر ١٨٥ .

(٤) نفس المرجع : التيمى المعمرى . ولم أعثر على ترجمته .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لكعب بن مالك : أترى الله نسِىَ [لك] قولك :(١)

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أن ستَغلِبُ رَبَّها ... وليُغلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ(٢) ٣٩

[دعوة النبى عبد الله بن رواحة لقيل الشعر] قال :(٣) وروى عمر ابن أبى زائدة ،(٤) قال : سمعت مُدْرِكَ(٥) بن عُمارة بن عُقْبَةَ بن أبى مُعَيط يقول : قال عبد الله بن رواحة : مررت بمسجد النّبى صلّى الله عليه وهو جالس فى نفر من أصحابه ، فأضَبَّ القوم ، [٣٧] فقالوا : يا عبد الله بن رواحة ! يا عبد الله بن رواحة ! فعلمت أن رسول الله صلّى الله عليه دعانى ، فانطلقت إليه مسرعا ، فسلّمتُ . فقال : هٰهنا . فجلَسْتُ(٦) . فقال (كأنه يتعجّب من شعرى) : كيف تقول الشعر إذا قلته ؟ قلت : أنظر فى ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين ! قال : فأنشدته . فلما قلت :

وخَبِّرونى أَثْمانَ العَباءِ متى ... كنتم بَطَارِيقَ ، أو دانَتْ لكم مُضَرُ ؟(٧)

---

(١) كما فى ع وطبقات ابن سلام . م وى : ينسى قولك . وفى الاستيعاب أورد ابن عبد البر رواية ابن سلام بالنص الآتى : قال رسول الله لكعب بن مالك : أترى الله عز وجل شكر لك قولك . وذكر رواية ابن هشام قال : قال رسول الله : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا : جاءت سخينة كى تغالب ربها ... البيت . روى ابن هشام (السيرة ٧٠٤) القصيدة كلها .

(٢) السخينة فى الأصل حساء بالدقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان وكانت قريش تأكل السخينة ، فلقبتها العرب بها .

(٣) ابن سلام فى طبقاته / هل ٥٤ — ٥٥ وشاكر ١٨٧ — ١٨٨ .

(٤) لعله عمر بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى الكوفى مولى عمرو بن عبد الله الوادعى ، عن الشعبى وقيس بن أبى حازم ، وعنه ابن مهدى وأبو عامر العقدى . توفى سنة تسع وخمسين ومئة . ووثقه النسائى وابن معين وأبو حاتم . (راجع التهذيب ٤٤٨/٧ وخلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩) .

(٥) قال ابن قتيبة (المعارف ١٦٣) : عمارة بن عقبة أسلم يوم فتح مكة ومن ولده مدرك بن عمارة الذى روى عنه خالد بن اسماعيل بن أبى خالد .

(٦) طبقات ابن سلام : فجلست بين يديه .

(٧) البطاريق جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم . وقيل من تحت يده عشرة آلاف جندى . يونانية باطريكيوس (πατρίκιος) معربة .

قال : فكأنى رأيت الكراهية (١) فى وجهه صلى الله عليه أن جعلتُ قومه « أثمان العباء » وقلت :

نُجالِدُ الناسَ عن عُرضٍ بأسْرِهمِ (٢) فينا النبىُّ وفينا تَنزِلُ السُّوَرُ
وقد علمتم بأنّا ليس غالِبَنا (٣) حىٌّ من الناس إن عزُّوا وإن كَثُرُوا
يا هاشمَ الخَيْرِ ! إنَّ اللهَ فَضَّلَكم على البَرِيَّةِ فَضْلا ما له غِيَرُ
إنِّى تفرَّسْتُ فيكَ الخيرَ أعرِفُهُ فِراسةً خالَفَتْهُمْ فى الذى نَظَرُوا
ولو سألْتَ أو استنصرتَ بعضَهُمُ فى جُلِّ أمرِكَ ما آوَوْا ولا نَصَرُوا
فثبَّتَ اللهُ ما أعطاكَ من حَسَنٍ (٤) تثبيتَ موسى ونصرا كالذى نُصِرُوا (٥)

قال : فأقبل علىَّ بوجهه ، وقال : وإيّاك فثبَّتَ اللهُ !

وكان عبد الله بن رواحة هذا من عظماء الصحابة . قد كان رسول الله صلّى الله عليه أمَّرَ زيد بن حارثة على جيش خَرَجَ إلى مُؤْتَة ، فقال : إن أُصيبَ

---

(١) طبقات ابن سلام : الكراهة .

(٢) طبقات ابن سلام : عن عرض فنأسرهم . والعرض بضم العين الناحية . يقال : خرجوا يضربون الناس عن عرض أى عن شق وناحية لا يبالون من ضربوا (ل/ عرض) .

(٣) نفس المرجع / هل ٥٥ : ليس يغلبنا .

(٤) نفس المرجع والسيرة ٧٩٢/٢ : ما أتاك .

(٥) قال ابن هشام (السيرة ٧٩٢/٢) : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا
انى تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا

زيد فجعفر بن أبى طالب عليهم ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فاستشهدوا ثلاثتهم هناك .

هذا ما رُوِىَ عن النبىّ صلّى الله عليه فى شأن الشعر والشعراء .

[شعر الصحابة والأشراف] وكان كثير من الصحابة المتقدمين يقولون الشعر ويُنشدونه ويتمثّلون به ويستحسنونه .

وروى عمر بن أبى زائدة[١] عن أبى الصقر[٢] عن الشَّعْبِىّ[٣] ، قال : كان أبو بكر وعمر شاعرين ، وكان علىٌّ أشعر منهما . ولكن ليس يُرْوَى لهما شعر يُعْتَمَدُ عليه ، لأنهم لم يكونوا يقولون إلاّ الأبيات فى أمور تعرض .

والذى عرفه الرواة ورووا لعمر بن الخطّاب [٣٨] قوله :

متى ألقَ زِنْبَاعَ بن رَوْح ببَلْدَةٍ إلى النصف منها يَقْرعِ السِّنَّ من نَدَمْ ٤١

ويروى لعلىٍّ عليه السلام شىء هو منحول . والذى يجوز أن يُنْسَب إليه مثل ما رُوِىَ أنّ معاوية قد كان كتب إليه كتابا يُظَلِّمُهُ[٤] فيه ؛ فأجابه عنه وكتب فى الجواب بأبيات شعر :

تَنَامُ ، ولم تَنَمْ عنك المنايا تَنَبَّهْ للمَنِيَّةِ ، يا نَؤُومُ !
تَرُومُ الخُلْدَ فى دار المنايا فكم قد رَامَ قبلك ما تَرُومُ !

---

(١) موح : أبى رائد . ى وع : أبى زائدة . وقد ذكرناه فيما سلف ص ١٠٧ هامش ٤ .

(٢) ى : أبى الصفر . ع : أبى الشفر . ولم نعثر على ترجمته .

(٣) الشعبى أبو عمرو عامر بن شراحيل الهمدانى (من شعب بن معدى كرب بن جشم ابن حاشد بطن من همدان بمغرب شعب ويقال عذر شعب) ثم الكوفى ، أحد أركان العلم الأربعة فى الاسلام ومن كبار التابعين وفقهائهم . أدرك خمس مئة من الصحابة ، وذهب سفيرا عن عبدالملك بن مروان الى ملك الروم . توفى سنة تسع ومئة . (أبو محمد الهمدانى : الاكليل ١٠/٩٠ هامش ٤ والمعارف ٢٢٩ وابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب ٢/٢١) .

(٤) ظلمه بتشديد اللام فلان أى نسبه الى الظلم .

إلى الدَّيَّان يَوْمَ الدِّين تُقْضى وعند الله (١) يجتمع الخُصُومُ
ستَعْلَمَ فى المَـاد إذا الْتَقَيْنَا غدا عند الحساب مَنِ الظَّـلُومُ ٤٢

وكان العبّاس بن عبد المطّلب شاعرا ، ورُوِيَ له فى مدح النبى صلى الله عليه : (٢)

من قَبلها طِبْتَ فى الظِّلال ، وفى مُسْتَودَع حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ (٣)
ثم هَبَطْتَ البِـلَادَ لا بَشَرٌ أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ (٤)
بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ (٥) وقد أَلْجَمَ نَسْرا وأهْـلَه الغَرَقُ (٦)

---

(١) ى . يوم الدين .

(٢) قال القاضى فى الشفاء ٢/٢٠٢ — ٢٠٣ : وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : « لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه الى الأرض ، وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة ، وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ، ولم يزل ينقلنى فى الأصلاب الكريمة الى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط » . والى هذا أشار العباس رضى الله عنه ابن عبد المطلب بقوله : من قبلها طبت ... الخ . وقال الخفاجى فى شرح الشفاء ٢٠٣ : وهذا الشعر رواه الطبرانى وصاحب الغيلانيات . وفى الفائق / قضض قال : النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له العباس بن عبد المطلب : يارسول الله ! انى أريد أن أمتدحك . قال : قل ، لايفضض الله فاك ! فقال العباس رضى الله تعالى عنه . من قبلها ... الخ . وكان ذلك لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك .

(٣) ى وع : من قبلنا كنت . والضمير فى قبلها يعود على غير مذكور وهو الولادة والنشأة. وقيل : قبل النبوة . والظلال ظلال الجنة فى صلب آدم قبل أن هبط . قال ابن قتيبة: المستودع هو المحل الذى كان فيه آدم من الجنة كأنه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للأرض أو أراد به الرحم . وكان أبو عبيدة يقول فى قوله تعالى « مستقر ومستودع » : المستقر الصلب والمستودع الرحم . وخصف الورق الصاق بعضه ببعض . وهو مستفاد من قوله تعالى « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » . (ملخصا مما جاء فى شرحى الخفاجى وعلى القارى على الشفاء ٢/٢٠٣) .

(٤) هبطت البلاد أى من الجنة الى الدنيا فى صلب آدم . قال : لابشر ، وهى جملة حالية أى فى حال كونك غير جسد كأجساد البشر .

(٥) قال الملا على القارى فى شرح البيت : أى بل نزلت وأنت فى صلبه نطفة ، ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة . والسفين جمع سفينة أريد به واحد — سفينة نوح — تجوزا .

(٦) النسخ كلها : ألحم . والصواب ألجم كما فى الأمالى للزجاجى ٤٤ والفائق / فضض ول / نسر . ويقال ألجم ولجم بتشديد الجيم الماء فلانا أى وصل فاه بمعنى أدرك نسرا. وفى قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى : « ولا يغوث ويعوق ونسرا » . الجوهرى (ص/ نسر) : نسر صنم كان لذى الكلاع بأرض حمير ، وكان يغوث لمذحج ، ويعوق لهمدان من أصنام قوم نوح عليه السلام . ابن الكندى (الأصنام ١١) : واتخذت حمير نسرا فعبدوه بأرض يقال لها بلخع .

تنقَّـلُ من صَـالَب إلى رَحِمٍ إذا مَضَى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ (١)

حتى احْتَوَى بَيْتُـك المُهَيْمِنُ من خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تحتها النُّطُقُ (٢) ٤٣

قال محمّد بن سلّام : (٣) أبو طالب بن عبد المطلب شاعر مُجيد جيّد الـكلام ؛ وأبدعُ (٤) ما قال التى مدح بها النبى صلّى الله عليه :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهـه ثِمَالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأَرامِلِ (٥) ٤٤

قال : وقد زِيدَ فيها فطوِّلَتْ ، ولا أدرى أين مُنْتَهَاها . وسألنى الأصمعى عنها ، فقلت : هى صحيحة . فقال : أتدرى أين منتهاها ؟ فقلت : لا .

قال : وأجمع الناس أن الزبير بن عبد المطلب شاعر ، والحاصل من شعره قليل .

---

(١) أراد بالصالب الصلب وهو قليل الاستعمال . ويقال لفقار الظهر صالب وصلب وصلب بفتحتين وبضمتين وبضم فسكون . والمراد بالعالم قرن من القرون . وطبق بمعنى قرن أيضا .

(٢) اطلب البيت فى باب المهيمن . احتوى حاز . والبيت بمعنى الشرف والنسب . والمهيمن الشاهد على فضلك . وخندف كزبرج اسم امرأة الياس بن مضر ، وهى ليلى القضاعية أم عرب الحجاز . والعلياء العز والشرف . وتحتها روى دونها . والنطق بضمتين جمع نطاق وهو مايشد فى الوسط استعارته العرب لجبال عالية . معناه حتى احتوى بيتك أى شرفك الشاهد على فضلك علياء الشرف من نسب ذوى خندف أى ذروة الشرف من نسبهم التى تحتها النطق وهى أوساط الجبال جعل خندف نطقا له . وقيل : أراد بالبيت نفسه فى حد ذاته لأن البيت اذا حل فقد حل صاحبه . وروى فى هذا الشعر زيادة ذكرها الزجاجى فى الأمالى ٤٤ والزمخشرى فى الفائق / فضض والقاضى فى الشفاء ٢٠٥/٢ :

وأنت لمـا ولدت أشرقت الأر ض وضـاءت بنورك الأفق
ونحن فى ذلك الضياء وفى سبـ ل الهـدى والرشاد نخترق

(راجع أيضا شرحى الخفاجى والملا على القارى على الشفاء ول/ همن) .

(٣) طبقات ابن سلام/ هل ٦٠ وشاكر ٢٠٤ .

(٤) نفس المرجع وع : أبرع .

(٥) طبقات ابن سلام : ربيع اليتامى . والثمال الغياث الذى يقوم بأمر قومه . ثمل بفتح العين الرجل يثمل بضم العين وكسرها ثملا وثمولا أقام ومكث ، وقومه أغاثهم وأطعمهم وسقاهم .

والذى يُرْوَى عنه ممّا صحّ قوله : (١)

ولولا الحُبْشُ (٢) لم يَلْبَسْ رِجَالٌ ثِيـابَ اعِـزَّةٍ حتى يَمُوتوا ٤٥

وقال : يرويه قومٌ : « ولولا الحُمْس » ، (٣) وهو خطأ . إنّما هو الحُبْش حين جاءوا يريدون هَدْمَ البيت ، فرَمَاهم الله ، فأخذوا [٣٩] متاعَهم وثيابَهم .
قال : وللزبير :

إذا كنْتَ فى حاجـةٍ مُرْسِـلا فأرْسِلْ حكيما (٤) ولا توصِـهِ
وإنْ نَابَ أمرٌ عليك الْتَوَى (٥) فشاوِرْ لبيبا ولا تَعْصِـهِ ٤٦

[أثر الشعر فى النفوس] فهؤلاء الصحابة والأشراف يقولون الشعر ويمدحون به النبى صلّى الله عليه . وقد رُوِى لكثير من التابعين المفضّلين والخلفاء والأمراء والنبلاء شعرٌ قالوه . وقد اتخذوا الشعراء ، ورغبوا فى المديح ، وأعطوا عليه ، وعاقبوا على الهجاء وقاتلوا (٦) عليه ، علما منهم بأن المدح والهجاء يعمل فى النفوس ، ويخلد على الدهر ، ويصير الهجاء سُبَّةً على الخَلَف والمدح منقبة ، ويعمل فى العظام البالية .

---

(١) نفسه : فمما صح عنه قوله .

(٢) كما فى ى،ع وطبقات ابن سلام . م،ح : الجيش .

(٣) نفس المرجع : وقال قوم . قال ابن قتيبة (المعارف ٥٧) : قال أبو محمد : الحمس كنانة وقريش . وكان الزبير من رجالات قريش فى الجاهلية وكان يقول الشعر وهو القائل : ولولا الحمس البيت .

(٤) طبقات ابن سلام : حليما .

(٥) نفس المرجع وى : وان باب أمر عليك التوى. نابه أمر ينوبه نوبة أصابه. وهذه الرواية تما ورد فى م،ح،ع صحيحة أيضا معنى : وان أصابك أمر التوى عليك الخ ، فتكون جملة التوى عليك صفة لأمر .

(٦) كما فى ع . م،ى : وقتلوا عليه .

وقد كان ابن مفرّغ [١] هجا زِياد بن أبيه ، فعاقبه عليه ، ونكّل به ، وحمله على حمار ، وسقاه التُّرْبُد [٢] فى النبيذ ، وقَرَنَه بخنزير وطوّف به ، والناس يتبعونه وهو يسيل بطنه ، [٣] يريد أن يفضحه بذلك ، فأنشأ ابن مفرغ يقول : [٤]

يغسل الماء ما صنَعْتَ وقولى [٥] راسِخٌ منك فى العِظام البَوَالى ٤٧

وقد استقصينا فى باب الشعر والشعراء ولم يكن القصد إليه بكتابنا هذا ، ولكن لما تقدم به القول من مرادنا لإيراد [٦] فضيلة الشعر ، وما فيه من النفع

---

(١) وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ كمحدث جده راهن على أن يشرب عسا من لبن ففرغه شربا (ق/فرغ) . وأما أشعار يزيد بن مفرغ الحميرى وهجاؤه عبيد الله وعبادا ابنى زياد بالدعوة — دعوة زياد لأبى سفيان — فكثيرة مشهورة . وكان عبيد الله يقول : ماشجيت بشىء أشد على من قول ابن مفرغ :

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر هل نلت مكرمة الا بتأميرى
عاشت سمية ماعاشت وما علمت ان ابنها من قريش فى الجماهير

وكانت سمية أم زياد ابن أبيه جارية فارسية أو بيزنطية الأصل أهديت الى سيدها الحارث بن كلدة . وكان لها أربعة أولاد : أبو بكرة نفيع ، ونافع ، وزياد ، وأزدة . وأزدة هذه تزوجها عتبة بن غزوان مؤسس البصرة . وان الاخوة تبعوا أختهم الى البصرة ، ورقى زياد أعلى المناصب ، واعترف به الخليفة معاوية بن أبى سفيان أخا له من أبيه . ويرى فك (العربية ٢٣ — ٢٤) أن معاوية لم يكن ليقدم على ذلك لو لم يكن أبوة أبى سفيان له — على الاقل — أمرا ظاهرا . وصحب ابن مفرغ سنة ٥٦ عباد بن زياد الى سجستان ، واشتغل عباد بحروبه وأهمله . فشرع ابن مفرغ يبسط لسانه فى هجوه ويذكر جميل سعيد بن عثمان بن عفان أمير خراسان ، وكانت البصرة والديار كلها تتغنى بهجائه . وبعد عناء طويل استطاع عبيد الله أن يضع عليه يده وعذبه مشدودا الى خنزيرفى قرن ليسير فى طرق البصرة ، والناس يتبعونه وهو يسيل بطنه ، وهم يسألونه بالفارسية : أين جيست ؟ فأجابهم بالفارسية أيضا :

آبست ونبيذ است * عصاره زبيب است * سمية روسبيد است

(راجع الشعر والشعراء ٢١٠ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٧٠/٤ وما بعدها والأغانى ١٥/١٧ والخزانة / الخطيب ٢٤٤/٤) .

(٢) تربد نبت فارسى يكون بجبال خراسان وما يليها ، يقوم على ساق ، ورقه دقيق ، وزهره آسمانجونى (أصله آسمان كونى أى على لون السماء) ، يخلف ثمرا كألسنة العصافير ، ويدرك بتموز . وله خواص كثيرة ذكرها داود فى تذكرته والملك المظفر فى المعتمد .

(٣) فى الأصول : وهو يسيل ذو بطنة .

(٤) كما فى ع. موحوى : فأنشأ ابن مفرغ وهو يقول .

(٥) الأغانى ١٥/١٧ : ما فعلت .

(٦) ع . الابراز .

البيّن والفضل الظاهر ، وإذ كان مدار اللغة العربيّة عليه والمَفزَع فيها إليه . ومن أجل ذلك كانت الشعراء بمنزلة الأنبياء فى الجاهليّة .

[الشعر والشعراء عند ظهور الإسلام] فلما بعث الله محمدا صلّى الله عليه ، وأنزل عليه القرآن ، وشرع الشرائع والأحكام ، ودعا إلى دين الإسلام ، وظهرت كلمته ، وغلب الحق ، وأُخرِجَت الأمم إلى قبوله والانقياد له والدخول فى دين الإسلام ، زالت الضرورة عن العرب إلى الشعر ، وسقطت فضيلة الشعراء ، ونزلوا عن رتبتهم . [٤٠] وإنما استعان النبىّ صلّى الله عليه على العرب بالشعراء ، لأن العرب من أهل الجاهليّة ، الذين طبِعوا على الأمر الأول ، ولم يعرفوا كتابا يفزعون إليه ، ولا حَكَما يقتدون به ، أجلّ عندهم من الشعر والشعراء ، فزعوا إليهم عند ظهوره صلى الله عليه ، وعَاَذَبهم (١) مَرَدَتُهم وشياطينهم ؛ فحملوا الشعراء على هجائه ، وذمِّ ماجاء به من الإسلام وتَرْك عبادة الأوثان ؛ وشبّهوا كلام الله مرة بالشعر ، ومرة بالسحر ، ومرة بسَجْع الكُهّان ؛ واستمالوا قلوب العرب إلى ما طُبِعوا عليه ، وإلى ما كانوا يتعارفون بينهم ويتراضون (٢) بحُكْمه من دواوين الشعر . ونبَت القلوب عما لم يكونوا يعهدونه من شأن القرآن وأحكام الإسلام وأمر النبوّة . فقابل رسول الله صلى الله عليه شعراءهم بالشعراء من المؤمنين ، يقولون مثل قولهم ، ويحذون حذوهم ، فردّوا عليهم ، وبيّنوا فضل رسول الله صلى الله عليه ، وفصَلوا بين القرآن الذى أتى به وبين شعر الشعراء وسجع الكهّان وقول السَّحَرَة ، وأظهروا فى شعرهم أمر النبوّة ، ليُفطِّنوا العرب لذلك ، وليُميِّزوا الشعر من القرآن ، وليُعْلِموا أن النبى صلى الله عليه

---

(١) ع : وعانده .

(٢) ى : ماكانوا يتعارفون به ويتواصون . ع : ماكانوا يتعارفونه بينهم ويتراضون .

ليس بشاعر ، ولا يقول الشعر ، ولا يُجيب الشعراء عن نفسه ، بل يجيب عنه شعراء مثلهم ، وينوبون عن أمره .

وقد قال حسان بن ثابت رحمه الله :

هَجَوْتَ محمَّدًا فأجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ الله فى ذَاكَ الجزاء
فإن أبى ووَالِدَه وعِرْضى ... لِعِرض مُحمَّدٍ منكمْ وِقاء [1] ٤٨

وقد كان عمرو بن العاص هجاه قبل دخوله فى الإسلام ، فقال صلى الله عليه : اللّهم إن عمرو بن العاص قد هَجَانى وهو يعلم أنى لست بشاعر . اللّهمّ فاهْجُه والْعَنْه عَدَدَ ماهجانى . [2] فكان ردُّ الشعراء عنه نصرة له ومعونة منهم .

فلما اتصل من الدين النظام ، واستنار مَنار الإسلام ، وظهرت كلمة النبى صلى الله عليه ، [٤١] وأجابته العرب ، وخمد الباطل ، ونُسِخَتْ الشعراء ، وبطل الاقتداء بهم واستُغْنِى عنهم ، صاروا أتباعا بعد أن كانوا متبوعين ، وسألوا بالشعر ، وتملقوا الملوك والخلفاء ، وتضرعوا إلى أهل الثروة والأمراء ، ونزلوا عن رتبتهم ، واستهان بهم الناس ، وقَلُّوا فى أعينهم ، فجرَوْا على ذلك فى صدر الإسلام وبعد ذلك بُرْهَة من الدهر .

نَشَأ فيهم شعراء مطبوعون لهم قرائح الأولين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، واعتادو المسألة وجعلوها صناعة . [3] فلما طال ذلك عليهم ملّهم الناس ، ونَزَرَت العطايا ، ، وماتت الخواطر ، وغارت القرائح ، وسقطت الهمم ، وصار الشعر ضعيفا هزلا بعد أن كان حكما فصلا ، فبقى النفع بالديوان الأوّل

---

(١) د حسان ١-٢ . قال الأبيات يوم فتح مكة . وراجع مس فضائل الصحابة ١٥٧ .

(٢) اطلب باب النفاق . وفى الفائق / هجو بعد الحديث : أو قال: مكان ماهجانى . وفسره فى النهاية / هجا وقال : أى جازه على الهجاء جزاء الهجاء ، وهذا كقوله من يرائى الله به أى يجازيه على مراآته . وابن قتيبة فى مشكل القرآن ٢١٥ : اللهم ان فلانا هجانى... الحديث .

(٣) كما فى ىوع ٠م : بضاعة .

من الاحتجاج به على الكلام المُختَلَف فى معناه ، والقول المتَنازَع فى تأويله .

[حاجة المسلمين إلى معرفة لغة العرب] ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه والصحابة والتابعين والأئمة الماضين ، لبطل الشعر ، وانقرض ذكر الشعراء ، ولعفّى الدهر على آثارهم ، ونسى الناس أيامهم . ولكن الحاجة بالمسلمين ماسّة إلى تعلّم اللغة العربيّة ، ومعانى الألفاظ الغريبة فى القرآن والحديث ، والأحكام والسنن ، إذ كان الإسلام قد ظهر — بحمد الله — فى جميع أقطار الأرض ، وأكثر أهل الإسلام من الأمم هم عجم . (١) وقد دعتهم الضرورة إلى تعلّم لغة العرب إذ كانت الأحكام والسنن مُبيَّنة بلسان العرب .

قال أبو عبيدة . إنما أُنزِل القرآن بلسان عربىّ مبين . وتصديق (٢) ذلك فى آية من القرآن : بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ ، (٣) وفى آية أخرى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . (٤) قال : ولم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وَحْيَهُ إلى أن يسألوا النبىّ صلّى الله عليه عن معانيه ، لأنّهم كانوا عرب الألسُن ، فاستغنوا بعلمهم عن معانيه وعمّا فيه [٤٢] ممافى كلام العرب مثله من الوجوه والتخليص .

قال الزُّهرِى : (٥) إنما أخطأ الناس كثير من تأويل القرآن لجهلهم بلغة

---

(١) ع من الأمم الأعجمين .

(٢) المجاز ١/٨ : وتصداق .

(٣) الشعراء ٢٦/١٩٥ .

(٤) ابراهيم ١٤/٤ .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشى الزهرى ،أبوبكر الحافظ المدنى ، امام أهل الحجاز والشام .وكان أبو جده عبدالله ابن شهاب شهد مع المشركين بدرا . وكان أبوه مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير . روى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب والحسن وعبدالله ابنى محمد بن الحنفية وسعيد بن المسيب وخلق كثير ، وعنه عطاء بن أبى رباح وصالح بن كيسان وأيوب السختيانى ومعمر والأوزاعى وابن جريج وآخرون . وروى البخارى عن ابن المدينى : له نحو ألفى حديث . قال الزهرى : ماستودعت قلبى شيئا فنسيته . وقال أيوب : مارأيت أعلم من الزهرى . مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومئة ، ودفن على قارعة الطريق ليمر مار فيدعو له ، والموضع الذى دفن به آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين . (راجع المعارف ٢٣٩ والتهذيب ٩/٤٤٥ — ٤٥١ رقم ٧٣٢)

العرب . قال أبو عبيد : سمعت الأصمعى يقول : سمعت الخليل بن أحمد يقول : سمعت أيوب السَّخْتِيَانى (١) يقول : عامّة من تَزَنْدَقَ بالعراق لقلّة علمهم بالعربيّة .

[تعلم اللغة والشعر الأول] وقد حثَّ النبى صلّى الله عليه أصحابه على تعلّم (٢) اللغة والإعراب . روى أبو عبيد بإسناد له عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه : أَعْرِبُوا القرآن . (٣)

وعن ابن مسعود قال : أعربوا القرآن فإنه عربىٌّ . وقال عمر بن الخطاب : تعلّموا إعراب القرآن كما تتعلّمون حفظه . وفى حديث آخر : قال عمر : تعلموا اللحن والفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن .

وعن يحيى بن عتيق (٤) قال : سألت الحسن (٥) فقلت : الرجل يتعلم

---

(١) م وح وى وع : أيوب السجستانى . والصواب السختيانى بفتح المهملة وسكون المعجمة نسبة الى عمل السختيان وبيعه هو جلود الضأن وهو كلمة فارسية . وأيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى أبو بكر البصرى مولى مولى عنزة . وقد رأى أنس بن مالك ، وروى عن عمرو بن سلمة الجرمى وأبى قلابة وعطاء وعكرمة وأبى رجاء العطاردى وغيرهم . وعنه الأعمش من أقرانه وقتادة وهو من شيوخه والحمادان والسفيانان وشعبة وخلق كثير . وكان ثقة ثبتا فى الحديث جامعا كثير العلم حجة عدلا . وثقه ابن معين وأبو حاتم وابن سعد والنسائى . قال ابن قتيبة : مات بالبصرة سنة ١٣١ . (راجع المعارف ٢٣٨ — ٢٣٩ وطبقات ابن سعد ٧ (٢)/١٤ والتهذيب ٣٩٧/١ — ٣٩٩ رقم ٧٣٣) .

(٢) ى . على تعليم .

(٣) بقية الحديث : والتمسوا غرائبه . رواه ابن أبى شيبة والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة .

(٤) يحيى بن عتيق الطفاوى (بضم المهملة) البصرى . روى عن مجاهد ومحمد بن سيرين والحسن . وعنه الحمادان وعبد العزيز بن المختار وغيرهم . وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وابن سعد والنسائى . (راجع طبقات ابن سعد ٧ (٢) ١٩ والتهذيب ٢٥٥/١١ رقم ٤١١) .

(٥) الحسن البصرى الامام ، هو الحسن بن ابى الحسن ، واسم أبيه يسار مولى الأنصار واسم أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبى . روى عنه أبو عمرو بن العلاء . وتوفى سنة عشر ومئة . (القراء رقم ١٠٧٤) .

العربية يلتمس بها المنطق ويقيم بها قراءته . فقال الحسن : فتعلَّمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فيَعْيَا بوجهها فيهلك فيها .

فلمّا كان كذلك راضَ الناسُ أنفُسَهم بتعلُّم العربية . ولم يجدوا إلى ذلك سبيلا أوضَحَ من الشعر ، فحفظوا دواوين الشعراء وأحكموها . وبقى الشعر الأول الصحيح المعانى مستعملا محفوظا ، وشهرت تلك الدواوين شُهْرَةً لا تُجْهَلُ ، وظهرت ظهورا لا يخفى ، حتّى لو أن رجلا أنشد القصيدة :

قِفا نبكِ من ذِكرَى حَبيب ومَنزِلِ ٤٩

لعُلِمَ أنه قول امرئ القيس بن حجر ، ولو أنشد :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلياء والسَّنَدِ ٥٠

لعُلِمَ أنَّه للنابغة ، ولو أنشد :

أَمِنْ أمِّ أوفَى دِمنةٌ لم تَكَلَّمِ ٥١

لَعُلِمَ أنه لزهير . فعلى هذا أكثر شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، أو من كان فى صدر الإسلام من الفحول ممن يُحتَجّ بشعره ، ودواوينهم بَيِّنَة مشهورة متداولة ، لا يختلف فيها أهل الأدب والمعرفة بها .

[الاحتجاج بالشعر المنحول] وقد كان فيما مضى يختلف الرواة فيه ، ويزيدون وينقصون ، وينحلون الشاعر غير شعره ، لقدرتهم على اللغة وتمكنهم من كلام العرب ، ومعرفتهم بمذاهب الشعراء ، ولقرب ذلك الزمان من أيامهم ، وموافقة طباع بعضهم لبعض . [٤٣]

فقد رُوِى أن بلال بن أبى بردة (١) استنشد حمادا

---

(١) بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى الأشعرى أمير البصرة وقاضيها ، ولاه خالد القسرى سنة ١٠٩ ، فأقام الى قدوم يوسف بن عمر الثقفى سنة١٢٥ ، فعزله وحبسه ، فمات سجينا . قال الحافظ (التهذيب ٥٠٠/١ رقم ٩٢٧) : كان ثقة فى الحديث ، ولم تحمد سيرته فى القضاء .

الراوية(١) . فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مدح جده أبي موسى الأشعري ، فلما انتهى إلى قوله :

وجحفلٍ كبهيم (٢) الليل منتجعٍ … أرضَ العدوِّ ببؤسى بعد إنعامِ (٣)

جمّعت من عامرٍ فيه ومن أسدٍ … ومن تميم ومن حاءٍ (٤) ومن حامِ

فما رضيتَ بهم حتى رفدتهم (٥) … من وائلٍ رهطِ بسطامٍ بأصرامِ (٦)

مستحقبات رواياها جحافلها … يحذو (٧) بها أشعريٌّ طرفه سامِ

قال له بلال : من قائلها ؟ قال : الحطيئة . (٨) قال : ويحك ! يمدح الحطيئة

---

(١) حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي مولى بني بكر بن وائل الكوفي المعروف بالراوية . قال ياقوت (الادباء ١٣٧/٤ — ١٤٠) : قال المدائني : كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس أن حمادا هو الذي جمع السبع الطوال . وقال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس اذا نصح ، يعني اذا لم يزد وينقص في الاشعار والاخبار ، فانه كان متهما بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب . وقال المفضل الضبي : رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد . وأين ذلك ؟ وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم . وتوفي سنة ١٥٥ . اهـ . ولا يعرف لحماد شيء في النحو .

(٢) الأغاني ٢٧/١١ : كسواد .

(٣) د الحطيئة برواية السكري ٣٥ والأغاني ٢٧/١١ : ببؤس . وقال أبو الحسن السكري : يريد أنه يغزوهم ليبدل نعمتهم ببؤسى .

(٤) كما في د الحطيئة ٣٥ والأغاني ٢٧/١١ وحاشية ى وع . م وح وى : جل . وفي شرح السكري : حاء من مذحج ، وحام من ناهس بن عفر بن خلف بن أنمار وهم خثعم .

(٥) الأغاني ٢٧/١١ : ردفتهم .

(٦) قال السكري (د الحطيئة ٣٦) : وبسطام بن قيس بن خالد سمي بسطاما ، لأن أباه كان محبوسا عند كسرى . فنظر الى غلام يوقد تحت شيء ويحركه بحديدة . فبشر به وقيل : ولد لك غلام . وقال : أي شيء يسمون هذا ؟ قيل : اسطام . قال : سموه بسطاما . وفي ل/ سطم قال . الاسطام الحديدة التي تحرك بها النار وتسعر . قال الأزهري : أعجمية أم أعجمية عربت . والأصرام البيوت المجتمعة يقال للقطعة منها صرم .

(٧) د الحطيئة ٣٦ والأغاني ٢٧/١١ : يسمو .

(٨) كما في س و ع . تنقص الجملة في م .

أبا موسى بشعر لا أعرفه وأنا راوى (١) شعر الحطيئة ؟ ولـكن دَعْها ، تذهب فى الناس .

فهذا الشعر ومثله وإن كان مَنْحُولا فقد نُسِبَ إليه ، ودُوِّنَ له ، ورُوِىَ فى شعره إذ كان لذلك الطراز مُشاكِلا ولشعره مُضاهِيا ، والاحتجاج به جائز . وحمّادٌ وإن كان حَضَرِىَّ النشءِ مُتَّهمًا فى الرواية فهو من المعرفة بلغة العرب بموضع يجوز الاحتجاج بقوله ، لو كان كلاما منثورا ، فـكيف بشعر مُدَوَّن قد رَوَاه الرواة ، وسُئلوا عنه (٢) ونَسَبُوه إلى الحطيئة ؛ ومَثَلُ هذا من الشعر مَثَل المُلْصَق من الولد ، وما سبيله إلا كما قيل « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

وكلُّ شعر منحُول إلى الشعراء الفحُولة مِمَّا رَوَاه القدَماء ، واشتهر فى دهرنا هذا ، فإن الاحتجاج به والاقتداء بما رَسَمَه الماضون من العلماء باللغة جائزٌ . ولا يقدر على الزيادة والنقصان فيه أحد . بل الاحتجاج بكثير من قول المخضرمين بل المُحْدَثِين الذين لم يلحقوا شأو أولئك وتأخروا عن دهرهم هو غيرُ مُنْكر ولا مدفوع عند أهل المعرفة ، لأنهم قد رَوَوا الشعر الأول وحفظوا الغريب من الـكلام ، والذى قالوه (٣) من الشعر فعلى بصيرة منهم بمذاهب العرب ، وجازَ لنا الاقتداء بهم والرجوع إلى قولهم فى هذه المعانى . وإنما أنـكرَ هذا أولئك الرجال ، (٤) الذين لَعِبُوا بهذا الشأن لَعِبا حِذْقابه [٤٤] وتَمَكُّنا منه ، مثل أبى عمرو ابن العلاء والخليل بن أحمد والأصمعىّ وأبى عبيدة وغيرهم وأصحاب النحو من أهل الـكوفة والبصرة المذكورين ، الذين كانوا ينتقدون الألفاظ على الشعراء ، ويَتَتَبَّعُون سَقَطاتِهم ، ولم يَخْفَ عليهم من ذلك إلا النُّبَذ اليسيرة . وكانو أئمة

---

(١) ى وع : وأنا أروى .

(٢) ى و ع : وقبلوا عنه .

(٣) كما فى ع . م وى : والذى قالوا .

(٤) الرجال ناقص فى ع . وفى ى : الجبال .

للشعراء المُحدَثين فى اللغة والغريب ، يأخذون عليهم الخطأ من قولهم ، ويكشفون عن عِواره ويُفطِّنون الشاعر[١] البدوىّ لما لا يَفطُن له ، كما فُطِّن النابغة حين أقوى فى قوله :

زَعَمَ البوارِحُ أنّ رِحلَتَنا غـدا   وبذاكَ خبّرنا الغُرابُ الأسوَدُ[٢] ٥٣

لأن القوافى كانت مجرورة . فلمّا فَطَنَ لذلك[٣] رجع عنه فقال :

وبذاكَ تنعابُ الغُرابِ الأسودِ

إنما كانوا يتركون الاحتجاج بقول المُحدَثين ومن خالَطَ الحضَريّين ، لأنهم خرجوا عن طبع البدويّين الخُلص الذين طُبِعوا على اللغة الصحيحة ، وتَكلَّفوا القول ، وكَثُر الهفو فى كلامهم والخطأ فى قولهم ، وذهب عليهم الغامِض من المعنى ، كما أخذَ الأصمعىّ على الناس قولهم :[٤] « شتّانَ ما بينهما » ، فقال : هو لحن ؛ إنما هو « شتّان ما هما » ، واحتجّ بقول الأعشى :

شَـتّان ما يَومى على كُورِها   ويَوْمُ حيّان أخى جابِرِ[٥] ٥٤

فقيل له : فقول القائل[٦] :

لَشتّان ما بين اليزيدَيْنِ فى النّدى   يزيد بن عَمرو[٧] والأغرِّ بنِ حاتِم

---

(١) كما فى ى وع . م : ويفطنون للشاعر .

(٢) د النابغة / العقد ٩ : زعم الغداف بأن رحلتنا غدا ... البيت . البوارح جمع بارح . برح الظبى بروحا اذا ولاك مياسره يمر من ميامنك الى مياسرك . والعرب تتطير بالبارح وتتفاءل بالسانح . وفى المثل : من لى بالسانح بعد البارح . (صح / برح وسنح) .

(٣) كما فى ع.م : الى ذلك .

(٤) ع : فى قولهم .

(٥) الصبح المنير ١٠٨ .

(٦) القائل هو ربيعة الرقى كما جاء فى ل / شتت يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ويهجو يزيد بن أسيد السلمى .

(٧) ل / شتت : يزيد سليم .

فَهمُّ الفتى البَكْرِيِّ إنفاقُ مَالِهِ   وهَمُّ الفتى العَمْرِيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ (١) ٥٥

فقال : هذا مُوَلَّد ، لا يُحتَجُّ به .

[الأغانى القديمة بالفارسية] ونقول : إنا لم نجد لسائر الأمم شعرا كما وجدنا للعرب مَوْزونا مُقَوَّما . (٢) والذى قالته العجم فى الأغانى هو بين الشعر والكلام المنثور . وليس له وزن الشعر العربىّ ولا تقويمه . بل هو كلام قد سجعوه ومَثَّلُوه (٣) بالألحان ، وطَرَبوا فى إبرازه ، ومَدُّوا القولَ به . وليس هو على وزن الشعر وأَقْرائِه . (٤) إنما هو تطريبٌ وتشويق ، وليس فيه مَدْحٌ ولا هجاء ولا افتخار ، ولا فيه ذِكْرُ الحروب والوقائع ، وتَقْيِيد الأنساب ، ونَشْر الأحساب والمآثر والمَنَاقِب والمَثَالِب ، وصفات الخيل والإبل والوحش [٤٥] والفَيَافى والرِّياح والأمطار والنُّجَع وغير ذلك مما جاء فى الشعر ، ويطول الشرح به . والدليل على أن الشعر لم يكن فى العجم أن الشاعر لا يُوجَد له اسم فى الفارسية . وكذلك الشعر لا اسمَ له (٥) إلا بالعربية .

فقد كان الأعشى وَفَدَ على كِسْرَى ، فسأَلَ عنه . فقالوا : « سُرُودْ گوبتازى » (٦) ، يعنون مُغَنِّ بالعربيّة . فأنشده :

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ   وما بِىَ مِن سُقْمٍ وما بِى مَعْشَقُ (٧) ٥٦

---

(١) ورد البيت فى ل/ شتت هكذا :

فهم الفتى الأزدى اتلاف ماله   وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

وبعده : فلا يحسب التمتام أنى هجوته   ولكننى فضلت أهل المكارم

(٢) كما فى ح وع : موزونا مقوما . م : موزونا . ى : مقوما .

(٣) ى وع : سلوه . وهو تحريف . وقد أثبتنا قراءة م وهى « مثلوه » أى أقاموا ما فيه من عوج الوزن بالتلحين .

(٤) أقراء الشعر قوافيه ، والمفرد قرء .

(٥) كما فى ى وع . م : لايوجد له اسم .

(٦) كما فى الأصول . ويرى الميمنى أنه سرود كويتازى .

(٧) الصبح المنير ١٤٥ .

وفسَّر له قوله . فقال : إذا هو لِصٌّ ، ولم يعلم أنه قد يأرق غيرُ السقيم والعاشق واللص — وهو ملك . فأين ما يلحق الملوك من السهر لتفكّرهم فى أمر المملكة والتدبير ؟ والمهموم أشد سهرا من السقيم وغيره ، والمذعور أشد سهرا منه . ومن أجل ذلك اتخذ الملوك سُمّارا ومُحدِّثين حتى رُويت عنهم الأسمار ودُوِّنت . والسَّمَر حديث الليل عند السهر . وللسهر أسباب كثيرة غفل عنها هذا العِلج وخفيت عليه . وإنما قيل له حين سأل عن الأعشى « سُرُودْ گوبتازى » ، لأنهم لم يعرفوا للشاعر اسما ، ولا عرفوا الشعر ، ولم يكن فيهم ديوان لشعر .

وأما الذى أحدَثوه الآن من الشعر بالفارسية فهو كلام لا معنى له ولا حجة فيه ولا نَفعَ به ؛ ولا ديوان له عند العجم ، مثل ديوان الشعر عند العرب ، وكما فيه من النفع الظاهر والفضل البيِّن . وهو شىء مُحدَث غيرُ قديم . سمعوا الشعر العربىّ ، فتكلّفوه وحذَوْا على ذلك المثال .

سمعت جماعة من أهل المعرفة يذكرون أن أول من قال الشعر بالفارسية رجل من أهل نيسابور منذ زمن قريب .[1] فأما القديم من الأغانى بالفارسية

---

(١) لم نعثر على اسم أحد من أهل نيسابورر عاش قبيل القرن الرابع سوى ماهويه بن خورشيد النيسابورى الذى كان أحد الأربعة الذين عنوا بجمع أخبار الشاهنامه بأمر يعقوب ابن الليث الصفار (مات فى سنة ٢٦٥) ، ولا يروى عنه قيل الشعر . وبناء على المعلومات القليلة التى وصلت الينا نعرف أن الشاعر عباسا المروزى الذى مات فى فجر القرن الثالث الهجرى كان من هؤلاء الشعراء المتقدمين الذين نظموا الأبيات الفارسية على النهج العربى ، ولقد مدح الخليفة المأمون بقصيدة مطلعها :

أى رسانيده ز دولت فرق خود تا فرقدين
گسترانيده ز جود وفضل در عالم يدين

ومنها :

كس برين منوال پيش ازمن چنين شعرى نگفت
مر زبان پارسى كانراست با اين نوع بين

وليست مرو بعيدة عن نيسابور وهما من خراسان ، كما أفادنا الأستاذ صادق نشأت قائلا ان حنظلة البادغيسى الذى عاش فى القرن الثالث فى عهد آل طاهر ومات فى نيسابور . روى عنه العوفى (لباب الالباب ٢/٢) هذين البيتين : =

فهو كلام غير مَوْزُون ولا مُحذوٍّ على القوافى على نحو ما وصفناه . وإنما معنى قولهم لـكسرى « سرود گوبتازى » معناه مغَنٍّ [٤٦] بالعربية .(١)

[فى الفرق بين الشعر والغناء] والغِناء غير الشعر ، وهو اسم على الانفراد . وإنما يُسمَّى منه غناء ما كان فى الرقيق والتشبيب بالنساء ، ويقْصَد به ذلك المعنى فقط . والذى يشبهه من الشعر قول جرير :

إن العُيُونَ التى فى طَرْفها حَوَرٌ (٢) قَتَلْنَنَا ثُم لم يُحيين قَتلانا ٥٧

وللشعر فُنُونٌ كثيرة غير الغناء ، كما ذكرنا من المذاهب للعرب فى المدح والهجاء وغير ذلك من الصفات الـكثيرة ، وفى التحريض على السَّعْى فى أمر المَعَاد ، والتقدُّم فى فعل الخير ، واصطناع المعروف ، وتجنُّب الآثام ، وما يكون فيه هَتْك الأستار على رءوس الأشهاد إذا كُشِف الغِطَاء وظهرت الأعمال كقول لبيد :

وكلُّ امْرِئٍ يوْماً سيَعْلَمُ سَعْيَه إذا كُشِفَتْ عِندَ الإلهِ الحَاصِيلُ(٣) ٥٨

فهذا بعيد من معنى الغناء الذى فيه تحريض على التقحُّم (٤) فى الآثام ، وقلة المبالاة بارتـكاب المحارم والتهتُّك فيه ، والحضّ على الانهماك فيه ، كقول القائل :(٥)

إذا أنتَ لم تَطرَبَ ولم تَشهَدِ الخنَا (٦) فـكُـنْ حَجَرامن يابِسِ الصَّخرجَلمدَا ٥٩

فهذا وما يشبهه (٧) يجوز أن يُسمَّى غناء . وأما ما سوى ذلك فليس بغناء

يارم سپند گرچه بر آتش همى فـگند ازبهر چشم تانرسد مرورا گزند
اورا سپند وآتش نايد همى بكار باروى همچوآتش وباخال چون سپند
وأغلب الظن أن صاحب الزينة يشير الى حنظلة البادغيسى او سمع عنه .

(١) ع . مغنى بالفارسية .

(٢) ع و د جرير ٥٩٥ : فى طرفها مرض .

(٣) كما فى ح وى وع و د لبيد ٢/٢٨ . م : الحصائل .

(٤) كما فى ى وع . م : التقحيم .

(٥) هو الأحوص بن محمد الأنصارى .

(٦) فى رواية : اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... البيت .

(٧) ع . وما أشبهه .

ولايجوز أن يُسمّى باسمه . فإن الملوك والنبلاء من الناس والصالحين قد أنشدوا الشعر وقالوه . ويجوز أن يعرفوا ذلك وهو أدب لهم ورفعة لمنزلتهم إذا عرفوه . ولايجوز أن يقال إذ أنشدوا الشعر وقالوه : فلان مغنٍّ أو قد غنى . ويكون فى هذا القول تهجينٌ له أو وَضْع منه . والفرق بين الشعر والغناء بَيِّن . وقائل الشعر ومُنْشِده بعيد من صفة المُغَنِّى ، رفيع الدرجة عن خساسه المُغَنِّين وسقوط منزلتهم عند أهل الفضل وذوى الألباب . [٤٧]

[الاحتجاج بالشعر فى تفسير القرآن] وقد احتجّ العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء فى غريب القرآن والحديث بالشعر ، وقد روى ذلك عنهم . روى أبو عبيدة (١) بإسناد له عن عكرمة (٢) قال : رأيت ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق ، (٣) وهو يسأله و يطلب منه الاحتجاج باللغة . فسأله عن قول الله عز وجل : « وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » . (٤) فقال : وما جمع . ألم تسمع :

مُسْتَوْسِقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقا (٥)

---

(١) كما فى ى وع . م وح : أبو عبيد .

(٢) عكرمة البربرى أبو عبد الله المدنى مولى عبد الله بن عباس . ومات ابن عباس وعكرمة عبد ، فباعه على بن عبد الله بن عباس على خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار . فأتى عكرمة عليا ، فقال له : ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار . فاستقاله ، فأقاله وأعتقه . وكان يرى رأى الخوارج — رأى الصفرية . ومات بالمدينة هو وكثير عزة سنة خمس ومئة فى يوم واحد ، صلى عليهما فى موضع الجنائز ، وشهد الناس جنازة كثير ، وتركوا جنازة عكرمة . (طبقات ابن سعد ٢١٢/٥ والمعارف ٢٣١ والتهذيب ٢٦٣/٧ — ٢٧٣ رقم ٤٧٥) .

(٣) قل المرصفى (رغبة الآمل من كتاب الكامل ١٥٣/٧) : يروى أن نافعا قال لنجدة بن عويمر الحنفى : قم بنا الى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لاعلم له به . فلما أتياه قال نافع : يا ابن عباس انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسر لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب . فقال ابن عباس : سل عما بدا لك يانافع . فسأله أكثر من مئة وستين سؤالا ، سرد أكثرها جلال الدين السيوطى فى كتابه الاتقان وبعضها أبو زيد فى جمهرة أشعار العرب . علق عليه الميمنى : مسائل نافع مجموعة فى كتيب هو باستنبول وبالدار وليس فيه للسيوطى يد أو اصبع . وفى الفاضل (الهامش رقم ٢ ص ١٠) قال : مسائل نافع عنه توجد تامة فى استنبول ودار مصر وساقها فى الاتقان ، وكلها بطريق ابن دأب . اه . اطلب باب الازارقة فيما يلى .

(٤) الانشقاق ١٧/٨٤ .

(٥) قبله : ان لنا قلائصا حقائقا . وهو للعجاج أبى الشعشاء عبد الله بن رؤبة التميمى (د أراجيز العجاج ٨٤ والكامل ٥٦٦ والفاضل ١٠ والسمط ١٠٢/١ ول ٪ وسق) القلائص =

قال : وسأله عن قوله : « قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا » .(١) فقال : هو الجدول : فسأله عن الشاهد . فأنشده :

سَلْماً تَرَى الدَّالِجَ منه أَزْوَرَا إذا يَمُجُّ فى السَّرِيِّ هَرْهَرَا(٢) ٦١

وسأله عن قوله : « عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ » (٣) قال : هو الدعى الملصق . أما سمعت قول حسان :(٤)

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً
كما زِيدَ فى عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ(٥) ٦٢

ورُوِى عن أبى عبيدة أنه سأله عن قول الله تعالى : « وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » .(٦) فقال : الشدة بالشدة . فسأله عن الشاهد . فأنشده :

أخو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحَرْبُ عَضَّها
وإنْ شَمَّرَتْ عن سَاقِها الحَرْبُ شَمَّرَا(٧) ٦٣

= جمع قلوص وهى الفتية من الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . حقائقا ويروى نقانقا أى الظلمان شبه القلائص فى السرعة بها . واستوسقت الابل اجتمعت من الوسق ضم الشىء الى الشىء .

(١) مريم ١٩/٣٣ .

(٢) فى رواية ل / هرر : سلم ترى الدالى منه أزورا ✻ اذا يعب فى السرى هرهرا . والسلم الدلو . والدالج الذى يأخذ الدلو ويمشى بها من رأس البئر الى الحوض حتى يفرغها فيه (صح/دلج) . يمج أى يرمى به . وفى رواية : يعج . والهرهرة حكاية صوت الماء أو صوت اللبن عند الحلب .

(٣) القلم ٦٨ / ١٣.

(٤) ورد البيت فى ل/زنم قال : وأنشده ابن برى للخطيم التميمى الجاهلى ، ثم يقول وجدت حاشية صورتها « الأعرف أن هذا البيت لحسان » اهـ . وأما د حسان فلا يوجدفيه البيت .

(٥) الكراع من الأرض الحرة ما يتقدم منها ممتدا ومن كل شىء طرفه . وأكارع الناس السفلة .

(٦) القيامة ٧٥/٢٩ .

(٧) الجوهرى (صح/سوق) ؛ وقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » أى شدة ، كما يقال : قامت الحرب على ساق ، وسوق الحرب حومة القتال . ومنه قولهم : ساوقه أى فاخره أينا أشد .

وروى أبو عبيدة أيضا عن ابن عباس أنه كان يُسأل عن القرآن ، فيُنشِد الشعر . وروى بإسناد له عن عكرمة قال : سُئِل عن قول الله تعالى : « فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ » [(١)] قال : الأرض . وأنشد لأمَيَّة بن أبى الصَّلْت :

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرٍ [(٢)] ٦٤

وقال أبو عبيدة : يجوز هذا عندى [(٣)] فيما كان من الغريب [(٤)] والإعراب . فأما ما كان من الحلال والحرام ، والأمر والنهى ، والناسخ والمنسوخ ، فليس لبشر أن يتكلَّم فيه برأيه إلا ما فسَّرَتْه سُنَّة رسول الله صلى الله عليه ، وقال فيه الصحابة والتابعون بإحسان بعدهم .

[الأسماء الإسلامية ومعانيها]

[حاجة المسلمين إلى معرفة الألفاظ الإسلامية] ورأينا العلماء باللغة العربية قد كَفَوا الناس مَؤُونة هذا الشأن ، [٤٨] وأحكموا إحكاما بيِّنا لما دَوَّنوه من أشعار الشعراء ، وألَّفوه من المصنَّفات ، ووصَفُوه من الصفات فى كل ما قدروا عليه ، مما يحتاج الناس إلى استدراكه ، حتى لعله لم تَفُتْهم كلمة غريبة ولا حرف نادر إلا وقد رَبَطُوه بأوثق رباط ، وعَقَلُوه بأحكم عقال ، ورسموا فى ذلك رسوما ، وعوَّلوا فى ذلك كله على الشعر والاحتجاج به .

[(٥)] وهذا للغة العرب خصوصا ليس هو لسائر لغات الأمم وذلك كله لشدة حاجة الناس إلى معرفة لغة العرب ، ليصلوا بها إلى ما ذكرنا من معانى القرآن

---

(١) النازعات ١٤/٧٩ والمجاز / مراد منلا ١٨٢ .

(٢) كما فى د أمية ٥٢ والمجاز ول/سهر . م وح : عندهم لحم بحر ساهرة . ى : عندهم لحم بعض ولحم ساهرة . وفى القراءتين تحريف . عجزه كما ورد فى الديوان والمجاز : وما فاهوا به لهم مقيم . وفى المجاز : الساهرة الفلاة ووجه الارض .

(٣) ينقص فى مخطوط ع مايلى الى الكلام على الأسماء والأشياء (مخطوط م ص ٧٠) .

(٤) كما فى ى.م وح : الفرائب .

(٥) يوجد مايأتى فى مخطوط س بعدماسبق من النقص ثم ينقطع عند الكلام على النعت فى البسملة (مخطوط م ص ٦٧) .

والألفاظ الغريبة فيه ، وفى أحاديث الرسول صلّى الله عليه والصحابة والتابعين والأئمة الماضين ، وما يجىء فى الشريعة من الأسامى فى أصول الفرائض والسُّنَن ، ممّا الجهل به نَقْصٌ ظاهِرٌ على المرء المسلم ، وشَيْن فاضِح على كل ذى دين ومُروءة . وإنا لمّا أردنا أن نشرح من هذه المعانى ، ونذكر اشتقاقها ، ونُعَبِّر عن معانيها ، قدّمنا القول فى فضل لغة العرب على سائر لغات الأمم ، وذكرنا ما لها من الأسباب الفاضلة والمآثر الظاهرة ، وما يَلزَم جميع الأمم من الاعتراف بما لها من الدواوين فى الشعر والنحو والعروض والمصنَّفات فى الغريب والصفات ،[١] إشفاقا منهم عليها ، وصيانة لها ، وحفظا لأصولها ؛ وانفتح لهم من ذلك مالم ينفتح لسائر الأمم ، ولا كان لهم فيه مثل هذه الرسوم . ثم قصدنا شرح معان[٢] كثيرة غريبة[٣] تجىء فى الشريعة ، ولا يستغنى عن معرفتها العالم الأديب ، ولا الدَّيِّن اللبيب ، ويجب تمثّلها على كل ذى شرَف حَسيب ، وعلى كل مسلم أريب ، وفى معرفتها له الفَضْل والزَّيْن ، وفى الجهل بها عليه النَّقْص والشَّيْن .

[أسماء الله الحسنى] ونبدأ بذكر أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته ، وتفسير ما قالت[٤] العلماء فى معانيها أو عباراتها [٤٩] ليعرفها من يدعوه بها ،[٥] (تبارك اسمه) ويُمجِّده[٦] ويُثْنِى عليه ، كقوله : يا ألله ،[٧] يا رحمٰن ، يا رحيم ، يا رب ، يا واحد ، ياصمد ، وغير ذلك من أسمائه وصفاته (جلّ ذكره) ممّا يُشكِلُ معناه ويُحتاج

(١) ى وس : فى غريب الصفات .
(٢) ى وس : معانى .
(٣) س : عربية .
(٤) س : قال .
(٥) كما فى ى وس . م : يدعو بها .
(٦) كما ى وس . م : يمجد .
(٧) قال ابن عقيل فى شرحه على ألفية بن مالك ٢٦٢ : لا يجوز الجمع بين حرف النداء وال فى غير اسم الله تعالى وما سمى به من الجمل الا فى ضرورة الشعر . وأما مع اسم الله تعالى ومحكى الجمل فيجوز ، فتقول : يا ألله ، بقطع الهمزة ووصلها . والاكثر فى نداء اسم الله تعالى اللهم مشدودة معوضة عن حرف النداء . ا هـ . اطلب باب الله فيما يلى .

إلى شرحه . وأسماء الله عز وجل وصفاته [1] كثيرة . قال الله تبارك وتعالى : وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ . [2] فمنها ما عَلِمَهُ الناس كافّةً ، ومنها ما خُصّ به قوم دون قوم . وقد قيل إنّ لله عز وجل أسماء إذا دُعِيَ بها أجاب ، وإذا سُئِل بها أعطى ، ويُمْشَى بها على الماء كما يُمشى على الأرض . واسم الله الأكبر هو مخزون مكنون ، لا يعلمه إلاّ من اختصّه الله له وأكرمه به .

وروينا عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنه قال : أوّل ما خلق الله عز وجل اسمٌ [3] بالحروف غيرُ منسوب ، وباللفظ غير مُنْطَق ، وبالشخص غير مُجَسَّد ، وبالتسمية غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، مَنْفِيٌّ مُبْعَدٌ منه الحدود ، محجوبٌ عنه حِسّ كلّ مُتَوَهِّم ، مُسْتَتِرٌ غير مَسْتُور . فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معا . ليس منها واحد قبل الآخر . فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب واحدا منها ، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التى أظهرت . فالظاهر هو الله عز وجل وتبارك وسبحان . لكلٍّ اسم من هذه أربعة أركان . فذلك اثنا عشر ركنا [4] . ثمّ خلق لكلّ ركن ثلاثين اسما فعلا منسوبا إليها . فهو الرحمٰن ، الرحيم ، المَلِك ، القدُّوس ، الخالِق ، البارِىء ، المُصَوِّر ، الحيّ ، القيُّوم [٥٠] لا تأخذه سِنَةٌ ولا نَوْم ، العليم ، الخبير ، السميع ، البصير ، الحكيم ، الجبّار ، المتكبِّر ، العليُّ ، العظيم ، المقتدر ، القادر ، السلام ، المؤمن ، المُهَيْمن ، المُنْشِىء ، البديع ، الرفيع ، الجليل ، الكريم ، الرزّاق ، المحيي ، المُميت ، الباعِث ، الوارِث . فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتمّ

---

(١) وصفاته ناقص فى ى وس . (٢) الأعراف ٧/١٧٩ .

(٣) الأصول كلها : اسما . والصواب اسم بالرفع خبر للمبتدأ وهو اول .

(٤) وقد غمض الامام جعفر الصادق الكلام عن الاسم المكنون المخزون والأجزاء والأركان الناشئة منه ، وقصد فيه الاستتار والاخفاء من عامةالناس ، لانها «أسرار أولياء الله» فى معرفة الله ، وقد خصهم الله بها دون غيرهم كما قاله المؤلف فيما سبق .

ثلاثمائة وستون اسما . فهذه نسبته لهذه الأسماء الثلاثة . وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحُجُب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة . وذلك قول الله عز وجل : قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .[1] ثم خزَنَ وكَنَّ الاسم الواحد بهذه الأسماء الثلاثة ، فلا يعرف الاسم المكنون والاسم العظيم والاسم المخزون بالغيب إلا من ارتضى من رسول . فإذا ارتضى رسول من الملائكة والناس كلّمهم بالاسم . وذلك قوله عز وجل : عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ[2] من الملائكة والإنس .

روى ابن سيرين عن أبى هريرة[3] عن النبى صلى الله عليه قال : لله تسعة وتسعون اسما ، من أحصاها دخل الجنة : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الإله ، الرب ، المَلِك ، القدُّوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبَّار ، البصير ، الحيُّ ، القيُّوم ، الواسع ، اللطيف ، الخبير ، المنَّان ، البديع ، الغفور ، الودود ، الشكور المجيد ، المُبدِىء ، المُعيد ، النور ، البادِىء ،[4] الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، العفوّ ، الغفَّار ، الوهَّاب ، القادر ، الأحد ، الصمد ، الوكيل ، الكافى ، الباقى ، الحميد ، المغيث ، الدائم ، المتعال ، ذوالجلال والإكرام ، الولى ، النصير ، الحق ، المبين ، الوارث ، [٥١] الباعث ، المجيب ، المتين ، المحيي ، المميت ، الجميل ، الصادق الحفيظ ، المحيط ، الكبير ، القريب ، الرقيب ، الفتَّاح ، التوَّاب ، القديم

(١) بنى اسرائيل ١١٠/١٧ .

(٢) الجن ٢٦/٧٢ .

(٣) خ التوحيد ١٢ و ت الدعوات ٨٢ . والذى فى البخارىعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ان لله تسعة وتسعين اسما ، مئة غير واحد ، من حفظها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر . ومثله فى مسلم . ولم يذكرا أسماء الله : وفى أحاديثأخرى وردت الأسماء معاختلاف فى بعضها . ومنها مارواه البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات .

(٤) س : البارىء .

الوتر ، القائم ، الفاطر ، الرازق ، [(١)] العلاّم ، العلىّ ، العظيم ، الغنىّ ، المليك ، [(٢)] المقتدر ، الأكرم ، الرءوف ، المدبِّر ، المالك ، القاهر ، الهادى ، الشاكر ، الكريم ، الرفيع ، الشهيد ، الواحد ، ذو الطَّوْل ، ذو المَعَارِج ، ذو الفضل ، الخلاّق [(٣)] .

فهذه ما ذُكِر من أسمائه وصفاته عز وجل . فمنها ما هو أشهر وأكثر على ألسنة الناس ومنها ما تعزب معانيها ، ومنها ما تتضح ، [(٤)] ومنها ما قد اختلف الناس فى معناه ، ومنها ما قد اتفق الناس عليه . ونذكر من ذلك ما قد وقع إلينا عن العلماء وأصحاب اللغة ، وما رُوِىَ فيها من الأخبار وجاءت الحجة فى غريبه من الشعر ، وما قالت الحكماء فى معناه ، وإن لم نقدر على إحصاء جميع أسمائه وصفاته ، عز وجل ، ونعجز عن شرح كثير مما أحصيناه ورويناه . ونسأله عز وجل التوفيق لما يقرِّب من رضاه ويُباعد من سخطه .

ونشرح بعد ذلك معانى أسماء كثيرة تُذْكَر فى الشريعة . وقد ذكرنا أكثرها فى صدر كتابنا هذا . ونذكر بعد ذلك معانيها واشتقاقاتها ، لأن أرفع درجات العلماء وأجل مراتب الأدباء معرفة أسماء الأشياء والعلم بحقائقها .

[أسماء الأشياء ومعانيها] فإن الله عز وجل لما أظهر فضيلة أبينا آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها ، « ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ

---

(١) ى : الرزاق .

(٢) ى وس : الملك .

(٣) ى : الخلاق الفتاح الحفيظ الخفى . س : الخلاق الحفيظ . حاشية س : الخلاق الخفى .

(٤) فى النسخ كلها « يصح » وهو تحريف كما يظهر من السياق .

مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ.»[1] [٥٢] فأبرز فضيلته لعلمه بها، ثم أمرهم بالسجود له.

وإنما صار الفضل فى معرفة أسماء الأشياء، لأنّ كلّ شىء يُعْرَف باسمه، ويُسْتَدَلُّ عليه بصفته. والصفة تقوم مقام الاسم، وتكون خلفاً منه. والله عز وجلّ يُعْرَف بأسمائه، ويُنْعَت بصفاته. ولا دَرَكَ للمخلوقين إلى غير ذلك. وصفاته أسماؤه كقوله: الرحمٰن الرحيم، هما من صفاته وهما أسماؤه. وكذلك أسماء المخلوقين وصفاتهم.

فكلُّ شىء يُعْرَفُ باسمه ويُسْتَدَلُّ عليه بصفته من شاهد يُدْرَك أو غائب لا يُدْرَك. وربّما دُعِىَ الشىءُ:

باسمٍ لا يُعْرَف اشتقاقة من أىّ اسم هو، بل يكون مُصْطَلَحاً عليه، قد خفى على الناس ما أُرِيدَ به، ولأىّ شىء سُمِّىَ بذلك الاسم، كقولك: الفرس والحمار والجمل والحجر وأشباه ذلك؛

واسمٍ اشْتُقَّ من معنى تقدَّمَه، قد فسّر العلماء اشتقاقه والمراد فيه، كقولك: آدم، قالوا: سُمِّىَ بذلك، لأنه أُخِذَ من أديم الأرض؛[2] والإنس،[3] قالوا: سُمِّىَ بذلك لظهورهم، ويقال: آنسْتُ الشىء إذا أبصرته؛ والجنُّ،[4] قالوا: سُمِّىَ (بذلك) لاستخفائهم،[5] يقال: اجْتَنَّ إذا اسْتَخْفَىَ؛

واسمٍ هو بمنزلة الصفة، كقولك: محمد هو مشتق من الحَمْد، والحَسَن مشتق من الحُسْن، والحَمْد والحُسْن مُصْطَلَحٌ عليهما.

---

(١) البقرة ٢/٣١ — ٣٣.

(٢) أديم الأرض وجهها. وفى العبرية أدم من اداماه אֲדָמָה لا يأتى بمعنى الارض لانه بمعنى التراب. وللارض فى العبرية اسم آخر هو «أرص». اطلب رأى قطرب فيما يلى فى هذا الفصل. ويرى صاحب الزينة أن الاسم أصله عربى.

(٣) اطلب باب الانس.

(٤) اطلب باب الجن.

(٥) ى: لاستجنانهم. والقتبى فى غريب القران ١١: الجن من الاجتنان وهو الاستتار.

فعلى هذا كل اسم هو مشتق من غيره . فالأول مصطلح عليه لا يجوز غير ذلك ، والمصطلح عليه لا يكون مشتقا من آخر ، ولا يعرف معناه إلا الله عز وجل ومن علّمه الله ، لأنه إنْ كان الأول لا بد أن يكون مشتقا من غيره . فإن ذلك الأول يقتضى اسما قبله يكون هو مشتقا منه ، فهذا إلى ما لا نهاية له ، وهو غير ممكن .

ومن الأسماء ما يجرُّ معنيين ، كقولك : الزكوة .[1] قالوا : هو من النمو والزيادة . [٥٣] يقال : زَكَا الزَّرْع إذا نَمَا وطال وزاد . ويكون من الطهارة . قال تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا .[2] أى طهّرها . ومنه ما يجر ثلاثة معان وأكثر ، كقولك : الدِّين .[3] معناه الطاعة . يقال : دَانَ له إذا أطاعه . ويكون من الجزاء . يقال : كما تَدِين تُدَان . أى كما تعمل تُجازَى . ويكون من الحساب . قال الله تعالى : مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ .[4] قال المفسّرون : يوم الحساب . والدين العادة قال الشاعر :[5]

أهـذا دينـه أبدا وديني[6] ٦٥

أى دأبه ودأبى . فعلى هذا مجارى الأسماء .

قال قطرب :[7] النكرة الاسم الأول ثم يصير معارف . فلا مسألة

---

(١) اطلب باب الزكاة .

(٢) الشمس ٩١/٩ .

(٣) اطلب باب الديان وباب الدين .

(٤) الفاتحة ٤/١ . أبو عبيدة فى المجاز ٢٣/١ : الدين الحساب والجزاء . يقال فى المثل : كما تدين تدان . وقال ابن نفيل :

واعـلم وأيقن أن ملكك زائل   واعـلم بأن كما تدين تدان

(٥) هو المثقب العبدى البكرى عائذ بن محصن .

(٦) اطلب باب الدين .

(٧) هو أبو على محمد بن المستنير البصرى النحوى المعروف بقطرب . لازم سيبويه وأخذ من عيسى بن عمر . وسمى قطربا لأن سيبويه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول : انما أنت قطرب ليل . والقطرب دويبة تدب . وكان يذهب الى مذهب المعتزلة النظامية . وتوفى سنة ست ومئتين . (أخبار البصريين ٤٩ والنزهة ١١٩ والبغية ١٠٤) .

فى النكرة لأنه اسم موضوع مثل حجر وجبل وجمل وحمار وفرس ، فلا مسألة فى اشتقاقها مم هو . وإنما المسألة فى المعرفة . من ذلك مثل « آدم » . قال ابن عباس : هو مأخوذ من أديم الأرض . قال قطرب : ولو كان كذلك لكان منصرفا فاعَلا من الأديم كالعالَم والخاتَم ، وتصير الهمزة من نفس الكلمة ، وهو عندنا فى اللغة من الأُدْمة فيصير أفْعَل (١) لا يُجرَى .

[الأسماء الأعجمية فى القرآن] وقال بعض الحكماء : الأسماء عبارات عن المعانى ، وليس بين أهل المعرفة منازعة فى الأسماء ؛ فإذا استوفى الفهم المعنى فذلك المقصود الذى ليس بعده نظر .

والذى نريد تفسيره من معانى الأسماء :

فمنها ما هى قديمة فى كلام العرب ، اشتقاقاتها معروفة ؛ ومنها أسامٍ (٢) دلّ عليها النبى صلى الله عليه فى هذه الشريعة ونزل بها القرآن ، فصارت أصولا فى الدين وفروعا فى الشريعة لم تكن تُعْرَف قبل ذلك ، وهى مشتقة من ألفاظ العرب ؛ وأسام (٣) جاءت فى القرآن لم تكن العرب تعرفها (٤) ولا غيرهم من الأمم ، مثل تَسْنِيم (٥) وسَلْسَبيل (٦)

---

(١) فآدم على هذا أصله أأدم قلبت الهمزة الثانية ألفا فتكون الالف هنا أصيلة لأنها منقلبة عن أصل . اطلب ص ١٣٢ هامش ٢ .

(٢) أسام ناقص فى ى.س : أسامى . فى ق/سما قال : اسم الشىء علامته ، والجمع أسماء وأسماوات ، وجمع الجمع أسامى وأسام .

(٣) ى وس : أسامى .

(٤) يعنى المؤلف أن العرب لم تكن تعرفها بالمعنى الذى وردت فى القرآن مع كونها ألفاظا عربية.

(٥) قوله تعالى : ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون (المطففين ٨٣/٢٧ — ٢٨) . وتسنيم عين فى الجنة زعموا . وهذا يوجب أن تكون معرفه ، ولو كانت معرفة لم تصرف . تسنم الشىء علاه . وفى ل/سنم قال الزجاج فى قوله تعالى «ومزاجه من تسنيم» : أى مزاجه من ماء متسنم عينا تأتيهم من علو . اه . لا يوجد له أصل فى الشعر الجاهلى ولا فى اللغات السامية القديمة . فلذلك اعتبره نولدكى (Beitraege ٤٨) من الكلمات التى نطق بها القرآن .

(٦) وسلسبيل من قوله تعالى : عينا فيها تسمى سلسبيلا (الدهر ٧٦/١٨) . قال الجواليقى فى المعرب ١٨٩ : هو اسم أعجمى نكرة ، فلذلك انصرف . وقيل هو اسم معرفة الا أنه أجرى لأنه رأس آية . وفى ل/سلسل . يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل . والسلسبيل السهل المدخل فى الحلق . قال ابن الأعرابى . لم أسمع السلسبيل الا فى القرآن .

وغِسْلين (١) وسِجِّين (٢) والرَّقيم (٣) وغير ذلك . روى عكرمة عن ابن عباس فى قوله عز وجل « أصحاب الكَهْف والرقيم » : والله ما أدرى ما الرقيم ؟ كتاب هو أم بنيان ؟ [٥٤] وفى قول الله عز وجل « وحَنَانًا مِن لدُنَّا » (٤) قال : والله ما أدرى ما الحنان ؟ (٥)

وقد قال قوم فى القرآن شىء من ألفاظ العجم ولغاتهم . وروى أبو عبيد (٦) عن عدة من العلماء فى أحرف كثيرة فى القرآن أنها بلغات العجم . (٧) روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد (٨) وسعيد بن جبير (٩) وعكرمة وطاوس (١٠) وعطاء (١١)

---

(١) فى التنزيل العظيم : ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون (الحاقة ٣٦/٦٩). وقيل : غسلين شديد الحر . لايعرف أصله فى العربية ولا اللغات الاخرى التى أخذت العرب منها الكلمات الدخيلة .

(٢) قوله تعالى : كلا ان كتاب الفجار لفى سجين (المطففين ٨٣/٧-٨) . سجين فعيل من السجن . والسجين السجن . والسجين الصلب الشديد من كل شىء . وسجين واد فى جهنم . قال السيوطى (الاتقان ج ١ ن ٣٨) : ذكر أبو حاتم فى كتاب الزينة أنه غير عربى . وقد التبس على السيوطى ماقاله المؤلف عن هذا اللفظ . وقد اعتبره صاحب الزينة من الالفاظ العربية الا أن اللفظ لم تكن العرب تعرفها بالمعنى الذى ورد فى القرآن . أشار نولدكى (Beitraege ٤٨) الى أنه من الاسماء التى نطق بها القرآن ، ولايوجد له أصل فى اللغات.

(٣) قال تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (الكهف ٩/١٨) . قال الزجاجى فى الامالى ٥ : أعلم أن فى الرقيم خمسة أقوال : أحدها هذا الذى روى عن ابن عباس رحمه الله أنه لوح كتب فيه أسماؤهم . والآخر أن الرقيم هو الدواة . يروى ذلك عن مجاهد . وقال هو بلغة الروم . والثالث أن الرقيم القرية ، وهو يروى عن كعب . والرابع أن الرقيم الوادى . والخامس ما روى عن الضحاك وقتادة أنهما قالا : الرقيم الكتاب . والى هذا يذهب أهل اللغة ، ويقولون : هو فعيل بتأويل مفعول . اهـ . وقيل : من المحتمل أنه اسم قرية فى جنوبى فلسطين مأخوذ من רקים العبرية أو ܪܩܡ السريانية .

(٤) مريم ١٢/١٩ .

(٥) اطلب باب الحنان .

(٦) س . وروى أبو عبيدة .

(٧) والجملة « وروى أبو عبيد .. : بلغات العجم » تنقص فى ى .

(٨) مجاهد بن جبر مولى لقيس بن السائب المخزومى مات بمكة وهو ساجد سنة ثلاث ومئة .

(٩) سعيد بن جبير أبو عبد الله مولى لبنى والبة من بنى أسد قتله الحجاج سنة أربع وتسعين على خروجه مع ابن الأشعث .

(١٠) طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن مولى بجير الحميرى مات بمكة سنة ست ومئة قبل التروية بيوم .

(١١) أبو محمد عطاء بن أبى رباح المكى من كبار التابعين مولى ابن خثيم الفهرى وسمع العبادلة الأربعة . قال محمد الباقر : خذوا من عطاء حيث ما استطعتم . توفى بمكة حوالى سنة خمس عشرة ومئة .

وغيرهم . فمنها قوله طٰه [١] واليمّ [٢] والطور [٣] والرَّبَّانِيُّون والرِّبِّيُّون . [٤] قال : يقال إنّ هذه الأحرف بالسُّرْيانيّة .

ومنها الصراط [٥] والقسطاس [٦] والفردوس . [٧] يقال إنها بالرُّومية . ومنها مقاليد [٨] وسجِّيل [٩] واستبرق [١٠] وأباريق . [١١] يقال إنها بالفارسية .

(١) قال أبو عبيدة فى المجاز / مراد مثلا ١٠٥ : طه ساكن لانه جرى مجرى فواتح سائر السور اللواتى مجازهن مجاز حروف التهجى ، ومجاز موضعه فى المعنى كمجاز ابتداء فواتح السور . قال أبو طفيلة الحرمازى فزعم أن طه يارجل ، لا ينبغى أن يكون اسما لانه ساكن ولو كان اسما لدخله الاعراب . اه .

والسيوطى فى الاتقان ج ١ ن ٣٨ والمتوكلى ٥و١١ : أخرج الحاكم فى المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى « طه » : هو كقولك « يامحمد » بلسان الحبش . وأخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه بالنبطية يا رجل . ويرى غوسنس فى مقاله فى مجلة الاسلام (هامبورغ) ١٩١/١٣ وما بعدها أن طه ويس قد يكونان من الأسماء القديمة للسور . وهذا ماقاله أبو عبيدة .

(٢) اطلب فصل النحو والاعراب ص ٧٨ .

(٣) اطلب فصل النحو والاعراب ص ٧٧ — ٧٨ .

(٤) اطلب باب الربانيون فيما يأتى . فى العبرى الكلدانى ربان .

(٥) اطلب باب الصراط . وهو اسم يونانى سطراطا Στρατα دخل فى الآرامى مع الحكم الرومانى فى الشام ، وأخذته العرب من الآرامى .

(٦) ابن دريد (الجمهرة ٢٧/٣) : القسطاس (بضم القاف وكسرها) وقسطان هو الميزان بالرومية الا أن العرب قد تكلمت به وجاء فى التنزيل . اه . يرى فرينكل ١٨٧ أنه مأخوذ من«قوايسطور» Κοναίστωρ باليونانيةوهوالصراف.واستعمل فىالسريانيةبكلمة «قواسطور».وأما الكلمة العبرية « قيبسطور » يراد بها عند اليهود رجل القضاء والعدل . ونحن نرجح ماقال غاير ان القسطاس الميزان قد اشتق من الكلمة اليونانية ديقاسطس Δικαστής أى القاضى . وقد حكى صاحب القاموس لغة أخرى قصطاس بقلب السين الأولى صادا .

(٧) اطلب باب الفردوس فيما يأتى . وهو فى اليونانية بارادايسوس Παράδεισος أى الجنة .

(٨)قوله تعالى : له مقاليد السموات (الزمر ٦٣/٣٩ والشورى ١٢/٤٢) . المقلد مفتاح كالمنجل . وقيل الافليد . معرب وأصله الفارسى كليد . (ابن دريد : الجمهرة٩٢/٢ والمعرب ٣١٤ ول/قلد) .

(٩) قوله عز وجل : حجارة من سجيل (هود ١١ / ٨٢ والحجر ١٥ / ٧٤ والفيل ١٠٥ / ٤) . السجيل الصلب الشديد . فارسى معرب من سنك وكل أى حجارة وطين . وفى الاتقان (ج ١ ن ٣٨) قال : أخرج الفريانى عن مجاهد قال . سجيل بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين .

(١٠) اطلب فصل النحو والاعراب ص ٧٨ .

(١١) قال تعالى : بأكواب وأباريق (الواقعة ١٨/٥٦) . الابريق معرب آبريز بالفارسية ومعناه الآنية تصب منها الماء ، من آب وهو الماء + ريز من ريختن أى الصب . أضيفت المادة الأصلية وهى ريز الى آب ، فتفيد معنى الفاعل . وقال عدى بن زيد العبادى :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت ‏ قينة فى يمينهـــا ابريق

ومنها قوله : وحرام على قرية ،(١) وكمشكاة ،(٢) وكفلين من رحمته .(٣)

يقال إنها بالحبشيّة .

وقوله : هَيْتَ لك(٤) يقال إنها بالحورانيّة .(٥)

قال أبو عبيد : هذا قول أهل العلم والفقهاء .

وزعم أصحاب العربيّة أن القرآن ليس فيه شيء من كلام العجم ، يتأوّلون

فيه قوله عزّ اسمه : بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .

---

(١) قال تعالى : وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون (الأنبياء ٩٥/٢١) . السيوطى (الاتقان ج ١ ن ٣٨) : أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : وحرم وجب بالحبشية . ا هـ . وحرام ሐረመ بالحبشية معناه سور سورا أو حائطا ، فمنه امتنع الشيء على الرجل ومنع فلانا الشيء . وبمعنى الاخير استعمل חרם بالسريانية والعبرية ، لا بمعناه الحبشى الاصلى .

(٢) فى التنزيل العزبز : كمشكاة فيها مصباح (النور ٣٥/٢٤) . الجواليقى (المعرب ٣٠٣): قال ابن قتيبة المشكاة الكوة بلسان الحبش ، كل كوة غير نافذة فهى مشكاة . وفى ل/شكا قال : قال ابن جنى : ألف مشكاة منقلبة عن واو بدليل أن العرب قد تنحو بها منحاة الواو بالصلاة . وقد أصاب من قال انه بلسان الحبش لأن اللفظ الحبشى መስኮት قديم وقد شاع عامة .

(٣) قوله تعالى : يؤتكم كفلين من رحمته (الحديد ٢٨/٥٧) . وفى ل/كفل قال : الكفل الحظ والضعف من الأجر والاثم ، وعم به بعضهم . ويقال : له كفلان من الأجر ، ولا يقال : هكذا كفل فلان ، حتى تكون هيأت لغيره مثله كالنصيب . فاذا أفردت فلا تقل كفل أو نصيب . والكفل أيضا المثل . اهـ . وفى صح/كفل : وذو الكفل اسم نبى من الأنبياء وهو من الكفالة . وقال السيوطى (المتوكلى ٦) : وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى موسى الأشعرى فى قوله تعالى « يؤتكم كفلين من رحمته » ، قال : ضعفين بالحبشية . اهـ . وكفل ክፍል بالحبشية معناه جزء وقسم ، כפל بالعبرية ضعف .

(٤) قوله تعالى : وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك (يوسف ٢٣/١٣) . أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : هيت لك هلم لك بالقبطية . قال الحسن : هى بالسريانية . كذلك أخرجه ابن جرير . وقال عكرمة : هى بالحورانية . كذلك أخرجه أبو الشيخ . وقال أبو زيد الأنصارى : هى بالعبرانية وأصله هيتلخ أى تعال . (راجع الاتقان ج ١ ن ٣٨) .

(٥) ويراد بالحورانية أو النبطية اللغة الآرامية عند اللغويين المسلمين كما أشار اليه نولدكى فى ZDMG ١٢٢/٢٥ .

وقال أبو عبيدة : من زعم أن فى القرآن شيئا من ألفاظ العجم فقد أعظ القول ،[١] لأنه عز وجل يقول : « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » . قال : ومن زعم أنَّ طه بالنَّبَطِيَّة فقد أكبر ، وإن لم يُعْلَمْ[٢] ما فيه[٣] فهو افتتاح كلام ، وهو اسم للسورة وشعار لها.[٤] قال : وقد يُوافِقُ اللفظُ اللفظَ ويقاربه ومعناهما واحد ، أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها ،[٥] فمن ذلك الإسْتَبْرَق بالعربية هو الغليظ من الدِّيباج وبالفارسية هو إسْتَبْرَه ، والفِرِنْد وكوز فهو بالفارسية والعربية واحد . وأشباه هذا كثير .[٦] قال : ومن [٥٥] زعم أن حِجَارَةً من سِجِّيل بالفارسية سَنْگ ِگلْ فقد أعظَمَ ،[٧] إنما السِّجِّيل

---

(١) فى المجاز ١٧/١ : زعم ان فيه غير العربية فقد اعظم القول .

(٢) ى و س : لم نعلم .

(٣) المجاز ١٧/١ : ما هو .

(٤) وردت فى م الزيادة الآتية : قال : وكذلك قوله : «الم ذلك الكتاب » هو افتتاح مبتدا كلام شعار للسورة .

(٥) ى و س : غيرهما .

(٦) المجاز ١٨١/١ : وكوز وهو بالعربية جوز واشباه هذا كثير.والفرند فارسى معرب .حكى بالفاء والباء . وهو بالفارسية پرند اى الجوهر . والفرند وشى السيف . م وح و س والمجاز: كوز . ى : كوب . والكوز بالضم تعريب كوزه اناء من فخار له عروة . جمعه كيزان واكواز مثل عود وعيدان واعواد . وقالت العرب كاز يكوز كوزا اى شرب بالكوز . والكوب بالضم كوز مستدير الراس لا عروة له ولا خرطوم له . والجمع اكواب . وفى التنزيل العزيز : واكواب موضوعة ، ومن ذهب واكواب ، باكواب واباريق ، واكواب كانت قوارير . وذكره ادى شير فى الالفاظ الفارسية فى عدة من اللغات وذلك بالتوافق . (راجع صح/كوب و كوز وق/كوب وكوز) .

(٧) ى و س والمجاز ١/ ١٨ : ان حجارة من سجيل بالفارسية فقد اعظم من قال سنك وكل .

الشديد ، وأنشد لابن مُقْبِل : (١)

ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلاً (٢) ٦٦

أى شديدا . وقال غير أبى عبيدة : (٣) الرواية سجينا بالنون ، وخَطَّأَ أبا عبيدة فى هذا التفسير .

قال أبو عبيد : (٤) الصواب عندى — والله أعلم — أن هذه الأحرف أصولها أعجمِيَّة إلا أنها سقطت إلى العرب ، فعرَّبتها بألسنتها ، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية . ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الالفاظ بكلام العرب على التعريب . من ذلك أنها قالت فى الطور (٥) وهو بالسريانية طورا ، واليم (٦) وهو بالسريانية يما ، وإستبرق (٧) وهو بالفارسية إستبره ، وهو الغليظ من الديباج فيما روى عن عكرمة . وقالوا : سجيل وهو بالفارسية سنگ گل حجارة الطين فيما روى عن عكرمة .

قال : ومن أسماء الأنبياء فى كتاب الله إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى .

---

(١) هو تميم بن أبى بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن عجلان بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، شاعر مخضرم . وكان يبكى أهل الجاهلية . وبلغ مئة وعشرين سنة ورثى عثمان بن عفان . وابن مقبل من أوصف العرب لقدح . (راجع الشعر والشعراء ٢٧٦ و ٢٧٨ والخزانة / الخطيب ١ / ٢١٤ — ٢١٥) .

(٢) صدره : ورجلة يضربون البيض عن عرض . والبيت من مشوبة ابن مقبل النونية أوردها أبو زيد فى جمهرة أشعار العرب ١٦٢ ، ومطلع القصيدة :

طاف الخيال بنا ركبا يمانينا ودون لسلى عواد لو تعدينا

رواية أبى زيد والجوهرى (صح / سجن) : سجينا وهى الصواب . راجع أيضا المجاز ١ / ٢٩٦ .

(٣) كذا فى م و ح و س . ى : وقال أبو عبيدة . والأغلب أنه أبو عبيد .

(٤) ى : فقال أبو عبيدة . وسقطت فى س الجملة من بعد سجينا الى قال أبو عبيد .

(٥) سبق ذكره فى فصل النحو والاعراب ص ٧٨ هامش ٢ .

(٦) فصل النحو والاعراب ص ٧٨ هامش ١ .

(٧) فصل النحو والاعراب ص ٧٨ هامش ٣ .

إنما هى بالعبرانية وبالسريانية أبروهم (١) وأشموئيل (٢) وميشا (٣) وإيشوا (٤)، فعربتها العرب .

قال : فهذه الأسماء التى ذكرناها كلها عجمية الأصول عربية الألفاظ . فمن قال إنها عجمية فقد صدق ، ومن قال إنها عربية فقد صدق ، لما فسّرت من الأصل واللفظ . هذا قول أبى عبيد .

[ظهور الأسماء على عهد النبى] وقلنا : إن الأسماء التى هى مشتقة من ألفاظ العرب ولم تُعْرَف قبل ذلك ، مثل المسلم والمؤمن والمنافق والكافر لم تكن العرب تعرفها ، لأن الإسلام والإيمان (٥) والنفاق (٦) والكفر (٧) ظهر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر نعمة (٨)، لا تعرفه من معنى الكفر بالله . قال الشاعر :

ولا تحْسِبِنِّى كافرا لكِ نِعْمَةً (٩) [٥٦]

(١) هو فى العبرية أبرم אברם أو ابراهام אַבְרָהָם . وأبـــرم أو أبـــرام
من كلمتين . اب + رم أى أب عظيم أول اسم لابراهيم . وهو ابن تارح بن ناحور بن ناروخ
ابن رعو بن فالج بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح .

(٢) كما فى م و ح . ى و س : اشـــمويل . والكلمة العبرية يشـــمعيل יִשְׁמָעֵאל
مكونة من يشمع + ايل أى يسمع الله وهو ابن ابراهيم من هاجر . فلما بشرت به قالت :
ان الله استمع لى . وفى العربية الجنوبية ورد الاسم . يسمع ال [illegible] . (راجع
CIS ٤/١/٥٥) .

(٣) مشه מֹשֶׁה فى العبرية . وذكر جيفرى ٢٧٥ نقـــلا عن ديرينبـــورغ أن
صـــيغة موسى מוסי العبرية كانت شائعة بين اليهود العرب . وأخذ العـــرب الاسم من
اليهود . وقيل : هى لفظة مصرية قبطية مكونة من ما بمعنى المـــاء + شه أى المنقذ ، وهو الذى
أنقذ من الماء ، كما فسرها غيزينيوس فى معجمه ٤٦١ .

(٤) والمعروف أن اسمه بالعبرية يشوع . قيـــل : وقد نطـــق اليونانيـــة أيسو
Ἰησοῦς ، ونطق العـــرب عنهـــا عيسى وقيـــل :ان الاســـــــم عيـــــاو עֵשָׂו وهـــو
اسم ابن اسحاق وشقيق يعقوب وهو الابن الغير مبارك (سفر التكوين) وينسب الى‌عيساو
هذا الفرع المنبوذ من بنى اسرائيل ويتندر باسمه اليهود على يشوع . وأخذه العرب قبل
الاسلام من اليهود الذين سموا المسيح بهذا الاسم استخفافا منهم . ولا يزال الاسم العربى
غير متفق على اشتقاقه عند علماء اللغات ، كما حكاه جيفرى ٢٢٠ .

(٥) اطلب باب المؤمن وباب الاسلام والايمان .

(٦) اطلب باب النفاق .

(٧) اطلب باب الكفر .

(٨) ى . كافر النعمة .

(٩) باب الكفر : فلا تحسبينى .

وقال آخر :[١]

والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ[٢] ٦٨

وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان . قال الشاعر :

والمُؤمِنِ العائِذاتِ الطيرِ يَمْسَحُها رُكبانُ مَكَّةَ بَيْنَ الغَيْلِ وَالسَّنَدِ[٣] ٦٩

أمّا المنافق فإنه لا ذكر له فى كلام العرب .

[لسانه إبراهيم السريانية] وقد قال الله تعالى فى المسلم : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا » .[٤] فقد ذكر الله عز وجل أن إبراهيم سَمّاهم « مُسلمين » ؛ ويجوز أن يكون سمّاهم بتلك اللغة باسم كان معناه معنى « الإسلام » ،[٥] لأن الله عز وجل أنزل الصُّحُف على إبراهيم فيما ذُكِر عن العلماء بالسريانية ، وأن إبراهيم كان لسانه السريانية .

ورووا[٦] أن إسماعيل عليه السلام هو الذى تكلَّمَ بالعربية . ولم يوجد اسم « الإسلام » فى كلام العرب قبل مبعث النبى صلى الله عليه ، ولا كان الإسلام قبل ظهوره بالنبوة .

[تعلم إسماعيل العربية من اليمن — رأى ابن قتيبة] قال عدةٌ من العلماء ، أحدهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة (واللفظ له) : تعلَّمَ إسماعيل العربية من اليمن من ولد يَعْرُب بن قَحْطان . وكان يعرب أول من تكلَّمَ بالعربية حين تَبَلْبَلَت الألسن ببابِل ، وسار حتى نزل اليمن فى ولده

---

(١) ى . وقال عنترة .

(٢) صدره : نبئت عمرا غير شاكر نعمتى . اطلب باب الكفر ود عنترة / العقد ٤٨ .

(٣) هو للنابغة الذبيانى . رواية د النابغة / العقد ٨ : الفيل والسعد . وقد أقسم الشاعر بالمؤمن أى الله . آمن الله الطير بمكة الصيد . العائذات مفعول بالمؤمن والطير بدل منها . والغيل بفتح الغين الماء الجارى على وجه الارض وهو ما يخرج من أصل أبى قبيس . ورواه أبو عبيدة بكسر الغين وقال : الغيل والسعد هما أجمتان كانتا مناقع مابين مكة ومنى . واطلب الشاهد فى باب المؤمن .

(٤) الحج ٢٢ / ٧٨ .

(٥) كما فى ى و س . م : كان معناه الاسلام .

(٦) كما فى ى و س . م : وروى .

ومن اتبعه من أهل بيته . ثم نطَقَ بعده عاد بلسانه ، وشَخَصَ حتّى نزل الشِّحْر ، (١) ثم جَدِيس ثم عِمْلِيق ثم طَسْم ثم جُرْهُم . قال : وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال : تسع قبائل قديمة ، طَسْم وجَدِيس وجُهَيْنَة وحَجْم (بالحاء والجيم) [٥٧] والخَثْعَم والعَماليق وقَحْطان وجُرْهُم وثَمود . فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان . وكانت أنبياؤهم عربا ، هود وصالح وشُعَيْب عليهم السلام . قال وَهْب بن مُنَبِّه : هود هو أخو اليمن فى التوراة . (٢) فلمّا وَقَعَتْ العَصَبِيَّة بين العرب وفخرت رَبيعَة ومُضَر بأبيها إسماعيل ادّعت اليمن هودا ليكون لها (٣) والد من الأنبياء . قال : ولمّا بوَّأ الله لإسماعيل الحَرَمَ وهو طفل ، وأنبَطَ (٤) له زَمْزَمَ مرّت به رُفْقَة من جُرْهُم ، فرأوا مالم يكونوا يعهدونه ، وأخبرتهم هاجَر بنسب الصبىّ وحالِه ، (٥) وما أمر الله عز وجل به أباه فيه وفيها ؛ فتبرَّكُوا بالمكان فنزلوه ، وضمُّوا إليهم إسماعيل فنَشَأ معهم ، وتبع ولدانهم ، ثمّ أنكحوه ، فتكلّم بلسانهم ؛ فقيل : نَطَقَ بالعَرَبيّة أى بلسان يَعْرُب . وكان القياس فى النحو أن يقال نطق باليَعْرُبيَّة إلا أن الياء زائدة فى الاسم ، فحذفت فى النسب كما تحذف فيه أشياء كثيرة من الزوائد .

---

(١) الشجر كالمنع ساحل بين عمان وعدن ، ويكسر (ق / شحر) .

(٢) وهب بن منبه من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، ويكنى أبا عبدالله. وقال : قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا . وروى عن أبى هريرة . ومات بصنعاءسنة عشر ، ويقال سنة أربع عشرة ومئة . لايعتمد على الاسرائيليات المروية عنه ، كما نرى أن هودا المذكور فى سفر أخبار الأيام الأول ٣٧/٧ هو الولد السابع لصوفاح من قبائل بنى اسرائيل وليس له أية علاقة باليمن . وادعى شيخو (النصرانية وآدابها ٢٤٥) أنه اسم نصرانى وأنه صحف عن يهوذا أحد رسل السيد المسيح الذى دعا العرب الى النصرانية،أو هوصورة أخرى من اسم هوذة ، ومنه هوذة بن على المعروف بذى التاج ملك اليمامة وحضرموت وعمان من بنى حنيفة من بكر بن وائل . والله أعلم بالصواب .

(٣) ى و س : لهم .

(٤) حاشية س : اذا بلغ الحافر الماء قيل انبط .

(٥) ى و س : خاله .

قال : والدليل على أن اللسان لليمن أنّهم يقال لهم « العرب العارِبَة » ، ويقال لغيرهم « العرب المُتَعَرِّبَة » ، يريد الداخلة فى العرب المتعلمة منهم . ويقال : تَعَرَّبَ ، كما يقال تنزَّرَ أى دَخَلَ فى نِزار ، وتقيَّسَ أى دخل فى قيْس . قال الشاعر [١] :

وقيسَ عَيلانَ وَمَنْ تَقَيَّسا [٢]

[ابن سلام : إسماعيل أول من تكلم بالعربية] وروى محمّد بن سلاّم قال : أخبرنى مِسْمَع بن عبد الملك [٣] أنه سمع محمّد بن علىّ عليه السلام (يرفعه) [٤] ، فقال : أوّل من تكلَّم بالعربيّة ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

قال : وأخبرنى يونس بن حبيب عن أبى عمرو بن العلاء قال : العرب كلها من ولد [٥٨] إسماعيل إلا حِمْير وبقايا جُرْهُم . قال محمّد بن سلاّم : وكذلك نرى لأن [٥] إسماعيل جاوَرَهم [٦] وأصْهَرَ إليهم ، ولكن العربيّة التى عنى محمّد

---

(١) هو العجاج أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة التميمى .

(٢) م و ح : غيلان . والصواب قيس عيلان كما فى ى و س . وقيس بالنصب لأن قبله :

وان دعونا من تميم أرؤسا والرأس من خزيمة العرندسا
وقيس عيلان ومن تقيسا تقاعس العز بنا فاقعنسسا

وجواب ان فى تقاعس العز . ومعنى تقاعس ثبت وانتصب . وكذلك اقعنسس . (راجع د العجاج ٣٣ ول/قيس) . وقال ابن حزم (أنساب العرب ٢٣٢) : والأصح أنه قيس بن مضر ، وأن عيلان عبد حضنه ، فنسب قيس اليه .

(٣) م و ح : مستمع . والصواب مسمع كما فى ى و س وطبقات ابن سلام / هل ٤ وشاكر ١٠ . وهو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع بن شهاب بن قلع بن عمرو ابن عباد بن جحدر بن ضبيعة بن قيس من بنى بكر بن وائل . ولقبه كردين بضم الكاف كما ذكره ابن حزم فى أنساب العرب ٣٠١ .

(٤) رواية طبقات ابن سلام : سمع محمد بن على وهو ابن حسين يقول قال أبو عبد الله : لا أدرى أرفعه أم لا واظنه قد رفعه ... الخ .

(٥) المرجع نفسه ٤ : وكذلك يروى أن . س : وكذلك ترى لأن .

(٦) ى . جاورهم وناسبهم .

ابن على عليه السلام هى اللسان الذى نزل به القرآن . وما كانت العرب تتكلم به على عهد رسول الله صلى الله عليه ؛ وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا .(١)

وهذا الذى رواه محمد بن سلام عن محمد بن على عليه السلام أن إسماعيل أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه ، خلاف ما رواه ابن قتيبة أن يعرب ابن قحطان أول من تكلم بالعربية — وهو أولى بالصدق والصحة منه — إن كان الأمر على ما يذكره النسابون أن اليمن ليست من ولد إسماعيل ، وأن ولد إسماعيل من العرب هم ولد مَعَدّ بن عَدْنان . والله أعلم كيف ذلك .

[لغة القرآن هى لغة قريش] وقد روى عن النبى صلى الله عليه أنه قال حين انتهى فى النسب إلى مَعَدّ بن عدنان : « كذب النسابون ! كذب النسابون ! » لأن ولد معد بن عدنان أفصح من اليمن وأصح لغة ، ورسول الله صلى الله عليه أفصح العرب ، وهو من ولد إسماعيل عليه السلام .

وقد روى عنه أنه قال : أنا أفصح العرب مَيْدَ أنى (٢) من قريش ، وأنى نَشَأْتُ فى بنى سَعْد بن بكر ، لأنه كان مسترضعا فيهم .(٣)

---

(١) وقد جاءت فى طبقات بن سلام / هل ٤ بعد « اللسان الذى نزل به القرآن » هذه العباره : وقال أبو عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » .

(٢) ى و س : بيد أنى . حاشية س : بيد فسره بعضهم يعنى من أجل وعليه يتوجه قوله عليه السلام : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد أى من أجل انى من قريش . وبيد مبنى على الفتح اسم فعل أى .. ؟ .. انى من قريش . وروى ميد أنى من قريش بالميم ، والكلام عليها كالكلام على بيد حذو القذة بالقذة . ا هـ . وفى ل /بيد قال : قال الكسائى : قوله بيد معناه غير . وقيل هى بمعنى على حكاه أبو عبيد .

(٣) هم بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان وهم أظآر النبى صلى الله عليه وسلم ، عندهم استرضع عليه السلام . (أنساب العرب ٢٥٣) . اورد هذا الحديث أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا اسناده . ولم يرد الحديث فى احد الكتب الستة . انما ورد فى كتاب الشفاء مايأتى : قال له أصحابه : مارأينا الذى هو أفصح منك . فقال : وما يمنعنى وانما أنزل القرآن بلسانى — بلسان عربى مبين . وقال مرة أخرى : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد .

وروى أنه صلى الله عليه تكلم يوما فى وصف السماء والبَرْق والغَيم . فقال له رجل : ما رأينا أفصح منك ، يا رسول الله ! فقال عليه السلام : حُقّ لى أن أكون كذلك ونزل القرآن بلسانى — لسان عربىّ مبين .

وروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : أفصح العرب عُلْيا هَوَازِن وسُفْلَى قَيس . وقال أبو عبيد : (١) حَدّثنى شيخٌ سمع الكلبى، (٢) يُحدِّث عن أبى صالح (٣) عن ابن عباس أنه قال : نزل القرآن على سبعة أحرف (أو قال : سبع [٥٩] لغات . شكّ أبو عبيد) فمنها خمس بلغة العَجُز من هَوَازِن . قال أبو عبيد : وقد بَيّنَ ابن عباس أن الأحرف هى اللغات . وقوله : « العَجُز » هم الذين يقال لهم عُلْيا هَوَازِن ، وهى خمس قبائل أو أربع ، (٤) منها سَعْد بن بَكْر وجُشَم بن بكر ونَصْر بن مُعاوية وثقيف . وأحسب أفصح هؤلاء الأربعة [من] بنى سعد بن بكر (٥) لقول رسول الله صلى الله عليه : « وإنى نشأت فى بنى سعد بن بكر » .

---

(١) قال أحمد بن فارس (الصاحبى ٢٨) : حدثنا أبو الحسن على بن ابراهيم القطان قال : حدثنا على بن عبد العزيز عن أبى عبيد عن شيخ له أنه سمع الكلبى يحدث عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال : نزل القرآن الخ . ولقد أخذ الكندى نسب قريش عن أبى صالح ، وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبى طالب كما حكاه صاحب الفهرست ١٤٠ .

(٢) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبى . وكان جده بشر وأبوه السائب وعماه عبيد وعبد الرحمن شهدوا الجمل وصفين مع على بن أبى طالب . وكان نسابا عالما بالتفسير والأخبار وأيام الناس . شهد الجماجم مع ابن الأشعث . ابنه هشام المعروف بابن الكلبى (ذكرناه فيما سبق فى فصل المهلهل وامرىء القيس ص ٩١ هامش ١) كان أعلم الناس بالأنساب . وتوفى الكلبى بالكوفة سنة ست وأربعين ومئة . (راجع المعارف ٢٦٦ والفهرست ١٣٩ — ١٤٠) .

(٣) أبو صالح صاحب التفسير هو مولى أم هانىء بنت أبى طالب أخت على بن أبى طالب واسمه باذام أو باذان . وكان لايحسن أن يقرأ القرآن . (راجع المعارف ٢٤٢) . ويقال اسمه ميزان البصرى التابعى مشهور بكنيته تلميذ ابن عباس . روى عنه كثيرا محمد بن السائب الكلبى . مات أبو صالح بعد المئة .

(٤) كما فى ى و س والصاحبى ٢٨ . م أربع قبائل .

(٥) ى و س : وأحسب هؤلاء الأربعة من بنى سعد بن بكر .

وروى عن الزُّهْرى عن أنس [١] أنه قال : إن عثمان أمَرَ زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن يكتبوا المَصَاحِف . قال الزهرى : فاختلفوا فى « التَّابُوت » [٢] ، فقال زيد : هو التابوه . [٣] وقال النفر القُرَشِيُّون : [٤] هو التابوت . فرُفِعَ إلى عثمان . فقال : اكتبوه بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم .

فالقرآن أفصح اللغات ، ونزل بلسان قريش . ورسول الله صلى الله عليه أفصح العرب ، وهو من قريش . وقريش من ولد إسماعيل ، وولد إسماعيل أفصح من اليمن ، الذين هم من ولد يعرب بن قحطان .

[الأسامى التى سنها النبى] فهذا دليل على تصحيح الخبر عن محمد بن على رضى الله عنه أن إسماعيل أول من تكَلَّمَ بالعربية ونسى لسان أبيه وهذا الخبر دليل على أن إبراهيم لم يكن لغته العربية ، وأن الذين سماهم « مُسْلِمِين » سماهم بغير لغة العرب . إنما سماهم بتلك اللغة باسم كان معناه معنى « الإسلام » بهذه اللغة . فالإسلام هو اسم لم يكن قبل مبعث النبى صلى الله عليه . وكذلك أسماء كثيرة مثل « الأذان » و« والصلوٰة » و « الركوع » و« السجود » لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول ، لأن الأفعال التى كانت هذه الأسماء لها لم

---

(١) كما فى ى و س . م : وروى عن انس .

(٢) البقرة ٢٤٨/٢ وطه ٣٩/٢٠ .

(٣) قرأ زيد « التابوه » وهى لغته ، والناس على قراءته بالتاء . وروى عنه التيبوت (تفسير القرطبى ٢٤٨/٣) . وأصله من الآرامية « تيبوتا » תיבותא كما ورد مرارا فى مشنا وترجم . وقيل انه أقرب الى الكلمة الحبشية « تابوت » ታቦት المأخوذة من الآرامية « تيبوتا » أو العبرية « تابوه » תבה ، وعن الحبشية أخذته العرب . وأما قراءة زيد بالهاء فهى على الوقف .

(٤) كما فى س . م و ي : القريشون . والنسبة قريشى وقرشى .

تكن فيهم . وإنما سنّها النبي صلى الله عليه [٦٠] وعلّمها الله إياه . فكانوا يعرفون «الصلوٰة» أنها الدعاء . قال الأعشى فى صفة الخمر :

فإنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عليها وزَمْزَمَا(١) ٧١

أى دعا لها . وعلى هذا كانت سائر الأسامى .

[اليهودية والنصرانية والمجوسية فى العرب] وقد كانت الصلوٰة والصيام وغير ذلك فى اليهود والنصارى ، وقد كانت اليهودية والنصرانية فى العرب .

ويقال إن المجوسية لم تكن فيهم على ما ذكره الرواة . ورووا أن أول من تمجّسَ من العرب حَاجب بن زُرَارَة الدارِمى هو وأهل بيته ، ولم يتمجّس منهم أحد قبله . قالوا : سمّى ابنته دُخْتَنُوس باسم ابنة كِسْرَى ، وتزَوّجها ؛(٢) فعُيِّر

---

(١) صدره : لها حارس مايبرح الدهر بينها . (الصبح المنير ٢٠٠) . يقال : ذبحت الدن أى بزلته . الذبح الشق . زمزم أى ترنم .

(٢) حاجب بن زرارة سيد بنى تميم وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق . وكانت المجوسية فى بنى تميم . منهم زرارة بن عدس وابنه حاجب . وكان تزوج ابنته واولدها ثم ندم . وقد كان سماها دختنوس باسم بنت كسرى . وقال فيها حين نكحها مرتجزا :

يا ليت شعرى عنك دختنوس ... اذا أتاها الخبر المرموس
أتسحب الذيلين أم تميس ... لا بل تميس انها عروس

هذا مارواه الماوردى . وفى رواية ابن قتيبة « أتخمش الخدين أم تميس » .

ولم يذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف اسم ابنة حاجب التى يقال انه تزوجها ، ولكنه أتى بقولين فى الشعر والشعراء — فى ترجمة لقيط بن زرارة — أن خاه حاجب بن زرارة صاحب القوس التى يقال لها قوس حاجب كانت له بنت يقال لها دختنوس ، لم يكن له غيرها ، وفيها يقول : ياليت شعرى ... البيت . وحكى أيضا أن دختنوس كانت بنت لقيط ، ولها شعر ، وكان زوجها عمير بن معبد بن زرارة . فالظاهر أن حاجبا لم يتزوج دختنوس الشاعرة ابنة اخيه لقيط . ومن المحتمل أن تكون لكل من الاخوين ابنة سميت باسم دختنوس ، وأن حاجبا تزوج بابنته .

ودختنوس اسم فارسى عرب مأخوذ من دخت أو دختر أى البنت + نوش المادة الأصلية من المصدر نوشيدن وهو الهناء ، معناه بنت الهناء أو الهانئة ، قلبت الشين سينا . (راجع المعارف ٢٩٩ والشعر والشعراء ٤٤٦ والعقد الفريد ١/١٧٤ وأعلام النبوة للماوردى ١٣٢ ول/ دخدنس) .

بذلك . فقال : أوليست [١] لى حلالا فى دينى ؟ ثم ندم على ذلك وأنشأ يقول :

لَحَا اللهُ دِينَكَ من أَغْلَفٍ يُحِلُّ البَنَاتِ لَنَا والخَوَاتِ [٢]
أَحَشْتَ على أُسْرَتى سَوْءَةً وطَوَّقْتَ جِيلى بالمُخْزِيَاتِ [٣]
وأَبْقَيْتَ فى عَقِبى سُبَّةً مَشَاتِمَ يَخْشَيْنَ بعد المَمَاتِ [٤] ٧٢

وروى عن أبى عمرو بن العلاء أن نَسْرا كان صنما لبعض حِمْيَرَ ، وكانوا فيما يزعمون مجوسا . وهم الذين [ذُكِروا] [٥] فى كتاب الله عز وجل : « وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ » [٦] ويقال : إن بقايا المجوس الذين كانوا باليمن والبحرين منهم .

ونقول : [٧] إن الأعمال التى هى فى شريعة الإسلام قد كان مثلها فى اليهود والنصارى ، ولكن لم يكونوا يُسَمُّونها بهذه الأسماء ، لأن شرائعهم لم تكن بلسان العرب فلما جاء الله بالإسلام وبيَّنَ هذه الأسماء [٨] اقتدَوْا بأهل الإسلام ، وصاروا عيالا عليهم فيها ، وقد عرفوا فضيلة رسول الله صلى الله عليه ، وإن كانوا كاتمين لما كانوا قد عرفوه ، كافرين بنعمة الله عليهم حسدا وعنادا . هذا مع [٩]

---

(١) كما فى ى و س . م : أليست .

(٢) لحاه الله لحيا أى قبحه ولعنه . وفى التنزيل العزيز : وقالوا قلوبنا غلف . قيل معناه صم . غلف جمع أغلف . فقلب أغلف أى عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله وهو قلب الكافر. وغلام أغلف لم يختتن كأقلف . (صح / لحا و ل / غلف) .

(٣) حشنا الصيد حوشا وحياشا وأحشناه وأحوشناه . وأحشناه أخذناه من حواليه لنصرفه الى الحبالة وضممناه . يقال حشت عليه الصيدوأحشته اذا نفرته نحوه وسقته اليه وجمعته اليه . (صح / حوش ول / حوش) .

(٤) ى و س : مشاتيم .

(٥) النسخ كلها : وهم الذين فى كتاب الله .

(٦) النمل ٢٧ / ٢٤ .

(٧) س : ويقال .

(٨) ان العبارة « لأن شرائعهم لم تكن ... هذه الأسماء » سقطت فى ى .

(٩) ى : هذا و .

قبولهم وقبول سائر الأمم منهم آيات مُحْكَمَاتٍ وكلمات [٦١] بَيِّنَات أتى بها رسول الله صلى الله عليه فى هذه الشريعة لم تعرفها الأمم . فلمّا وردت عليهم قبلوها قبولا اضطراريا مع إنكارهم نبوّته عليه السلام . فجبلهم الله على المعرفة بأحكامها ، وصرف قلوبهم إلى قبولها والاقتداء بها والإقرار بفضلها .

[كلمة الاخلاص] فأوّل ذلك كلمة الإخلاص ، وهو قول « لا إله إلاّ الله » . هذه كلمة جعلها مركزا لدين الإسلام وقطبا له ولم تكن الأمم السالفة تقولها على هذا اللفظ ، وبهذا الاختصار ، مع ما فيها[١] من الحكمة البالغة ، واشتمالها على نفى الكفر ، وإثبات التوحيد ، وإزالة الشرك ، ووجوب الإيمان . فلما قالها صلى الله عليه ، ودعا الناس إليها ، استعظمت العرب ذلك ، لأنهم يُسَمُّون أصنامهم آلِهَة ، فقال الله عز وجل حكاية عنهم : إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ . بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ .[٢] يعنى جاء بها وهى الحق .[٣] وهى تشتمل على هذه المعانى التى ذكرناها ، وإلى ذلك دعا المرسلون ،[٤] ولكن لم يوردوها[٥] على هذا اللفظ بهذا الكمال والاختصار مشتملة على هذه المعانى . فلما قالها صلى الله عليه قَبِلَها أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس ، وجامعوه على الإقرار بها ، وباينوه على الكلمة المقرونة بها :[٦] « محمد رسول الله » ، فكانوا على الإقرار بالأولى مؤمنين بالله ، وعلى إنكارهم[٧] الثانية مشركين . قال الله تعالى : وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ .[٨]

---

(١) ى : فيهما .

(٢) الصافات ٣٧ / ٣٦ .

(٣) كما فى ى . م وح : جاء بها وهو .

(٤) كما فى ى و س . م : دعاء المرسلين .

(٥) ى و س : لم يؤدوها .

(٦) كما فى ى . موحوس : المقرون بها .

(٧) ى : وعلى الانكار .

(٨) يوسف ١٢ / ١٠٦ . اطلب باب الشرك فيما يأتى .

[الكلمات الإسلامية التى لم تكن للأمم] « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » [١] . هى آية أنزلها الله على محمّد رسول الله صلّى الله عليه ، وجعلها فاتِحَةَ كتابه وفاتحة كل سورة ؛ فصار ذلك قُدْوَة لجميع الأمم قد تَراضَوْا بها ، واتّبعوا رسول الله صلى الله عليه على ذلك ، فجعلوها فاتحة كتبهم مُصَدَّرة فى صَدْر [٢] [٦٢] كل كتاب مُسْتَحْسَنَة عندهم . قد أقرُّوا بفضلها حتى إن كل كتاب لم يُفْتَتح بها هو عندهم ناقِصٌ مَبْتُور ، مَسْلوبُ البَهاء مَهْجور . ولم يكن ذلك لسائر الأمم ولا عرفوها إلا ما ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه [٣] أن سليمان عليه السلام كتب بها إلى بِلْقِيس . ولم يُدَوِّنوها هذا التدوين ، ولا زَيَّنُوا بها كتُبُهم هذا التزيين ، ولا عرفوا لها الفضل المُبِين ، حتى جاء الله بالإسلام ، وأحْكَمَها على لِسان رسوله محمّد صلى الله عليه ؛ فقبِلَتْها الأمم أحسن قبول ، وصار فَضْلُها [٤] فى كتبهم أفضل فُصُول .

هذا إلى كلمات غيرها ، مثل قوله : « الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . [٥] وقد كان فيما قد تقدَّم من الكتب المُنَزَّلة تَحْميد وتمجيد ، ولكن لم يكن على هذا الاختصار بهذا اللفظ ، ولم يُدَوَّن هذا التدوين ؛

وقوله : « لا حول ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العلىّ العظيم » [٦] ؛

---

(١) الفاتحة ١/١ والنمل ٣٣/٢٧ .

(٢) كما فى ى و س . م و ح : صدور . صدر المؤلف كتابه أى جعل له صدرا أى ديباجة . والصدور جمع صدر .

(٣) النمل ٣٠/٢٧ .

(٤) كما فى ى و س . م : وصار فضلها .

(٥) الفاتحة ٢/١ ويونس ١٠/١٠ .

(٦) الكهف ٤٠/١٨ : لاقوة الا بالله . وفى المفردات / حول قال : وأصل الحول تغير الشىء وانفصاله عن غيره . والحال لما يختص به الانسان وغيره من أموره المتغيرة فى نفسه وجسمه وقنيته ، والحول ماله من القوة فى أحد هذه الأصول الثلاثة . ومنه قيل لاحول ولاقوة الا بالله .

وقوله : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ »[(١)] ؛

وقوله : « تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ »[(٢)] ؛

وقوله : « السلام عليكم »[(٣)] . لم تكن هذه التحيّة للأمم الماضية ، وهى تحيّة أهل الجنّة قال الله تعالى : « تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ »[(٤)] . وروى عن رسول الله صلى الله عليه أنّه قال : أُعطيت أمّتى ثلاث خِصال لم يُعطها أحد قبلهم ، صُفُوف الصلاة ، وتحيّة أهل الجنّة ، وآمين ، إلا ما كان من موسى وهارون ؛ فقد روى أنّ موسى كان يدعو وهارون يُؤمِّن[(٥)] ؛

وقوله : « إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »[(٦)] ؛

وقوله : « مَا شَاءَ اللهُ كَانَ »[(٧)] .

قال أبو عبيد :[(٨)] حدثنا مَرْوان بن مُعاوية[(٩)] عن سُفيان بن زياد ،[(١٠)]

---

(١) آل عمران ١٧٣/٣ .   (٢) هود ٥٦/١١ .

(٣) ى : السلام عليكم ورحمة الله . يشير الى ما ورد من الآيات فى السلام ، مثل قوله عز رجل : « سلام عليكم بما صبرتم » (الرعد ٢٤/١٣) و « سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (النحل ٣٢/١٦) و « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » (الأنعام ٥٤/٦) . واطلب باب السلام فيما يأتى .   (٤) يونس ١٠/١٠ وابراهيم ٢٣/١٤ .

(٥) اطلب باب السلام وباب آمين فيما يأتى . « اعطيت ثلاث خصال . أعطيت صلاة فى الصفوف . وأعطيت السلام وهى تحية أهل الجنة . وأعطيت، آمين . ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله تعالى أعطاها هارون ، فان موسى كان يدعو ويؤمن هارون » . رواه ابن مردويه فى تفسيره عن أنس بن مالك .   (٦) البقرة ١٥٦/٢ .

(٧) وردت « ماشاء الله » فى سورتى الكهف ٤٠/١٨ والأعلى ٧/٨٧

(٨) ى . أبو عبيدة .

(٩) م و ح و ى : هارون بن معاوية . لعل الصواب مروان بن معاوية ، لأنه روى عن سفيان بن زياد كما ذكره الحافظ فى التهذيب . يعرف بأبى عبد الله الفزارى الكوفى . سكن فى مكة ودمشق وهو ابن عم أبى اسحق الفزارى . وثقه ابن معين وابن سعد وأبو حاتم وأبو داود والنسائى . مات سنة ثلاث وتسعين ومئة . (راجع التهذيب ١١١/٤) .

(١٠) م و ح : سفين بن زياد . ى : سفيان ، وهو الصواب . وجاء فى تقريب التهذيب ٩٦ أنه سفيان بن زياد . ويقال ابن دينار العصفرى أبو الورقاء الأحمرى أو الأسدى كوفى ، ثقة من السادسة . وفى التهذيب ١١١/٤ قال : روى عن أبيه زياد وعكرمة وسعيد ابن جبير ، وعنه الثورى ومروان بن معاوية وغيرهما . وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم .

قال : سمعت [٦٣] سعيد بن جبير يقول : ما أعطى أحد « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » و « مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ » إلا النبى صلى الله عليه . ولو أوتيه أحد لأوتيه يعقوب حين يقول : يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ » .(١)

فهذه الكلمات كلُّها ظهرت فى الإسلام على لسان محمد صلى الله عليه بلسان عربىٍّ ، ولم تكن لسائر الأمم على هذا النظم العجيب والاختصار الحسن . فلما وردت عليهم اضطرُّوا إلى قبولها وتدوينها ، والإقرار بفضلها ، ولفظوا بها عند وجوب الشكر ؛ وطلب الصبر ، وفى وقت الاتِّكال والتسليم لأمر الله عز وجل ، وعند فاتحة كلامهم وخاتمته ، وعند كلِّ حادِثٍ(٢) نِعْمة ، أو نازِلٍ مُلمة(٣) وإن كان الأنبياء الماضون صلوات الله عليهم أجمعين ومن دَرَجَ من الصالحين عرفوا معانيها ، فإنهم لم يَرْسُموها هذا الرَّسْم(٤) لأممهم على هذا الكمال والإحكام . وادَّخَرَها الله عز وجل لمحمد(٥) صلى الله عليه تفضيلا له وتشريفا لمنزلته ورفعة لدرجته ، وأَبْرَزَها على لسانه ، فنَطَقَ بها باللسان العربى المُبين ، وأحْكَمَهَا فى كتابه ، وجَعَلَها فضَائِلَ له ومَنَاقِبَ لأمته ، وألْزَمَ جميع الأمم الاقتداء به واتِّباعه عليه .

[انتهى الجزء الأول وهو مقدمة المؤلف لكتاب الزينة ويتلوه الجزء الثانى]

---

(١) يوسف ٨٤/١٢ .

(٢) ى . عند حادث .

(٣) كما فى ح و ى . م : نازلة ملمة .

(٤) ى و س : الترسيم .

(٥) ى : لمحمد نبيه .

تصويب

الرجاء أن يقوم القارىء بتصحيح نسخته على وفق ما جاء فى الجدول الآتى :

صفحة	سطر	يقرأ	صفحة	سطر	يقرأ
٢٠	٢٧	يوسع	٨٥	٢٠	المختار
٢٢	٤	أهل السنة	٩١	٨	فاتبعه
٢٢	١٩	و «الشيعة»	٩١	١٨	تَوَغَّل
٢٦	٢٥	لاندرى ماهاتان النسبتان	٩٧	١٢	قفُلْ
٢٨	٤	أصبحت	٩٨	٨	الدرجة
٥٦	١٧	الركوع	١٠٩	١٤	يا نَؤُوم
٦٤	٥	ونقول	١١٦	١٥	فى كثير
٦٤	١٨	ذَكَق	١٨	١١	أمِّ أوفَى
٧٢	٢٤	البصريين	١٢١	١٢	يَوْمِى
٧٣	١١	قضاءها	١٢٨	١٦	وغير
٧٧	١٦	الأزدى	١٣٩	١٩	ودون ليلى
٧٨	٢١	بنفس المعنى	١٤٠	٢٣	يشوع ישוע
٧٩	١٤	لتضعيف	١٤١	٧	وفى هذا » .
٨٠	٤	انكساره	١٤٣	١٦	فاقمنسا
٨٢	٩	ما تكون	١٤٦	٣	فاختلفوا

[illegible]

[illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	٠٢	٥٨	[illegible]	٧٣	٠٣
[illegible]	٨	٤٩	[illegible]	٥	٢٢
[illegible]	٨١	١٩	[illegible]	٩١	٢٢
[illegible]	٢١	٧٩	[illegible]	٥٢	٣٢
[illegible]	٨	٨٩	[illegible]	٥	٨٢
[illegible]	٤١	٩٠١	[illegible]	٧١	٣٥
[illegible]	٥١	٢١١	[illegible]	٥	٤٣
[illegible]	١١	٨١	[illegible]	٨١	٤٣
[illegible]	٢١	١٢١	[illegible]	٤٢	٢٧
[illegible]	٣١	٨٢١	[illegible]	١١	٣٧
[illegible]	٩١	٩٢١	[illegible]	٣١	٧٧
[illegible]	٣٢	٠٣١	[illegible]	٢١	٨٧
[illegible]	٧	١٣١	[illegible]	٤١	٩٧
[illegible]	٣١	٢٣١	[illegible]	٥	٠٨
[illegible]	٦	٣٤١	[illegible]	٩	٢٨

AZ-ZĪNAT

ON ARABIC AND ISLAMIC NOMENCLATURE

BY

Abū Ḥātim Aḥmad b. Ḥamdān ar-Rāzī

Died 322 H. = 934 A. D.

PART 1

Critical Edition and Annotation by

Ḥusayn F. al-Hamdānī

CAIRO

1957